وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجامـــعة الإسلاميـــة – غزة
عمـــادة الدراســـات العليـــا
كليـــــــة التربيـــــــة
أصــول التربية(التربية إسلامية)

ملامح الفكر التربوي الإسلامي في ضوء كتابات الشيخ يوسف القرضاوي

إعداد الباحث
محمـــد صالـــح إبراهيـــم البيـــك

إشــــراف
الدكتور/ حمـــدان الصـــوفي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول التربية تخصص تربية إسلامية

١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إهداء

إلى التي كان لدعواتها ورضاها الأثر الطيب، والتي ربتني بعد وفاة والدتي وأنا في الخامسة من عمري، فاحتضنتنا وسهرت علي راحتنا . . .

الغالية جدتي لامي

إلى التي تنازلت عن الكثير من حقوقها من أجل أن ترى هذه الرسالة النور . . .

زوجتي الحبيبة

إلى أستاذي ورفيق دربي، محب العلم، والذي شجعني وآزرني . . .

الأستاذ محمود

إلى منهل العلم، ومنارة الهدي . . .

الجامعة الإسلامية

إلى زملائي، ورفقاء دربي . . .

طلبة العلم الأوفياء

إلى الشباب المؤمن الفاهم . . .

أهدي هذه الرسالة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

عن عبد الله بن عمَر رضَي الله عنهما عن النبيَ- صلى الله عليه وسلم- انه قال:

"ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا

أنكم قد كافأتموه " (رواه أبو داود، ١٨٨٩، ١٤٦٨)

اعترافا بالفضل لأهله، ومكافأة لمن صنع لي معروفا، فإنني أتقدم بخالص تقديري و جزيل شكري إلى أستاذي المعطاء فضيلة الدكتور/ حمدان الصوفي – حفظه الله – الذي تفضل مشكورا بقبول الإشراف على إنجاز هذا البحث، توجيهًا وإرشادًا وتصويبًا، وأولى بحثي هذا مزيدًا من الاهتمام والمتابعة والتدقيق، فلم يبخل علي بجهد أو وقت مع كثرة مشاغله وثقل أعبائه، جعل الله جهده في ميزان حسناته.

ولا أنسى كذلك أن أخط رسالة شكر صادقة إلى من تتلمذت على أيديهم، أساتذتي الكرام بمصر الكنانة، على جهودهم المخلصة والمتواصلة في خدمة طلبة العلم.

كمالا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أخي و صديقي الأستاذ حسن الحلاق، علي كل ما قدمه لي من جهد وعطاء.

كما أشكر كل من قدم لي عونا، ولو يسيرا لإنجاز هذا البحث من الأصدقاء والعلماء الأجلاء، وطلبة العلم الأخلاء.

أسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ملخص البحث

هدف هذا البحث بيان ملامح الفكر التربوي الإسلامي في ضوء كتابات الشيخ يوسف القرضاوي – غفر الله له – والكشف عن العوامل التي أسهمت في تشكيل شخصية الشيخ القرضاوي، والتعرف إلي خصائص التربية الإسلامية في ضوء كتاباته، والكشف عن نظرة القرضاوي للعلم، وإبراز تصور الشيخ القرضاوي للقيم، والوقوف على نظرة الشيخ القرضاوي في التعاطي مع قضايا المرأة، ونظرته للتغير الثقافي والاجتماعي. وتستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية ودور العلامة الدكتور القرضاوي وعلى حد علم الباحث فإن الشيخ القرضاوي– حفظه الله– من ابرز العلماء والدعاة في هذا العصر. وتعد هذه الدراسة دعوة إلى إثراء المناهج التجديدية المعاصرة في مجال التربية. وتفتح الدراسة الطريق أمام الباحثين التربويين، لإجراء المزيد من الدراسات حول كتابات الشيخ يوسف القرضاوي. واستخدم الباحث المنهج التاريخي وأسلوب تحليل المحتوي بطريقة كيفية من خلال التعرف على سيرة الشيخ القرضاوي وقام الباحث باستقصاء ملامح الفكر التربوي الإسلامي للشيخ القرضاوي المبثوثة في مؤلفاته حيث طبيعة الدراسة تقتضى ذلك. كانت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن فلسفة القرضاوي التربوية تقوم على الإيمان بالفروق الفردية ورعاية المواهب الإنسانية وتشغيل الطاقات المعطلة. وأن المعلم هو العنصر الفعال في عملية التعليم، فعلى قدر ما يحمل في رأسه من علم وفكر، وما يحمل في قلبه من إيمان برسالته، ومحبة لتلاميذه، وما أوتي من موهبة وخبرة في حسن طريقة التعليم، يكون نجاحه وأثره في أبنائه وطلابه. كما إن اتساع نطاق العلوم اليوم، وانقسام كل منها إلى فروع وكل فرع إلى تخصصات دقيقة، يفرض علي صاحبه، التعمق فيه. إن هذا التعمق اليوم أصبح لازماً لما نشهده من تطور مستمر وملحوظ، بل ويرى القرضاوي أن واجباً على الجماعة الإسلامية أن يكون فيها من يتخصص في جميع ألوان الدراسات الإنسانية المختلفة (علم النفس، والاجتماع، والتربية، والاقتصاد، والسياسة وغيرها)حتى يدرسها ويعرضها من منطلق إسلامي أصيل، وفي إطار إسلامي مأمون، ولاسيما أن هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية، هي التي تصنع فكر الأمة وذوقها، وتلون اتجاهها وسلوك أفرادها بلونها، فلا يجوز أن يعدها المسلمون مجرد مباح يجوز فعله وتركه، إنما يجب عد ذلك من فروض الكفاية. وفي ضوء ما سبق يوصي الباحث بما يأتي: الاهتمام بتربية النشء المسلم تربية فكرية أصيلة علي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإن على المربي أن يراعي مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين. وتربية الجيل المسلم على الابتكار والإبداع وعدم التقليد والتبعية. والأخذ بمبدأ التخطيط قبل البدء بأي عمل حتى نتجنب الارتجالية والعشوائية وعدم تضيع الوقت في ما لا فائدة منه. وعلي المعلم أن ينوع في أساليب التعليم، وان يحب طلابه، وان يهيئ أفضل مناخ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نفسي وعقلي لهم. ويجب إعداد معلمين صالحين أصحاب ضمائر مؤمنة بهذه الرسالة العظيمة، وإبعاد كل فاسد الفكر أو الضمير عن مجال التربية والتعليم. والاهتمام بالطفل، من جميع الجوانب، صحياً ونفسياً ودينياً، ومساعدة الأسر الفقيرة حتى تستطيع رعاية أطفالها الرعاية المناسبة، ويجب منع تشغيل الأطفال الذين لا تبلغ أعمارهم اثني عشر عاماً، ليتاح لهم حق التعلم والتمتع بالطفولة المرحة. والعناية بالشباب الذين هم عدة الحاضر، وذخيرة المستقبل، والعمل على إعدادهم إعدادا متكاملاً: بدنياً بالرياضة، وروحياً بالعبادة، وعقلياً بالثقافة، وخلقياً بالفضيلة، وعسكرياً بالخشونة، واجتماعياً بالخدمة العامة.

وقد جاءت هذه الدراسة موزعة على ستة فصول وهي موضحة كالتالي :

الفصل الأول: إطار العام للدراسة، الذي اشتمل على مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها وحدود ومنهج الدراسة، ومصطلحات الدراسة، والدراسات السابقة، وقد تحدث الباحث في مقدمة هذا الفصل عن أهمية الفكر التربوي الإسلامي والبحث فيه ، من خلال علماء الإسلام الذين اهتموا بهذا الفكر، وخدموه، وضرورة البحث في الفكر التربوي لما تنطوي عليه من عناصر ذات أهمية وغاية.

الفصل الثاني: الوقوف علي العوامل التي أسهمت في تشكيل شخصية الشيخ يوسف القرضاوي وقد قام الباحث بترجمة الشيخ يوسف القرضاوي وقد اشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول: النشأة والمؤهلات: حيث مولد الشيخ وطبيعة البيئة التي نشأ وتربى فيها.

المبحث الثاني: شخصيات تأثر بها: حيث معلمو الشيخ القرضاوي وشيوخه الذين تأثر بهم وتربى على أيديهم و فكرهم.

المبحث الثالث: أعماله الرسمية: فقد تدرج الشيخ القرضاوي في مناصب عده وحصل على العديد من الجوائز من مختلف البلدان.

المبحث الرابع: جهوده ونشاطه في خدمة الإسلام : وذلك من خلال العديد من المجالات .

الفصل الثالث: تناول فيه الباحث خصائص التربية الإسلامية في ضوء كتابات الشيخ القرضاوي.

الفصل الرابع: نظرة الشيخ القرضاوي للعلم **و** قد تم الوقوف على أخلاقيات العلم وما يجب أن يتحلى به صاحب العلم؛ من مبادئ التعلم؛ وآداب المعلم والمتعلم.

الفصل الخامس: وضيح تصور الشيخ القرضاوي للقيم كقيمة العمل والعلم والحرية والشورى و العدل والرحمة و الإخاء و الحب لما لهذه العوامل من أهمية في بناء المجتمع وهي التي تقوم على احترام كرامة الإنسان وحريته وحرماته، وحقوقه، وصيانة دمه وعرضه وماله وعقله ونسله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السادس: وقد تناول الاهتمام بقضايا المرأة والتأكيد على إنسانيتها كما بين الإسلام حيث لم يعرف التاريخ دينا ولا نظاما كرم المرأة، وأعلى من مكانتها، كما الإسلام.

الفصل السابع: وفيه منظومة للتغيير والحل الإسلامي الذي تحتاج إليه الأمة؛ بل هي في أمــس الحاجة إليها للخروج من كبوتها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

Abstract

This research aimed at showing the features of the Islamic thought in the light of sheikh Qaradaw's writing (God forgive him), revealing the factors which distributed in the forming sheikh Qaradaw's characters, identifying the qualities of the Islamic Education in the light of his writing, revealing Qaradaw's viewpoint of science, high lighting Qaradaw's perspective of values and finally standing on Qaradaw's viewpoint in dealing with women issues and his perspective for cultural and social change .

This study is important because it tackles the role of sheikh Qaradaw's . According to the researcher's knowledge, Qaradaw's is considered one of the most great Islamic scientists in this century .

Therefore, this study is regarded as an invitation to enrich the new recent curricula in the field of education. The study paves the way to conduct more studies about sheikh Qaradaw's writings by educational researchers. The researcher used the historic approach and content analysis procedure quantitatively through identifying the biography of sheikh Qaradaw's. The researcher surved the features of the Islamic thought of sheikh Qaradawi found in his books according to the study nature.

Among of the most important results was that the philosophy of Qaradawi bases on believing the individual differences, taking care the human talents and activating the disabled capacities. As well as the teacher is the effective factor in the teaching process everything depends upon him. According to the teacher's knowledge, his belief in his work, his love of his students and his teaching way comes his success and effects on his students. Because of the width of science field to day and its separation to many branches, one should go in depth with his specification. This depth has become a must because of the continuous and noticeable development we witness. In addition, Qaradawi believes that it is dutiful for the Islamic group to have one who is specialized in every branch of human studies (psychology, sociology, education, economy, politics and others) based on genuine Islamic frame since these social and human studies make the taste and thought of the Islamic nation. These studies should be considered obligatory not optional because they affect the people behaviour. In the light of the above mentioned, the researcher recommends the following :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- Taking care of educating Muslims on genuine and intellectual education based on Quran and Sunna.

- The teacher should take care of the individual differences principle among learners.

This study covered in six chapters as the following bellow:

Chapter one: the general frame of study which includes the problem, Objectives, importance, borders and curriculum, idioms and the previous studies. In the introduction, the researcher talkes about the importance of the Islamic educational thought, researching through the Islamic scientists who cared and saved this thought, the necessity of searching in educational though and what important points and factors it has.

Chapter two: clarifying the factors which distributed in forming the

personality of Qaradawi. The researcher translates (cv) of Qaradawi ,this translation includes these following topics:

the first topic: life and qualifications: birth and life he brought up.

the second topics: characters he influences, like teachers and scholars, and their thoughts he got.

the third topic: officitional roles and rewords he had.

the fourth topic: his efforts and activities for saving Islam in many ways.

Chapter three: the researcher talkes about the features of Islamic education in the light of Qaradawi writings.

Chapter four: Qaradawi perspective for science specially on science morals.

Chapter five: clarifying the Qaradawi look for values such as labor, science. freedom, shora, justice, mercy, brotherhood and love. These values are the factors the society was built on and cared of the human dignity, freedom and rights.

Chapter six : focused on woman issues and insured her humanity and dignity.

Chapter seven: it has strategy for change and for Islamic solution which nation need specially in those miserable situations to be steped on progress

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قائمة المحتويات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثالث

خصائص التربية الإسلامية في ضوء كتابات الشيخ القرضاوي

الفصل الرابع

نظرة الشيخ القرضاوي للعلم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السادس

رؤية الشيخ القرضاوي في التعاطي مع قضايا المرأة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السابع

نظرة الشيخ القرضاوي للتغير الاجتماعي والثقافي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصـــل الأول

الإطار العــــــام للبـــحث

- المقدمة
- مشكلة الدراسة
- أهداف الدراسة
- أهمية الدراسة
- حدود الدراسة
- منهج الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- الدراسات السابقة

This file was downloaded from QuranicThought.com

المقدمة

إن ما حدث في الآونة الأخيرة من ظاهرة قبض العلماء الأفذاذ الذين يعدون مراجع للأمة ممن كان لهم دور بارز في إحداث تغييرات ملموسة ومهمة في العالم الإسلامي، لهو من أكثر الأسباب التي دعتني للاهتمام بهذا الموضوع، وخاصة وأن عالمنا الكبير الشيخ القرضاوي قد تقدمت به السن، والله أسأل أن يمد في عمره ويحفظه بحفظه في صحته وعافيته؛ لنظل نستنير بعلمه، وقد لوحظ رحيل هؤلاء العلماء في فترات متقاربة مما يثير القلق على مستقبل هذه الأمة الفكري "عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول :"إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".(الألباني، ١٩٨٨: ٤٦).

فرأيت أن أخدم الفكر التربوي لعالمنا الكبير، علني بهذا العمل أسهم في استمرار هذا النهر المتدفق، وذلك من خلال اعتماد بعض ما كتب الشيخ القرضاوى، مما له صلة بموضوع هذا البحث. والشخصيات التاريخية الرائدة ليست محطة عابرة أو مرحلة زمنية جامدة في حياة الأمم والشعوب، ولكنها ينابيع معرفية متجددة في ضمير الأمم يمكن توظيفها منهجيا في إثراء الفكر المعاصر، ومراجعة المسيرة؛ لأخذ العبر وتوجيه عملية التنشئة بشكل مستمر، وتوسيع نسيج الثقافة المثمرة، وتدعيم التجارب الناجحة بالقدوة الحسنة لاسيما وأن طوفان العولمة سيبتلع الخصوصيات الصالحة إذا لم تصن بالأبحاث الجادة، وتصقل بالمقترحات النافعة. قال جل ثناؤه وهو يحث على التدبر في سير السابقين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١). إن السيولة المعلوماتية في عصرنا، تتيح فرصة ثمينة لإحياء وتجديد الموروثات الثقافية النافعة ونشرها بطرائق شتى لدعم عملية التنشئة الاجتماعية الرشيدة من أجل تنمية الوعي التربوي واللحاق بركب التنمية الحضارية التي تسير بخطوات سريعة وملموسة. والمجتمع الذي يفتقد مقومات الأصالة أو المعاصرة يصبح كالهشيم البَالِي تذروه رياح الليالي. فالمتخصصون في الفكر التربوي بصفة عامة يدركون أن التاريخ يحمل في طياته حكمة التكوين وعظمة الفكر الإنساني في حركته ونموه وإبداعه وتتجلى ماهيته وتتحدد هويته. ودراسة تاريخ التربية دراسة تفصيلية متأنية لا تعني أبدا حالة من الترف العلمي والأدبي؛ فتاريخ التربية يلبي حاجة علمية ضرورية تفرض نفسها في صيرورة الفهم العلمي للتربية بما تنطوي عليه من عناصر ذات أهمية وغاية وجودية (وطفة وشريع، ٢٠٠٥، ٩-١١).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعلى الرغم من أن لكل مجتمع من المجتمعات فكره التربوي الخاص وإن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لمجتمع آخر إلا أن المتفحص لمناهجنا التربوية في العالم العربي يجدها– في كثير من جوانبها– متأثرة بالفكر الغربي. وقد نتج عن ذلك معاناة الواقع التربوي العربي الإسلامي، من الازدواجية الخطيرة، الناتجة عن التبعية وفقدان الأصالة والذاتية، التي ولدتها العلمانية في جميع مظاهر الحياة واتخذت لها أبعادا خطيرة، أدت إلى الثنائية والانشطار في الكيان الاجتماعي والفكري، وخروجا من دائرة التخلف والضعف الحضاري، فالتراجع في مجال الفكر التربوي، كان لابد من إعادة النظر في تراثنا الثقافي، لنجد فيه ضالتنا ونستلهم منه عوامل نهضتنا من جديد(أبو دف، ٢٠٠٦: ٦٨).

وتدين الصحوة الإسلامية بالفضل للعديد من الشيوخ والرواد من أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والمهدي في السودان، وابن باديس، وحسن البنا، والسباعي، والمودودي، والندوى... وبطبيعة الحال نتيجة لجهود الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وكان الإحياء الثاني في السبعينات امتدادا للإحياء الأول على يد الشيخ محمد الغزالي– رحمه الله- والأستاذ عمر التلمساني والشيخ الجليل يوسف القرضاوي– أمد الله في عمره– إن الصحوة الإسلامية عندما قامت على أيدي الشباب حين قاموا بصحوتهم كانوا يتطلعون إلى شيوخ ورواد يشيرون عليهم بالأصوب والأحسن، وكان الشيخ القرضاوي هو أحد أهم وأعظم هؤلاء الرواد إن لم يكن أولهم على الإطلاق. (أبو الفتوح، ٢٠٠٧: ١).

والقرضاوي يعد موسوعة علمية قد تخطت مؤلفاته المائة والخمسين وهو في معظم هذه الكتب يدافع عن الإسلام أمام الشبهات التي يرميه بها خصومه وأعداؤه، مستخدمًا علمه الواسع وقدرته على المحاجة والجدل، وإفحام الخصوم بالمنطق السديد وهو بجانب ذلك خطيب وشاعر ومجتهد وكاتب ومن خلال البحث وجدت بعض الجهود التي تناولت مسيرة الشيخ القرضاوى العلمية، كدراسة سيد محمد(٢٠٠٦) بعنوان: "الطابع الأدبي في خطابة القرضاوي"، ودراسة أكرم مرسي(٢٠٠٧) بعنوان "منهج الدكتور يوسف القرضاوي في تجديد الفقه الإسلامي" إلا أن هاتين الدراستين لم تتطرقا للجانب التربوي في كتابات الشيخ القرضاوي وقد جاءت هذه الدراسة الأولى التي تتناول ملامح الفكر التربوي للشيخ القرضاوي خاصة، وان الشيخ القرضاوى بالرغم من غزارة مؤلفاته وتعدد موضوعاتها فإنه لم يؤلف كتابا منفردا عن التربية، وتناثر الموضوع في العديد من مؤلفاته، وهى محاولة لتجميع أراء القرضاوى التربوية ومن هنا جاءت الحاجة إلى دراسة معالم الفكر التربوي للشيخ القرضاوى وكسرا للقاعدة المتعارف عليها في الرسائل العلمية من عدم الكتابة عن الأعلام المعاصرين والله اسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مشكلة الدراسة:

يزخر تاريخ الإسلام بالعلماء والمصلحين الذين أوقفوا حياتهم لحمل رسالة العلم والإصلاح في مختلف الميادين العلمية والتربوية والثقافية والاجتماعية، ومن الذين برزوا في هذا الميدان في العصر الحديث الشيخ يوسف القرضاوي حيث آمن بأن ما تعانيه الأمة اليوم من ضعف و تراجع في كافة الميادين إنما يعود إلي التربية وضعف مناهجها وأنه يجب التأصيل لهذه المناهج وتقويم الكثير من مفاهيمها الخاطئة وترشيد أعمالها. وتتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما **ملامح الفكر التربوي الإسلامي في ضوء كتابات الشيخ يوسف القرضاوي ؟**

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١- ما الظروف التي نشأ فيها الشيخ يوسف القرضاوى وأسهمت في تشكيل شخصيته ؟
٢- ما خصائص التربية الإسلامية في ضوء كتابات الشيخ القرضاوي ؟
٣- ما نظرة القرضاوي للعلم في ضوء كتاباته؟
٤- ما تصور الشيخ القرضاوي للقيم في ضوء كتاباته ؟
٥- ما رؤية الشيخ القرضاوي في التعاطي مع قضايا المرأة ؟
٦- ما نظرته للتغير الثقافي والاجتماعي من خلال كتاباته ؟

أهداف الدراسة:

١- الكشف عن العوامل التي أسهمت في تشكيل شخصية الشيخ القرضاوي.
٢- التعرف إلي خصائص التربية الإسلامية في ضوء كتاباته .
٣- الكشف عن نظرة القرضاوي للعلم في ضوء كتاباته.
٤- إبراز تصور الشيخ القرضاوي للقيم في ضوء كتاباته.
٥- الوقوف علي نظرة الشيخ القرضاوي في التعاطي مع قضايا المرأة.
٦- الكشف عن نظرته للتغير الثقافي والاجتماعي من خلال كتاباته.

أهمية الدراسة:

١- تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية ودور العلامة الدكتور القرضاوي وعلى حد علم الباحث فإن الشيخ القرضاوي- حفظه الله- من ابرز العلماء والدعاة في هذا العصر.
٢- تعد هذه الدراسة دعوة إلى إثراء المناهج التجديدية المعاصرة في مجال التربية.
٣- تفتح الدراسة الطريق أمام الباحثين التربويين،لإجراء المزيد من الدراسات حول كتابات الشيخ يوسف القرضاوي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٤- يمكن أن يستفيد من هذه الدراسة المشرفون، التربويون، والمديرون، والمعلمون، والخطباء، و المؤسسات التربوية المتنوعة.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على الجوانب التربوية من كتابات الشيخ يوسف القرضاوي، وهي منتشرة في ثنايا كتبه التالية:

١- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده
٢- الإيمان والحياة
٣- الحل الإسلامي فريضة وضرورة
٤- الرسول والعلم
٥- الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته
٦- من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي وأسلوب تحليل المحتوي بطريقة كيفية من خلال التعرف على سيرة الشيخ القرضاوى وقام الباحث باستقصاء ملامح الفكر التربوي الإسلامي للشيخ القرضاوي المبثوثة في مؤلفاته حيث طبيعة الدراسة تقتضى ذلك.

مصطلحات الدراسة:

الفكر التربوي: يقصد به تلك الآراء والتصورات والمبادئ التي قدمها علماء التربية، أو النظرية التربوية كما يتصورها علماء التربية (مرسي،٢٠٠٠: ٦).

فالفكر التربوي هو: "ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعلم الإنساني، وتنمية الشخصية وشحذ قدراتها ويتضمن: النظريات والمفاهيم والقيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان" (زيادة، ٢٠٠٢: ٢٤).

الفكر التربوي الإسلامي: عبارة عن "مجموعة الآراء والأفكار، والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء، والفلاسفة، والعلماء المسلمين وتتصل اتصالاً مباشرا بالقضايا والمشكلات التربويةً" (الخطيب، ١٩٩٥: ٤٤).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الدراسات السابقة:

يوجد العديد من الدراسات السابقة في هذا المجال إلا أن الباحث لم يعثر على دراسات سابقة عن الآراء التربوية للشيخ يوسف القرضاوى- على حد علم الباحث- واهم الدراسات التي عالجت الآراء التربوية والفكر التربوي عند أعلام المسلمين بشكل عام:

١- دراسة مرسي (٢٠٠٧) بعنوان: "**منهج الدكتور يوسف القرضاوي في تجديد الفقه الإسلامي**". هدفت إلي إبراز منهج العلامة القرضاوي في تجديد الفقه الإسلامي والذي يرجع إلى عدة أمور أهمها معالجة قضية التجديد في استنباط الأحكام الشرعية، مراجعا تلك الأصول التي استقر عليها علم أصول الفقه في استنباط الأحكام. والرد العملي على من يتهم الفقه بالجمود والتقليد، ويتهم الفقهاء بغلق عقولهم على القديم وتعطيل الاجتهاد في الأمة، وأيضا على من يريدون فتح باب الاجتهاد بلا ضوابط، ليلج منه كل أحد بلا ضابط أو شرط.. ولقد أبرزت نتائج الدراسة أن تجديد الفقه الإسلامي خصيصة أساسية من خصائصه، كما أنه ضرورة يتطلبها العصر بمستجداته وتحدياته.كذلك أوضح الباحث أن علم أصول الفقه علم غير قطعي بل هو علم قابل للتجديد؛ لأن الفقه لن يتجدد دون تجدد طرق استنباط الأحكام الشرعية من النصوص، والدكتور القرضاوي رجح أن أصول الفقه علم غير قطعي، مخالفا للشاطبي ولكثير من الفقهاء، موضحا أن منه ما هو قطعي، ومنه ما هو ظني.والدكتور القرضاوي استكمل مقومات الاجتهاد وتوافرت فيه شروطه، حتى استطاع أن يدلي بدلوه في كافة القضايا، مستنبطا مباشرة من الكتاب والسنة، من غير اعتماد على مذهب معين أو عالم محدد.ومن أجل تيسير الاجتهاد على العلماء ودفع الكثير منهم لاستكمال عدته، قام العلامة القرضاوي بضبط مصطلح الاجتهاد وتيسير شروطه بقدر ما يسعه التيسير، وضبط حكمه، كما أنه يرى أن الاجتهاد يتجزّأ، ويرفض التعصب المذهبي والتقليد لمن توافرت فيه درجة النظر.

٢- دراسة محمد (٢٠٠٦) بعنوان: "**الطابع الأدبي في خطابة القرضاوي**" وقد هدفت الدراسة إلى إبراز حاجة الناس بصفة عامة والخطباء بصفة خاصة إلى الوقوف على سمات الطابع الأدبي الذي يؤثر في نفوس السامعين، ويستميل عقولهم، مؤكدا على مكانة الشيخ القرضاوي لدى رجال الأزهر. وكشف الباحث عن أن حبه لفضيلة الشيخ كان أحد دوافعه لدراسة تراث القرضاوي، وتتبع مؤلفاته وما كتب عنه وأحاديثه من خلال قنوات الإعلام المختلفة. وكشفت الرسالة النقاب عن جوانب الموهبة المتميزة لدى فضيلة الشيخ منذ الصغر، والتي من مظاهرها أنه يعد أحد شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، وقد نظم قصائد وأناشيد رددها دعاة الإسلام فأيقظت القلوب بالإيمان وأشعلت الأرواح بالجهاد، ومن شعره قصيدته النونية، وهي أشبه بملحمة تصور محنته وآلامه. ومن ابرز نتائج الدراسة ما كان عليه الطابع الأدبي للشيخ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
القرضاوي في خطابته، وتدل على منزلته ومكانته بين الخطباء المعاصرين له من ذوي الأثر والتأثير في النهضة الخطابية المعاصرة.

٣- دراسة أبو دف (٢٠٠٦) بعنوان: "**معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن**". وهدفت الدراسة إلي الكشف عن معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن والتي تمثلت في تجسيد الإعجاز التربوي في القرآن الكريم من خلال توافقه مع الفطرة الإنسانية وتركيزه علي الأساليب العملية في التربية وتوجيهه المتعلمين نحو الانفتاح علي خبرات الآخرين، والاستفادة من التجارب النافعة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي. وان الفطرة الإنسانية لها استعداد مزدوج للخير والشر وهي عرضة للانحراف والفساد إذا ما خرجت عن ناموس الكون وانغمست في الترف والملذات، كما بينت الدراسة أن سيد قطب قدم مفهوما عمليا للتغير الاجتماعي والثقافي من خلال ربطه بالإرادة الإنسانية وتأكيده علي دور التربية فيه وان الأسرة المسلمة محضن أساس وفاعل في تربية النشء المسلم ولا يمكن الاستغناء عنه وينبغي العمل علي حمايته وتفعيل دوره التربوي كما أكد قطب علي ضرورة وجود الجماعة المسلمة والتي تتمثل في تربية الفرد المسلم ورعاية الأسرة.

٤- دراسة الشيخ(٢٠٠٤) بعنوان: "**الفكر التربوي عند أبي الحسن الندوي**". هدفت الدراسة إلى إبراز الفكر التربوي عند أبي الحسن الندوي، هذا المصلح الذي أدى أدواراً مقدرة في التأصيل الإسلامي في ميادين شتى، ومنها الميدان التربوي موضوع هذه الدراسة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي الإجرائي وبين الباحث أن الشيخ أبو الحسن عاش (١٩١٤-١٩٩٩) حقبة من الزمن شهد فيها الضعف الذي أصاب أمته لأسباب داخلية وأخرى خارجية، مما أقعدها عن القيام بدورها الرائد في مسيرة الحضارة الإنسانية، وقد كان لضعف الأمة أثر في نفس هذا المفكر، الذي شاهد تقليد المجتمعات الإسلامية لثقافات أجنبية لا تمت إلى ثقافتها وتراثها الحضاري بصلة، وقد أكد في كثير من كتاباته، وأحاديثه، ورسائله، قدره الأمة على استعادة دورها إذا ما توفر العزم والإخلاص في تربية الأجيال، وفق ثقافة المجتمع الأصلية، والإفادة من فكر المصلحين فيها.

٥-دراسة المزين (١٩٩٨) بعنوان: " **الفكر التربوي عند احمد بن مصطفى بن خليل الشهير بـ طاش كبري زاده**". هدفت إلى دراسة معرفة ملامح الفكر التربوي عند احمد بن مصطفى من خلال التعرف إلى أهم القوى التي عملت علي تشكيل الفكر التربوي عنده والوقوف على نظرته الفلسفية إلى الطبيعة الإنسانية وطبيعة المعرفة ومعرفة أرائه التربوية حول عناصر المنهاج والكشف عن مفهوم التعلم واهم مقوماته واثر ذلك على العملية التربوية. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وأظهرت الدراسة أهم الميادين التربوية التي تعرض لها في كتاباته وقد قدمت الدراسة توصيات ومقترحات تسهم في بلورة الفكر التربوي الإسلامي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تعليق على الدراسات السابقة:

من خلال التأمل في الدراسات السابقة، وجد الباحث اتفاقًا لأهمية دراسة سير العلماء الأجلاء، لما لهم من دور كبير في بناء الحضارات، كأحد العوامل المؤثرة في بناء ثقافة الأمم، وكان من الواضح أن تلك الدراسات بينت تأثير الشخصيات التي تناولتها في بنية عقول المتعلمين وخلقهم ومعارفهم، أما الدراسات التي تناولت الشيخ القرضاوي فمنها ما تناول الجانب الفقهي ومنها ما تناول الجانب الأدبي ، وتمثل هذه الدراسات رؤية متنوعة لمجموعة من صفوة العلماء المفكرة في العالم الإسلامي، وفي الحقيقة فإن إلقاء الضوء على هذه التركيبة لهذه النخبة من الشخصيات الإسلامية، ساعدني كثيرا علي إدراك مدى الإثراء والعمق والأصالة التي تتمتع بها تلك الشخصيات، ومنها- بالطبع- الشيخ يوسف القرضاوي وملامح فكره التربوي، موضوع الدراسة الحالية.

مميزات الدراسة الحالية:

١- انفردت الدراسة بتناولها ملامح الفكر التربوي الإسلامي لدى الشيخ يوسف القرضاوى من خلال كتاباته وخاصة أن الشيخ مع غزارة علمه وكثافة مؤلفاته، وتعدد موضوعاتها فإنه لم يؤلف كتابا مفردا في التربية، وتناثر الموضوع في العديد من مؤلفاته.

٢- كشفت الدراسة العديد من القضايا التي ميزت فكر الشيخ القرضاوي التربوي سوء فيما تعلق بخصائص التربية الإسلامية، والعلم، والقيم، وقضايا المرأة، ورؤيته للتغير الاجتماعي والثقافي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثانـي

ظروف نشأة الشيخ يوسف القرضاوي وتأثيرها في تشكيل شخصيته

- **ترجمة الشيخ يوسف القرضاوي**
  - النشأة والمؤهلات
  - شخصيات تأثر بها
  - أعماله الرسمية
- **جهوده ونشاطه في خدمة الإسلام**
  - مجال التأليف العلمي
  - مجال الدعوة والتوجيه
  - مجال الفقه والفتوى.
  - مجال المؤتمرات والندوات
  - مجال الزيارات والمحاضرات
  - مجال المشاركة في عضوية المجالس والمؤسسات
  - مجال الاقتصاد الإسلامي
  - مجال العمل الاجتماعي
  - مجال ترشيد الصحوة
  - مجال العمل الحركي والجهادي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ظروف نشأة الشيخ يوسف القرضاوي وتأثيرها في تشكيل شخصيته

حفظ الشيخ القرضاوي القرآن الكريم وجوّده وهو دون العاشرة، أتم تعليمه في الأزهر الشريف، اشتغل القرضاوي بالدعوة منذ فجر شبابه وتنوع عطاؤه بتنوع مواهبه، سواء في مجال الخطابة فهو خطيب مؤثر، يقنع العقل ويهز القلب .. أو في مجال الفقه فهو فقيه تميّز بالرسوخ والاعتدال، ومفكر وعالم متمكن في شتى العلوم الإسلامية، جمع بين علوم أهل النظر، وعلوم أهل الأثر..وشاعر حفظ شعره الكثير من الشباب الإسلامي.

ترجمة الشيخ يوسف القرضاوي

سيعرض الباحث ترجمة الشيخ القرضاوي من خلال الحديث عن نشأته ومؤهلاته، والشخصيات التي تأثر بها، وأعماله الرسمية، وجهوده في خدمة دعوته.

النشأة والمؤهلات

ولد الدكتور: يوسف القرضاوي في إحدى قرى جمهورية مصر العربية، قرية صفت تراب مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، وهي قرية عريقة دفن فيها آخر الصحابة موتاً بمصر، وهو عبد الله بن الحارث الزبيدي، كما نص الحافظ ابن حجر وغيره، وكان مولد القرضاوي فيها في ٩-٩-١٩٢٦، مات أبوه وعمره عامان فتولى عمّه تربيته،حفظ الشيخ القران الكريم و هو دون العاشرة، وقد التحق بالأزهر الشريف حتى تخرج في الثانوية و كان ترتيبه الثاني ثم التحق الشيخ بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ومنها حصل على الإجازة العالية سنة ١٩٥٣ وكان ترتيبه الأول بين زملائه وعددهم مائة وثمانون طالبًا، حصل الشيخ يوسف القرضاوي على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب في سنة ١٩٥٨، لاحقا في سنة ١٩٦٠حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، وفي سنة ١٩٧٣م حصل على (الدكتوراه) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، وكان موضوع الرسالة عن (الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية). (القرضاوي، ٢٠٠١: http://www.qaradawi.net/).

شخصيات تأثر بها

كان الدين في قرى مصر بصفة عامة هو المؤثر الأول في حياة الناس، الموجه الأول لتفكيرهم، والمصدر الأول لتثقيفهم، والمؤثر الأول في سلوكياتهم. وكان أهم مؤسسة في القرية

This file was downloaded from QuranicThought.com

هي (المسجد)، وأهم شخصية مؤثرة في القرية هي شخصية (عالم الدين). ومن أهم من تعرف عليه الشيخ القرضاوي في المرحلة الثانوية، واتصل به عن قرب، واستفاد من حلقاته ومجالسه، والتقط من لآلئه وجواهره: شيخنا الداعية الكبير البهي الخولي، الذي عرفه في المعهد الابتدائي مدرسا للمحفوظات التي حوّل حصتها إلى ثقافة ودعوة. كان الشيخ البهي هو المسئول عن نشر الدعوة في مديرية الغربية، أو بتعبير الإخوان: في المكتب الإداري، فقد قسم الإخوان القطر المصري – حسب تقسيمه الإداري – إلى مكاتب إدارية، في كل مديرية (مكتب)، وتحت كل مكتب (مناطق) في كل مركز إداري (منطقة) وتحت كل منطقة (مراكز جهاد) يضم كل مركز عدة قرى، وفي كل قرية (شعبة) للإخوان. فكان الأستاذ البهي رجل الدعوة الأول في مكتب إداري الغربية، وكان يقدم المحاضرات في دار الإخوان، بين فترة وأخرى. ثم ضم هذه المحاضرات ونشرها في كتاب قيم فريد في بابه سماه: "تذكرة الدعاة" قدّم له الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان، واعتبره من "رسائل الإخوان المسلمين". ولقد فكر الأستاذ البهي أن يصطفي نخبة من خيرة شباب الإخوان، يدنيهم منه، ويربيهم في مدرسته، ويلقنهم فكره وذوقه، ويأخذهم بعزائم السلوك، فقد أكد رجال التربية الروحية حاجة المريد إلى شيخ يأخذ عنه، ويقتبس من نوره، وأن صحبة الشيخ لا يغني عنها قراءة الكتب، حتى قال بعضهم: من لا شيخ له فشيخه الشيطان. وقد اختار الشيخ لهذه المجموعة اسم (كتيبة الذبيح). ويراد بالذبيح: سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، والذي رفع قواعد البيت مع أبيه إبراهيم الخليل، وقد ذكر لنا القرآن الكريم في سورة الصافات قصته مع أبيه بعد أن بلغ معه السعي، وأضحى يرتجى منه ما يرتجى من الشباب في معاونة أبيه. فجاء الامتحان الإلهي البليغ للأب الذي بلغ به اليقين أن ضحى بولده وفلذة كبده، امتثالا لإشارة الوحي من ربه، وللابن الذي بلغ به اليقين أن قدّم عنقه، طاعة لأمر ربه، ولم يتلكأ أو يتردد، بل كان كما قال القرآن: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢). يقول الشيخ البهي وهو يشرح لهم القصة في أول جلسة: انظر إلى الابن كيف قال لأبيه، وقد عرض عليه ذبحه: "﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ (الصافات: ١٠٢) ولم يقل: افعل (بي) ما تؤمر، فكأنما غاب عن نفسه، وفني عن ذاته، وقال لأبيه: نفذ ما عندك من أوامر الله، ولن تجد مني إلا الطاعة والصبر على أمر الله. ولم يفعل ذلك ادعاء للشجاعة والبطولة، بل وكّل الأمر إلى الله يسدده ويشد أزره، حين قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢). كان موعد اللقاء قبيل فجر الاثنين من كل أسبوع، وفي بيت الأستاذ، يصلي معه الفجر، ثم يجلس في حلقته الروحية، التي يحلق بهم فيها إلى أجواء ربانية عالية. وكان يناقش يسأل في كل ما لا يقتنع به عقله، أو يطمئن إليه قلبه، وقد ظن الشيخ البهي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رحمه الله أن له موقفا مضادا من التصوف وأهله، ثم فوجئ بكتابه: "العبادة في الإسلام"، و"الإيمان والحياة" فوجد فيهما نزعة ربانية أصيلة، وقال له بعد أن أهداهما له: كيف خبأت عنا هذه الروحانية العميقة بمناقشاتك القديمة، التي جعلتنا نفهمك على غير حقيقتك؟ قال له: يا فضيلة الأستاذ المناقشة جزء من كياني، وربما يضيق بها الصوفية الذين يقولون: من قال لشيخه: لِمَ؟ لم يفلح، ويقولون: المريد بين يد الشيخ كالميت بين يد الغاسل، ولكني تلميذك الأمين فيما قررته في كتابك الفريد "تذكرة الدعاة" عن (الروحانية الاجتماعية)، فأنا مع (الربانية) ولست مع (الرهبانية) كما قال الشيخ أبو الحسن الندوي. (القرضاوي، ٢٠٠١: http://www.qaradawi.net/).

ومن الشخصيات التي تأثر بها الشيخ القرضاوي الشيخ أبو الحسن الندوي الذي زار مصر في يناير سنة ١٩٥١، والذي التقى به الشيخ القرضاوي وقد تأثر بفكره، وقد قام القرضاوي بتأليف كتاب عن الشيخ أبي الحسن الندوي، تحت عنوان (الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته)،كان واضحا فيه تأثر الشيخ القرضاوي بفكر الندوي، وخاصة بعد قراءته لكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟)، وبعد أن قرأ أيضا كتبه ورسائله، وكان له ذوق وحس أدبي، فقد نشأ وربا في حجر لغة العرب وأدبها منذ نعومة أظفاره، في وقت لم يكن يعنى أحد بهذا الأمر، لحكمة يعلمها الله تعالى؛ ليكون همزة وصل بين القارة الهندية وأمة العرب، ليخاطبهم بلسانهم، فيفصح كما يفصحون، ويبدع كما يبدعون، بل قد يفوق بعض العرب الناشئين في قلب بلاد العرب. ولقد قرأ الرسائل الأولى للشيخ الندوي التي اصطحبها معه حينما زار القاهرة سنة١٩٥١ ومنها: من العالم إلى جزيرة العرب، ومن جزيرة العرب إلى العالم.. معقل الإنسانية .. دعوتان متنافستان... بين الصورة والحقيقة... بين الهداية والجباية وغيرها. فوجد فيها نفحات أدبية جديدة في شذاها وفحواها، حتى علق الشيخ الغزالي- رحمه الله- على تلك الرسائل بقوله: هذا الدين لا يخدمه إلا نفس شاعرة! فقد كانت تلك الرسائل نثرا فيه روح الشعر، وعبق الشعر. وقرأ بعدها مقالة: اسمعي يا مصر..ثم اسمعي يا سوريا.. اسمعي يا زهرة الصحراء.. اسمعي يا إيران.. وكلها قطرات من الأدب المُصَفَّى. وقرأ كتبه في مجلة (المسلمون) الشهرية المصرية، التي كان يصدرها الداعية المعروف الدكتور سعيد رمضان: ما كتبه من قصص رائع ومشوق عن حركة الدعوة والجهاد، التي قام بها البطل المجاهد أحمد بن عرفان الشهيد، وما كتبه من مقالات ضَمَّنَها كتابه الفريد (الطريق إلى المدينة) الذي قدمه أديب العربية الأستاذ على الطنطاوي- حفظه الله- وقال في مقدمته: يا أخي الأستاذ أبا الحسن! لقد كدت أفقد ثقتي بالأدب، حين لم أَعُد أجد عند الأدباء هذه النغمة العُلْوِيَّة، التي غَنَّى بها الشعراء، من لَدُنْ الشريف الرضي إلى البُرَعِي، فلما قرأت كتابك وجدتها، وجدتها في نثر هو الشعر، إلا أنه بغير نظام، ولاغرو أن رأيناه يحفظ الكثير الكثير من شعر إقبال، وقد ترجم روائع منه إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

العربية، وصاغه نثرا هو أقرب إلى الشعر من بعض من ترجموا لإقبال شعرا. (القرضاوي: ٢٠٠١، ٧٥).

ومن الشخصيات التي أثرت في فكر ومشاعر وسلوك القرضاوي هي شخصية الإمام "حسن البنا"، وكغيره أعجب القرضاوي بإمامه "البنا".. بل إنه يجعل لقاءَه بالبنا هو إحدى حادثتين مهمَّتين كانتا في عام واحد، الحادثة الأولى: لقاؤه بالإمام "حسن البنا" والحادثة الثانية: وفاة أمه. وكان أول لقاء رأى فيه القرضاوي شيخه "البنا" وهو في السنة الأولى من المرحلة الابتدائية حين زارَ الإمام البنا "طنطا"، وقد أولع القرضاوي بما سمع من حديث عن الهجرة لم تسمع أذناه مثله من قبل. وعندما يتحدث القرضاوي عن إمامه فيصفه بأنه "القائد المنتظر" وأنه "رجل المرحلة"... إنه يرى أن "حسن البنا" كان قدرًا مصنوعًا، وحكمةً مدبَّرة لبعث هذه الأمة؛ لذا فهو يقول: كان القدر الأعلى يصنع على عينه رجلاً يعدّه لمهمة، ويسدّ به ثغرة، كان الرجل هو "حسن البنا"، وكانت المهمة هي إيقاظ الأمة من رقود، وبعثها من همود، وتحريكها من جمود، وبعبارةٍ أخرى إحياء عقل الأمة وضميرها، وتفجير طاقاتها المكنونة بتجديد الإسلام فيها، وجمعها على رسالته، والإيمان به هدفًا ومنهاجًا للحياة، والجهاد في سبيل تمكينه في الأرض. كانت الأمة في حاجة إلى عقل جديد، وقلب جديد، وعزم جديد، ودم جديد، وكانت في حاجة إلى أن تتجسَّد هذه المعاني في رجل يضع يده في يد الله، لينير له الطريق، ويهديه السبيل. ولقد كان القرضاوي حريصًا كل الحرص على سماع الإمام البنا، وقد سافر أكثر من مرة ليستمع إليه في مدن الوجه البحري بمصر، وحين يسمع القرضاوي شيخه وهو يقول: "الناس في حاجة إلى رجل ذي قلب يفيض من قلبه على قلوب من حوله، ومن هذا الفيض الرباني يفيضون على من حولهم، وبهذا يتحوَّلون من حال إلى حال، ويخرجون من الظلمات إلى النور"، فيعقِّب قائلاً: وكأن حسن البنا يتحدث عن نفسه، فهو الرجل المنشود "ذو القلب"، كما أنه أيضًا "ذو العقل"، والإسلام أبدًا يقوم على القلب النقي والعقل الذكي، وهما يثمران العزم النقي، والسلوك السوي. ويرى القرضاوي في الإمام الشهيد قائدًا بالفطرة والخبرة والثقافة، فيقول وهو يعدِّد عوامل نجاح حركة الإخوان المسلمين: ومن ضمن هذه العوامل قائدٌ مربٍّ بفطرته وبثقافته وبخبرته، وهبَه الله شحنةً إيمانيةً نفسيةً غير معتادة، أثرت في قلوب من اتصل به، وأفاض من قلبه على قلوب من حوله، وكان أشبه بـ"المولِّد" أو "الدينامو" الذي ملأ منه الآخرون بطاريات قلوبهم. كما يرى القرضاوي أن وظيفة إمامه كانت هي البناء، وأن الإمام كان له من اسمه نصيب فيقول: كان حسن البنا مؤسس الحركة له من اسمه نصيب أيّ نصيب، فكان حقًّا رجل بناء لا رجلَ هدمٍ، ورجلَ عملٍ لا رجل كلام، ورجل واقع لا رجل خيال. وقد أعجب القرضاوي كذلك بإيجابية الإمام البنا فيقول: هكذا أراد البنا لدعوته وحركته أن تكون دعوةَ عمل وبناء وإنتاج، لم يُرِد لها أن تكون مجرد حركة أكاديمية أو فلسفية، تعيش في أبراج

This file was downloaded from QuranicThought.com

عاجية تتخيَّل جمهورية مثالية، كجمهورية أفلاطون، أو مدينة فاضلة كمدينة الفارابي، وإن كان للفكر والعلم فيها مكان أي مكان. كل هذه الميزات جعلت القرضاوي معلَّقَ القلب بشيخه، ويصارع الأيام التي تعوقه من الذهاب من طنطا إلى القاهرة، ليزداد قربًا من شيخه وإمامه، يقول الشيخ القرضاوي: وكم كنت معلَّقَ القلب بذلك اليوم الذي أفرغ فيه من دراستي الثانوية بطنطا وألتحق بجامعة الأزهر؛ حيث تتاح لي فرصة اللقاء والملازمة والتتلمذ المباشر للإمام البنا، ولكنَّ القدَر كان يخبِّئ شيئًا آخر للرجل الكبير، وهو الشهادة في سبيل الله. ولكن تعلُّق القرضاوي بالبنا إنما كان لعطائه وإخلاصه وتعدد مواهبه وملكاته، لذا فإن القرضاوي يؤكد أن شخصية البنا هي الشخصية الوحيدة الحيَّة التي تأثر بها، وأعجب بها، ولم ترتَقِ شخصيةٌ أخرى من الأحياء إلى هذا المستوى، يقول- حفظه الله-: والحق أني لم أعجب بشخصية حية لقيتها وتأثرت بها كما أعجبت بشخصية الشهيد "حسن البنا"، الذي آتاه الله من المواهب والملكات ما تفرق في عدد من الشخصيات. وحين يعدد الشيخ القرضاوي مواهب إمامه فيذكر أنه: جمع بين العلم والتربية، ومزج بين الفكر والحركة، وربط بين الدين والسياسة، ووصل ما بين الروحانية والجهاد، وكان النموذج الحي للرجل القرآني، والمعلم الرباني، والمجاهد الإسلامي، والداعية العصري، والمنظم الحركي، والمناضل السياسي، والمصلح الاجتماعي. ويرى القرضاوي أن "حسن البنا"- رحمه الله- استطاع أن يجمع في الصفوف بين السلفية والصوفية، وأن يطعِّم كل واحد من الآخر، فهو يقول معقبًا على كلام الأستاذ محمد المبارك-رحمه الله- "نسلف الصوفية، ونصوف السلفية" وأحسب أن هذا ما حاول الإمام "حسن البنا" الذي كان يجمع- في رأيي- عقلية السلفي الملتزم، وروحانية المتصوف المحلّق. هذه الأمور وغيرها جعلت القرضاوي يبحث عن تراث البنا، وكلما وجد كلمةً أو رسالةً أو محاضرةً قرأ ما فيها واستوعب ما كتب، وهو شديدُ اللوم على ورثة الإمام الشهيد وعلى جماعة الإخوان لأن تراث الإمام لم يُجمَع إلى وقتنا هذا. وقد ترجم القرضاوي إعجابَه بإمامه وتراثه إلى تراثٍ مكتوب، ولعل ذلك يبدو ظاهرًا، فيما كتبه الشيخ عن الجماعة والإمام في كتابَيه: "الإخوان المسلمون" و "التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا". ويؤكد الشيخ أن أروع ما قرأه للإمام هو رسالة التعاليم فيقول: وكان مما شدَّني وبهَرني من تراث الإمام "البنا" رسالته الفريدة المركزة التي أرسَى بها دعائم العمل الحركي الجماعي وهي رسالة التعاليم. وقد قام الشيخ بشرح هذه الأصول العشرين التي حوَتها رسالة التعاليم في سلسلة تحت عنوان "نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام" صدر منها:

١- شمول الإسلام.

٢- المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة.

٣- موقف الإسلام من الإلهام والكشف.

٤- السياسة الشرعية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

٥- موقفنا من التراث.

٦- فصول في العقيدة.

وبالرغم من كل هذا الحب فلم يكن القرضاوي مقدِّسًا لشيخه أو مدَّعيًا له العصمة، وهو القائل في أصوله العشرين: كلٌّ يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم- صلى الله عليه وسلم- لذا فتراه يقول: و"حسن البنا" نفسه لم يكن جامدًا بل كان دائم التجديد والتطوير والأساليب في أبنية الحركة ومؤسساتها وأنظمتها، ولن يضيق الشهيد "حسن البنا" في قبره إذا خالفه بعض أبنائه وأتباعه في قضية من القضايا التي كان له فيها رأيٌ من قبل. (الجزيرة نت، ٢٠٠٦: http://www.aljazeeratalk.net).

أعماله الرسمية

عمل الدكتور: القرضاوي فترة بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفاً على معهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف في مصر. ونقل بعد ذلك إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد. وفي سنة ١٩٧٣ حصل على (الدكتوراه) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، وموضوعها: "الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية". وفي سنة ١٩٦١ أعير إلى دولة قطر، عميدا لمعهدها الديني الثانوي، فعمل على تطويره وإرسائه على أمتن القواعد، التي جمعت بين القديم النافع والحديث الصالح. وفي سنة ١٩٧٣ أنشئت كليتا التربية للبنين والبنات نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه. وفي سنة ١٩٧٧ تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وظل عميداً لها إلى نهاية العام الجامعي ١٩٨٩-١٩٩٠، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، ولا يزال قائما بإدارته إلى اليوم. وقد أعير من دولة قطر إلى جمهورية الجزائر الشقيقة العام الدراسي ١٩٩٠-١٩٩١ ليترأس المجالس العلمية لجامعتها ومعاهدها الإسلامية العليا، ثم عاد إلى عمله في قطر مديرا لمركز بحوث السنة والسيرة. حصل على جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام ١٩٩٠. كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام ١٩٩٢. كما حصل على جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعام ١٩٩٦. كما حصل على جائزة السلطان حسن البلقية (سلطان بروناي) في الفقه الإسلامي لعام ١٩٩٧. (القرضاوي، ٢٠٠١: http://www.qaradawi.net/).

This file was downloaded from QuranicThought.com

جهوده ونشاطه في خدمة الإسلام

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه. ولا يوجد مسلم معاصر إلا التقى به قارئاً لكتاب، أو رسالة، أو مقالة، أو فتوى، أو مستمعاً إلى محاضرة، أو خطبة أو درس أو حديث أو جواب، في جامع أو جامعة، أو ناد، أو إذاعة، أو تلفاز، أو شريط، أو غير ذلك. ولا يقتصر نشاطه في خدمة الإسلام على جانب واحد، أو مجال معين، أو لون خاص بل اتسع نشاطه، وتنوعت جوانبه، وتعددت مجالاته، وترك في كل منها بصمات واضحة تدل عليه، وتشير إليه. وسنحاول أن ننبه هنا على أهم هذه المجالات وأبرزها، وهي:

مجال التأليف العلمي.
مجال الدعوة والتوجيه.
مجال الفقه والفتوى.
مجال المؤتمرات والندوات.
مجال الزيارات والمحاضرات.
مجال المشاركة في عضوية المجالس والمؤسسات.
مجال الاقتصاد الإسلامي.
مجال العمل الاجتماعي.
مجال ترشيد الصحوة.
مجال العمل الحركي والجهادي.

(موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/).

أولا: مجال التأليف العلمي

الكتابة والتأليف من أهم ما برز فيه الدكتور القرضاوي، فهو عالم مؤلف محقق كما وصفه العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه "رسائل الأعلام" وكتبه لها ثقلها وتأثيرها في العالم الإسلامي، كما وصفها بحق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- يرحمه الله- والناظر في كتبه وبحوثه ومؤلفاته يستيقن من أنه كاتب مفكر أصيل لا يكرر نفسه، ولا يقلد غيره، ولا يطرق من الموضوعات إلا ما يعتقد أنه يضيف فيه جديداً من تصحيح فهم، أو تأصيل فكر، أو توضيح غامض، أو تفصيل مجمل، أو رد شبهة، أو بيان حكمة أو نحو ذلك. وقد ألف الشيخ يوسف القرضاوي في مختلف جوانب الثقافة الإسلامية كتباً نيفت على المائة الخمسين، أصيلة في بابها، تلقاها أهل العلم في العالم الإسلامي بالقبول والتقدير، ولهذا طبعت بالعربية مرات كثيرة، وترجم

This file was downloaded from QuranicThought.com

أكثرها إلى اللغات الإسلامية والعالمية، فلا تكاد تذهب إلى بلد إسلامي إلا وجدت كتب القرضاوي هناك إما بالعربية أو باللغة المحلية. وتميزت هذه الكتب بعدة مزايا:

أولاً: استندت بصفة أساسية إلى أصول تراثنا العلمي الإسلامي المعتمد على الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، ولكن لم تنس العصر الذي نعيش فيه فجمعت بين الأصالة والمعاصرة بحق.

ثانياً: جمعت بين التمحيص العلمي والتأمل الفكري، والتوجه الإصلاحي.

ثالثاً: تحررت من التقليد والعصبية المذهبية، كما تحررت من التبعية الفكرية للمذاهب المستوردة من الغرب أو الشرق.

رابعاً: اتسمت بالاعتدال بين المتزمتين والمتحللين، وتجلت فيها الوسطية الميسرة بغير تفريط ولا إفراط.

وهكذا قال بحق مدير مجلة الأمة في تقديم كتاب "الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف" أنه من المفكرين الإسلاميين القلائل الذين يتميزون بالاعتدال ويجمعون بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر.

خامساً: يمثل أسلوبه في الكتابة ما يعرف بـ "السهل الممتنع" فهو أسلوب عالم أديب متمكن.

سادساً: وقفت بقوة في وجهه دعوات الهدم والغزو من الخارج، ودعوات التحريف والانحراف من الداخل، والتزمت الإسلام الصحيح وحده، تنفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

سابعاً: يلتمس قارئ كتبه فيها الحرارة والإخلاص، كما يلمس ذلك مستمع خطبه ومحاضراته ودروسه، وقد أجمع كل من كتبوا عنه: أن مؤلفاته وكتاباته تجمع بين دقة الفقيه، وإشراقة الأديب، وحرارة الداعية، ونظرة المجدد. كما أن له بجوار كتبه العلمية كتباً ذات طابع أدبي، مثل مسرحية "عالم وطاغية" التي تمثل ثبات سعيد بن جبير في مواجهة طغيان الحجاج. وله ديوان بعنوان "نفحات ولفحات" يضم عدداً مما بقي من قصائده القديمة، بالإضافة إلى بعض القصائد الجديدة والأناشيد الموجهة. وقد انتشرت أناشيده وقصائده في العالم الإسلامي وتغنى بها الشباب في المناسبات حتى قبل طبع الديوان. هذا إلى جانب كتب أخرى اشترك في تأليفها لوزارة التربية في قطر، وللمعهد الديني خاصة، وقد زادت على العشرين كتاباً، أقرتها الوزارة في مدارسها، وهي تتناول التفسير والحديث والتوحيد والفقه والمجتمع الإسلامي، والبحوث الإسلامية، وفلسفة الأخلاق، وغيرها، هذا بخلاف البحوث والدراسات والمقالات التي نشرت في الحوليات والمجلات العلمية: الفصلية والشهرية والأسبوعية، وسنشير إلى شيء منها بعد. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكان من أبرز الكتب التي اعتمدها الباحث

١-ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده

يلقي هذا الكتاب الضوء على الملامح الأساسية للمجتمع المسلم المنشود، ويقرر أن العقيدة هي أول أساس يقوم عليه وبه المجتمع المسلم، وأن عقيدة الإسلام تتمثل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. ويرى أن العبادات والشعائر التي فرضها الله على المسلمين هي المقوم الثاني إذ إنها تجسيد للإيمان بالله. ويشير إلى أن المجتمع المسلم كما أنه يتميز بعقيدته وشعائره يتميز بأفكاره ومفاهيمه وتصوراته المستمدة من مصادر الإسلام النقية (الكتاب والسنة) وينوه على أن من أهم ما يميز المجتمع المسلم أن ولاءه للإسلام وأهله وأنصاره كما أن عداءه لأعداء الإسلام، ويعتبر أن الأخلاق جزء أصيل من كيان هذا المجتمع. ويذكر بعض الآداب والتقاليد التي يلتزم بها المجتمع المسلم في المأكل والمشرب والزينة والملبس والنوم واليقظة والسفر والإقامة والعمل والراحة، والصداقة والصحبة والزواج والطلاق وفي العلاقة بين الرجل والمرأة عمومًا وعلاقة الأبناء بآبائهم وجيرانهم، الكبير بالصغير والغني بالفقير والرئيس بالمرؤوس. ويؤكد على أن المجتمع المسلم يصبغ كل هذه الأمور بصبغة إسلامية صرفة. ثم يناقش أمور التشريع والقانون والاقتصاد والمال واللهو والفنون والفكاهة والفرح وعمل المرأة وحكم كل منها في الشرع، وكيف يتعامل الإسلام مع كل من هذه الأمور .

٢- الإيمان والحياة

يتناول هذا الكتاب قضية الإيمان باعتبارها القضية المصيرية في حياة الإنسان. فيتعرض لمفهوم الإيمان ومحتواه مبينا أنه ليس مجرد قيام الإنسان بأعمال وشعائر فقط، كما أنه ليس مجرد معرفة نظرية فحسب بل هو عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان. ثم يتحدث عن مزايا العقيدة الإسلامية من حيث أنها عقيدة واضحة وثابتة ومبرهنة ووسط، كما أنها ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها. ثم يكشف عن أثر الإيمان في حياة الفرد من حيث الشعور بالكرامة والسعادة وسكينة النفس والرضا والأمن النفسي والأمل والثبات في الشدائد. ويوضح أثر الإيمان في حياة المجتمع من حيث انتشار القيم والأخلاق الفاضلة وتحقيق أمن المجتمع وسلامته مبينا دور الإيمان في زيادة الإنتاج وتحقيق الرفاهية ودور الإيمان في الإصلاح والتغيير.

٣- الحل الإسلامي فريضة وضرورة

يوضح هذا الكتاب فشل الحلين الدخيلين على بلادنا، وهما الحل الليبرالي الديمقراطي والحل الاشتراكي الثوري في كل مجالات الحياة مبينا ضرورة التغيير والبحث عن بديل، وهذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

البديل لا يكون إلا الحل الإسلامي. ثم يكشف عن معالم الحل الإسلامي وماهيته في كافة النواحي الروحية والأخلاقية والتربوية والثقافية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية والسياسية والتشريعية. ويوضح الشروط الأساسية التي لا بد من مراعاتها وتوافرها لتحقيق المنشود بالحل الإسلامي، ثم يتحدث عن مكاسبنا من وراء الحل الإسلامي. ثم يوضح السبيل إلى تحقيق الحل الإسلامي مبينا عدة سبل سلكتها فئات من الناس، موضحا مدى إمكانية تطبيق الحل الإسلامي عن طريق هذه السبل، ثم يقرر أن الحل الإسلامي المنشود لا بد أن تسبقه حركة إسلامية واعية شاملة تمهد له وتدعو إليه وتعد له رجاله وأنصاره.

٤- الرسول والعلم

يكشف هذا الكتاب عن موقف الرسول- صلى الله عليه وسلم- من العلم، معتمدا على الصحيح والحسن من الأحاديث، فيتحدث عن منزلة العلم والعلماء في ضوء السنة، ثم يتحدث عن موقف الرسول- صلى الله عليه وسلم- من العلم التجريبي حيث الاهتمام بالتعليم ومحاربة الأمية وتعلم اللغات واستخدام أسلوب الإحصاء والتخطيط والنزول على رأي الخبراء وأهل المعرفة وغير ذلك من التعاليم التي أرساها النبي- صلى الله عليه وسلم-. ثم يكشف عن أبرز الفضائل والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها أهل العلم ويبين ضرورة التعلم وآدابه، ثم يتحدث عن فضل التعليم وأهم القيم والمبادئ التي فصلتها السنة وعني بها الصحابة وسلف الأمة والتي تحكم عملية التعليم .

٥- الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته

يتحدث الكتاب الشيخ الندوي بوصفه إماما ربانيا وسبب حب الشيخ القرضاوي له كما يقوم الكتاب بترجمة للشيخ الندوي يتناول فيها نشأة الشيخ وولادته أبرز أساتذته وأبرز الشخصيات المعاصرة التي أثرت في حياته كما ويلقي الضوء علي حياته العملية وجهوده الدعوية ويعرف بملامح الشخصية الندوية من زهد وحرص على وحدة المسلمين، والتجميع لا التفريق وحب المسلمين له في شتي بقاع العالم كما ويلقي الضوء على مؤلفات الشيخ المتنوعة في شتي المجالات ونظرية الشيخ في التغيير والإصلاح كموجها وداعية والاهتمام بالعلم ومحو الأمية حيث هو السبيل إلى التقدم والنهوض بالأمة مما هي فيه .

٦- من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا

هذا الكتاب يحتوى على مجموعة من البحوث ،كتبها الشيخ القرضاوي ،علي فترات متباعدة منها القديم والحديث، بحوث عن الإسلام ، الشامل المتوازن، كما أن قديمها وحديثها

This file was downloaded from QuranicThought.com

تتجه إلى مصب واحد، وتسعى إلى هدف واحد: هو الإسهام في إيجاد صحوة إسلامية حقيقية أصيلة، تتميز بالرشد والنضج والاستنارة. صحوة عقول ذكية، وقلوب نقية، وعزائم فتية. صحوة تعرف غايتها وتعرف طريقها. تعرف من لها، ومن عليها. من هو صديقها، ومن هو عدوها. صحوة تعمل على تجديد الدين، وإنهاض الدنيا به. صحوة تصحح المفاهيم المغلوطة، وتقوِّم المسالك العوج، توقظ العقول النائمة، وتحرك الحياة الراكدة، وتنفخ الروح في الجثة الهامدة، فتعيد إليها الحياة والحركة والنمو. والتجميع لا التفريق وحب المسلمين له في شتي بقاع العالم كما ويلقي الضوء علي مؤلفات الشيخ المتنوعة في شتي المجالات ونظرية الشيخ في التغيير والإصلاح كموجها وداعية والاهتمام بالعلم ومحو الأمية حيث هو السبيل إلى التقدم والنهوض بالأمة مما هي فيه .

ثانيا: مجال الفقه والفتوى

ومن الجهود البارزة للدكتور القرضاوي جهوده في مجال الفقه والفتوى خاصة. فهو لا يلقى محاضرة، أو يشهد مؤتمراً أو ندوة إلا جاءه فيض من الأسئلة في شتى الموضوعات الإسلامية ليرد عليه، وردوده وأجوبته تحظى بقبول عام من جماهير المثقفين المسلمين، لما اتسمت به من النظرة العلمية، والنزعة الوسطية، والقدرة الإقناعية. وقد أصبح مرجعاً من المراجع المعتمدة لدى الكثيرين من المسلمين في العالم الإسلامي وخارجه، ومن عرف الشيخ عن كثب سمع منه أنه يشكو من كثرة الرسائل والاستفتاءات التي تصل إليه، ويعجز عن الرد عليها، فهي تحتاج إلى جهاز كامل ولا يقدر عليها جهد فرد مهما تكن طاقته ومقدرته. هذا إلى ما يقوم به من إجابات عن طريق المشافهة واللقاء المباشر، وفي أحيان كثيرة عن طريق الاتصال الهاتفي، الذي سهل للكثيرين أن يسألوه هاتفياً من أقطار بعيدة، بالإضافة إلى برامجه الثابتة في إذاعة قطر وتلفازها للرد على أسئلة المستمعين والمشاهدين. وقد بين منهجه في الفتوى في مقدمة الجزء الأول من كتابه "فتاوى معاصرة". كما وضح ذلك في رسالته "الفتوى بين الانضباط والتسيب" الذي تعرض فيها لمزالق المتصدين للفتوى وجلاها مع التدليل والتمثيل.

وخلاصة هذا المنهج أنه يقوم على التيسير لا التعسير، والاعتماد على الحجة والدليل، والتحرر من العصبية والتقليد، مع الانتفاع بالثروة الفقهية للمذاهب المعتبرة، وعلى مخاطبة الناس بلغة عصرهم، والاهتمام بما يصلح شأنهم والإعراض عما لا ينفعهم، والاعتدال بين الغلاة والمقصرين، وإعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح والتعليل. يكمل ذلك ما ذكره في كتابه "الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر" الذي كشف فيه اللثام عن مزالق الاجتهاد المعاصر، وأبان عن المعالم والضوابط اللازمة لاجتهاد معاصر قويم. وقد حرص هو أن يطبق الالتزام بهذه الضوابط فيما كتبه في الجوانب الفقهية مثل "الحلال والحرام"

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
و"فقه الزكاة" و"غير المسلمين في المجتمع الإسلامي" و"بيع المرابحة للآمر بالشراء" و"فقه الصيام" وهو حلقة من سلسلة تيسير الفقه. ولا غرو أن اختير عضواً بالمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، وخبيراً بمجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/).

ثالثا : مجال الدعوة والتوجيه

عمل الشيخ القرضاوي في مجالات عدة، ومارس أنشطة كثيرة، بين العمل الأكاديمي والعمل الإداري والثقافي، واشتغل بالفقه والفتوى، والأدب والشعر، وغير ذلك، ولكنه في المقام الأول رجل دعوة، فالدعوة إلى الله لحمته وسداه، وهي شغله الشاغل، وهي محور تفكيره واهتمامه وعلمه وعمله. وقد بدأ يمارس الدعوة منذ فجر شبابه، منذ كان طالباً في القسم الابتدائي، من معهد طنطا الثانوي، وعمره حوالي ١٦سنة، مبتدئاً بقريته، ثم بما حولها، حتى شرق وغرب العالم كله، وله إلى الدعوة منابر ووسائل شتى: منها: المنبر الطبيعي التاريخي للدعوة إلى الله، وهو: المسجد، عن طريق الخطبة والدرس. وقد كان القرضاوي وهو طالب في كلية أصول الدين يخطب في مسجد بمدينة المحلة الكبرى، المدينة العمالية الشهيرة ـ يعرف بمسجد "آله طه" الذي أطلق عليه الناس "مسجد الشيخ يوسف" وقد كان يؤمه الآلاف لصلاة الجمعة، حتى أن منشئ المسجد بنى بجواره ملحقا من عدة طوابق ليتسع للناس. وبعد خروجه من المعتقل سنة ١٩٥٦ استدعته وزارة الأوقاف عقب حرب السويس ليخطب في جامع الزمالك بالقاهرة، وقد كان يؤمه جمهور كبير حتى منع من الخطابة في عهد عبد الناصر. وحين أعير إلى قطر سنة ١٩٦١ اتخذ من المسجد وسيلة لنشر الدعوة فهو يخطب ويدرس، ويعظ ويفتي، ولا يزال إلى اليوم يلقي خطبة الجمعة في مسجد عمر بن الخطاب، الذي تذاع منه الخطبة على الهواء مباشرة عن طريق التلفاز القطري، وقد سجلت هذه الخطب وانتشرت في أنحاء العالم الإسلامي، وكذلك خطبه في عيدي الفطر والأضحى، وخصوصاً ما كان منها في ميدان "عابدين" بالقاهرة، و"الإستاد" بالإسكندرية. أضف إلى ذلك دروسه الأسبوعية بعد الجمعة، ومساء الاثنين من كل أسبوع، وكذلك دروسه الرمضانية الثابتة، وتتمثل في درس العصر في مسجد الشيخ خليفة بن حمد، التي يحرص على حضورها منذ ثلاثين عاماً، منذ كان ولياً للعهد ونائبا للأمير. ودرس العشاء بعد الترويحة في صلاة التراويح التي يصليها ثماني ركعات بجزء من القرآن، ويختم فيها القرآن كل عام. كما اتخذ من أجهزة الإعلام منبراً للدعوة أيضاً، فله دروس وأحاديث في الإذاعة والتلفاز، وبعضها في تفسير القرآن الكريم، وبعضها في تفسير القرآن الكريم، وبعضها في شرح الحديث الشريف مثل برنامج "من مشكاة النبوة" وبعضها دروس توجيهية، وبعضها إجابات عن أسئلة المسلمين والمسلمات عن كل ما يتعلق بالإسلام والحياة. وله في ذلك

This file was downloaded from QuranicThought.com

برنامج باسم "نور وهداية" منذ افتتاح إذاعة قطر، واستمر بضعة عشر عاماً ثم اعتذر أخيراً من عدم استمراره فيه لكثرة مشاغله. وبرنامج آخر تلفازي باسم "هدي الإسلام" في مساء كل جمعة، بدأ مع بدء تلفاز قطر، واستمر إلى اليوم، يشاهده الأخوة والأخوات في قطر والبحرين والإمارات والمنطقة الشرقية من السعودية، ويترقبه الناس ويتابعونه الناس بلهفة، وهو يمثل مدرسة متميزة في الدعوة والتوجيه، والفتوى والتفقيه. وما من تلفزيون عربي إلا وبث للدكتور القرضاوي دروسا وأحاديث. وإلى جوار ذلك أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، كان نشاطه في الإعلام المقروء عن طريق الصحافة. فقد نشر مقالات وبحوثاً في مختلف المجلات الإسلامية: "الأزهر" و"نور الإسلام" و"منبر الإسلام" و"الدعوة" في مصر، و"حضارة الإسلام" بدمشق و"الوعي الإسلامي" و"المجتمع" و"العربي" بالكويت، و"الشهاب" ببيروت، و"البعث الإسلامي" بالهند، و"الدعوة" بالرياض، و"الدوحة" و"الأمة" في قطر، و"منار الإسلام" في أبو ظبي، و"المسلم المعاصر" في لبنان وغيرها. إلى جانب الصحف الأسبوعية واليومية في عدد من الأقطار، التي نشرت له مقالات أو فتاوى، أو لقاءات يجيب فيها مما يوجه إليه من أسئلة حول الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وأمة. ومما لا خلاف عليه أن الشيخ القرضاوي داعية إسلامي من كبار دعاة الإسلام المعاصرين، له شخصيته المستقلة، وطابعه الأصيل، وتأثيره الخاص بحيث يعد بمجموع خصائصه مدرسة متميزة في الدعوة. فهو يتميز بالقدرة على إفهام العامة، وإقناع الخاصة معاً،وبالقدرة على مخاطبة العقل وإلهاب العاطفة معاً،وبالقدرة على استلهام التراث، والاستفادة من ثقافة العصر جميعاً،وبالقدرة على المزج بين الدعوة النظرية والعمل الحركي والجهادي من أجل الإسلام،والقدرة على ربط التدين الفردي بهموم الأمة الإسلامية الكبرى وقضاياها المصيرية،والقدرة على وصل الدعوة بالفقه، والفقه بالدعوة، فلا تحس بانفصام بين الداعية والفقيه، وبالجملة فهو في الدعوة كما في الفقه والفكر نموذج متفرد. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/).

رابعا: مجال المؤتمرات والندوات العلمية

لا يكاد يعقد مؤتمر أو ملتقى أو ندوة أو حلقة حول الفكر الإسلامي أو الدعوة الإسلامية إلا يدعى إليها الدكتور القرضاوي، تقديراً من الجهات الداعية لمكانته بين العلماء والدعاة والمفكرين، وهو يحضر منها ما أسعفه وقته وساعدته ظروف عمله وارتباطاته المتعددة على حضوره، ويشارك فيها بالبحوث المعدة، أو بالمناقشات الإيجابية المخلصة أو بهما معا، والذين يشهدون هذه المجتمعات العلمية والدعوية يؤكدون أن حضور القرضاوي يزيدها فاعلية وإثراء.
ومن هذه المؤتمرات على سبيل المثال لا الحصر:
المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة تحت رعاية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المؤتمر العالمي الأول للفقه الإسلامي بالرياض تحت رعاية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المؤتمر العالمي الثاني لتوحيد الدعوة وإعداد الدعاة تحت رعاية الجمعية الإسلامية بالمدينة المنورة.

المؤتمر العالمي الأول لمكافحة المسكرات والمخدرات والتدخين تحت رعاية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ومهرجان ندوة العلماء في لكهنو بالهند، ومؤتمر الإسلام والمستشرقين الذي نظمته ندوة العلماء بالتعاون مع دار المصفين بمدينة (أعظم كره) بالهند، وقد اختير بالإجماع رئيساً للمؤتمر.

ومؤتمرات السيرة النبوية والسنة الشريفة التي عقدت في أكثر من بلد، وقد انتخب في المؤتمر الذي عقد في قطر نائبا للرئيس.

وندوة التشريع الإسلامي في ليبيا، ومؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ومؤتمرات المصارف الإسلامية في دبي وفي الكويت واستنابول وغيرها ومؤتمرات الهيئة العليا للرقابة الشرعية بالبنوك الإسلامية، وندوة "الاقتصاد الإسلامي في مجال التطبيق" في أبو ظبي، وندوات (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) بالكويت و"مؤتمرات الزكاة" بالكويت ومؤتمرات رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة، وغيرها، ومؤتمرات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، وملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، ومؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بإسلام آباد، وندوة الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي بعمان، ومؤتمرات الإسلام والطب بالقاهرة، وقدم لمعظم المؤتمرات والندوات بحوثاً علمية كانت موضع تقدير المؤتمرين. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/).

خامسا: مجال المحاضرات والزيارات الجامعية

دعي الأستاذ الدكتور القرضاوي لزيارة عدد من الجامعات العربية والإسلامية لإلقاء محاضرات بها، إما على الطلاب وهو الأكثر، وإما على أعضاء هيئة التدريس، أو على الفريقين معاً في محاضرات عامة. من ذلك عدد من الجامعات المصرية مثل:جامعة القاهرة، والأزهر، وعين شمس، والإسكندرية، المنصورة، وأسيوط،ومنها جامعة الخرطوم وجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان. ومنها بالمملكة العربية السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد كان في بعض الدورات عضواً بالمجلس الأعلى بها، وجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وجامعة الظهران للبترول والمعادن، وجامعة الملك فيصل بالدمام، وجامعة الملك سعود

This file was downloaded from QuranicThought.com

بالرياض. ومنها جامعة الكويت، وجامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين، وجامعة الخليج بالبحرين، والجامعة الأردنية وجامعة اليرموك بالأردن، وجامعة محمد الخامس بالرباط، والقاضي عياض بمراكش بالمغرب، وجامعة صنعاء باليمن، وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، وعدد من الجامعات الجزائرية بالجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران وتبسا. ومنها: الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، وجامعة البنجاب بلاهور، وجامعة الملايو، والجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، ودار العلوم ومعهدها العالي للفكر الإسلامي بندوة العلماء في لكهنو بالهند، وجامعة أحمدو بللو بنيجيريا، وجامعة ابن خلدون، وغيرها بأندونيسيا، وجامعة مندناو بجنوب الفلبين، ومعهد الملك فيصل للدراسات الإسلامية بها، والجامعة الإسلامية بمدينة هراوي بها، وبعض الجامعات بطوكيو، واليابان وسيؤول بكوريا الجنوبية. كما دعاه عدد من المراكز والمعاهد والجمعيات العلمية لإلقاء محاضرات بها مثل:

مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجدة.

جمعية الاقتصاد الإسلامي بالقاهرة.

مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا.

المجمع الثقافي بأبو ظبي.

النادي الأدبي بمكة المكرمة.

النادي الثقافي بسلطنة عمان.

هذا بالإضافة إلى دعوات يعسر إحصاؤها من وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، والتربية والإعلام والثقافة، والصحة، والداخلية، والمدارس الثانوية، والجمعيات الدينية والأندية الثقافية، والنقابات المهنية، ومراكز الدعوة والتوجيه، في عدد من الأقطار، لإلقاء محاضرات في موضوعات عامة أو خاصة، وفي مناسبات إسلامية مختلفة. وإلى جوار ذلك زار الشيخ القرضاوي عدداً كبيراً من الأقطار العربية والإسلامية في آسيا وإفريقيا، كما زار الكثير من التجمعات والأقليات والجاليات الإسلامية في أوروبا والأمريكتين وأستراليا، وكان له فيها جميعاً محاضرات ولقاءات وأحاديث تركت وراءها أثراً طيباً، ولاسيما بين الشباب، وخصوصاً الذين يتعلمون في ديار الغرب ويتعرضون لرياح الفتنة تهب عليهم من شمال وجنوب. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/).

سادسا: مجال المشاركة في عضوية المجالس والمؤسسات

نظرا للثقة التي يتمتع بها الشيخ القرضاوي بين خاصة المسلمين وعامتهم أصبح عضواً في عدد غير قليل من المجالس والمراكز والمؤسسات العلمية والدعوية والتربوية والاقتصادية

This file was downloaded from QuranicThought.com

والاجتماعية، رغم اعتذاره من عدم قبوله العضوية في أحيان كثيرة لضيق وقته، وكثرة أعبائه. فهو عضو المجلس الأعلى للتربية في قطر، وعضو هيئة الإفتاء الشرعي في قطر، ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لبنك قطر الإسلامي، وبنك قطر الإسلامي الدولي، ولمصرف فيصل الإسلامي بالبحرين وكراتشي، ولبنك التقوى في سويسرا، وعضو الهيئة لدار المال الإسلامي، وعضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ومركزها الخرطوم، وعضو مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وخبير المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، وعضو مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، ومجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد، وعضو رابطة الأدب الإسلامي في لكهنو بالهند، وعضو مؤسس لجمعية الاقتصاد الإسلامي بالقاهرة، وعضو مجلس إدارة مركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة في قطر، ونائب رئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة في الكويت، وعضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت بالأردن).
وعضو مؤسس للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، وعضو مجلس إدارتها ولجنتها التنفيذية. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/).

سابعا: مجال الاقتصاد الإسلامي

عني الدكتور القرضاوي منذ مدة غير قليلة بالجانب الاقتصادي في الإسلام من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية. فمن الناحية النظرية ألقى الكثير من المحاضرات والدروس حول الجانب الاقتصادي في الإسلام، وألف مجموعة من الكتب اشتهرت في العالم العربي والإسلامي، يكفي أن نذكر منها: فقه الزكاة، ومشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، بيع المرابحة للآمر بالشراء، كما تجريه المصارف الإسلامية، وأخيراً: فوائد البنوك هي الربا الحرام. ومن الناحية التطبيقية، ساند قيام البنوك الإسلامية من قبل أن تقوم، وبعد أن قامت، متعاوناً مع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ولا يزال إلى اليوم عضداً لها، يشد أزرها، ويرشد مسيرتها، ويسدد خطواتها، ويدافع عنها. فقد كان – لعدة سنوات – مستشاراً شرعياً متطوعاً لأول بنك إسلامي، وهو بنك دبي الإسلامي، ثم أصبح عضواً للهيئة العامة للرقابة الشرعية بدار المال الإسلامي في جنيف، وشركة الراجحي للاستثمار بالمملكة العربية السعودية، وقد أبان عن سر اهتمامه بالاقتصاد الإسلامي في مقدمة كتابه (بيع المرابحة) فقال:"إن اهتمامي بالاقتصاد الإسلامي جزء من اهتمامي بالشريعة الإسلامية، والدعوة إلى تحكيمها في جميع مجالات الحياة، وإحلال أحكامها محل القوانين الوضعية والأنظمة المستوردة". وتقديرا لهذه الجهود، قررت لجنة البنك الإسلامي للتنمية اختيار فضيلته للفوز بجائزة البنك للعام ١٩٩٠ في الاقتصاد الإسلامي،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
منوهة بإمساهماته المتميــزة والعميقــة فــي هــذا المجــال. (موقــع القرضــاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/).

ثامنا: مجال العمل الاجتماعي والخيري

وللدكتور القرضاوي اهتمام خاص بالعمل الاجتماعي والخيري، وهو يعيب على الحركة الإسلامية، وعلى الصحوة الإسلامية استغراقها في العمل السياسي الذي يستهلك جل طاقتها، إن لم يكن كلها، وإغفالها للعمل الاجتماعي الذي أتقنه خصوم الدعوة الإسلامية، والذين تسللوا مــن خلاله لإضلال المسلمين ومحاولة سلخهم عن عقيــدتهم وهــويتهم، تحــت ســتار الخــدمات الاجتماعية، والأعمال الخيرية، من إنشاء المدارس والمستــشفيات والمؤســسات الاجتماعيــة المختلفة. وقد استغل دعاة التنصير هذا المجال أسوأ استغلال، فغــزوا كثيــراً مــن المنــاطق الإسلامية في إفريقيا وآسيا، التي ينتشر فيها ثالوث الفقر والجهل والمرض، حتى انتهــى بهــم طموحهم أو غرورهم إلى التخطيط لتنصير المسلمين في العالم، كما قرر ذلك مؤتمر المبشرين الذي انعقد في ولاية كولورادو بأمريكا ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، وأنــشأوا لــه معهــد "زويمر" لتخريج المتخصصين في تنصير المسلمين حسب بلدانهم ولغاتهم ومذاهبهم واتجاهاتهم.
وقد حرك ذلك همة الشيخ القرضاوي، فطاف بعدد من الأقطار، وألقى عدداً من المحاضــرات والأحاديث بين فيها خطورة الموقف، ووجوب التصدي لهذه الحملة بعمل مماثل، وهــو رصــد ألف مليون دولار من المسلمين للحفاظ على عقيدتهم وشخصيتهم، وأن يستثمر هذا (المليار) إذا جمع، لينفق من عائده على العمل الخيري والدعوي، ويبقى الأصل صدقة جاريــة لأصــحابه، وأوضح أن المسلمين يبلغون في عددهم أكثر من مليار، فلو دفع كل مسلم – فــي المتوســط – دولاراً واحدا لجمعوا المبلغ المطلوب. وبهذا رفع شعار: ادفع دولاراً تنقذ مسلماً ! وأصدر نداءه للمسلمين الذي أذيع في أكثر من بلد. وقد قامت على أساس هذه الدعوة ولتحقيق الهدف: "الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية" التي اتخذت من الكويت مقراً أساسيا، وبدأت تمارس نشاطها بقــوة ووضوح وإن كانت لا تزال في بداية الطريق، فهو صاحب فكــرة الهيئــة، وعــضو اللجنــة التحضيرية التي أعدت لها، وبناء على تصوره لأهدافها ووسائلها أعد مشروع نظامها الأساسي، وعضو جمعيتها التأسيسية، ومجلس إدارتها، ولجنتها التنفيذية، وعضو في أكثر من لجنة مــن لجانها. وفي قطر أنشأ صندوقاً شعبيا لمساعدة ذوي العوز والحاجة داخل قطر وخارجها سمي: "صندوق قطر الإسلامي للزكاة والصدقة" له حساب في مصرف قطر الإســلامي ويقــوم بــسد بعض الثغرات، وتلبية بعض الحاجات. وفي مصر ساهم بجهده وماله فــي إقامــة عــدد مــن المؤسسات الدينية والخيرية مثل معهد ومسجد ومستشفى الصحوة في قريتــه صــفت تــراب،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
ومسجد الرحمة في مدينة نصر. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: (/http://www.qaradawi.netp

تاسعا: مجال ترشيد شباب الصحوة

ومن أبرز الميادين التي توجهت إليها همة الدكتور القرضاوي ونشاطه، وظهر فيها تأثيره، وجند لها في السنوات الأخيرة لسانه وقلمه وفكره وعلمه وجهده: ميدان شباب الصحوة الإسلامية المعاصرة، فهو يحضر الكثير من المعسكرات والمؤتمرات واللقاءات التي ينظمها شباب الصحوة في داخل البلاد الإسلامية وخارجها، وقلما يمّمت وجهك شطر هذه اللقاءات في أمريكا وكندا وأوروبا، الأسئلة المثارة والشبهات المثيرة، حول الإسلام وعقيدته وشريعته وتاريخه، وهو موضع الثقة والقبول العام من شباب الصحوة، لما يعتقدونه وما يلمسونه أيضاً من تمكنه من العلم، ورحابة أفقه في الفكر، وإخلاصه في الدعوة، وحرصه على البناء لا الهدم، وعلى الجمع لا التفريق، وتحريه دائماً الاعتدال والوسطية التي تتسم بالتيسير لا التعسير، وبالرفق لا العنف، فهم يقبلون منه ما لا يقبلون من غيره ممن قد يتهمونه في علمه أو دينه أو ولائه وارتباطه بجهة من الجهات. أضف إلى ذلك ما نشره من مقالات، وما ألفه من كتب، وما ألقاه من خطب ومحاضرات، سجلت وانتشرت، تدور حول دعم الصحوة وتقويتها من جانب باعتبارها المعبر الحقيقي عن طموح الأمة الإسلامية وتطلعها إلى الحياة الإسلامية الكاملة، وحول ترشيدها وتسديد خطاها ومسيرتها بعيداً عن الغلو والتطرف والعنف. وقد كتب في ذلك في مجلة "الأمة" القطرية، مقالات "صحوة الشباب الإسلامي ظاهرة صحية يجب ترشيدها لا مقاومتها" وقد جمعت وطبعت عشرات الألوف منها في عدد من البلاد العربية والإسلامية. كما كتب في مجلة "العربي" عن ظاهرة التطرف. ثم أصدرت له مجلة "الأمة" كتابه الشهير "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" الذي طبع منه مئات الآلاف بالعربية، وترجم إلى عدد كبير من اللغات كالإنجليزية والأوردية والتركية والماليزية والأندونيسية والماليبارية. كما أصدر كتاب "الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي" وكتاب "من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا" وكتاب "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم". ومن هذا الباب: وقوفه في وجه "موجة التكفير" التي راجت يوماً في بعض الأقطار العربية والإسلامية والتي تقوم على تكفير الناس بالجملة، وقد نشر في هذا رسالته التي سماها "ظاهرة الغلو في التكفير" والتي طبع منها عشرات الألوف، وترجمت أيضاً إلى عدد من اللغات.
وهو يهيب بشباب الصحوة الإسلامية في لقاءاته بهم، أو كتاباته لهم: أن يتنقلوا من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل، ومن الاهتمام بالفروع والجزئيات إلى التركيز على الأصول والكليات، ومن الانشغال بالمسائل المختلف فيها إلى التأكيد على القضايا المتفق عليها، ومن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
التحليق الخيالي في سماء الأحلام إلى النزول إلى أرض الواقع، ومن الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له وإعانته على حل مشكلاته"، ومن الدعوة بالعنف والتي هي أخشن إلى الرفق والدعوة بالتي هي أحسن، ومن الإهمال لسنن الله في الحياة إلى التعبد لله بمراعاتها، في ضوء الأصول الشرعية. وقد وجدت دعوته تجاوباً من الشباب، وكان لها أثرها مع دعوات العلماء الصادقين في ترشيد مسيرة الصحوة. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/)

عاشرا: مجال العمل الحركي والجهادي

اشتغل الدكتور القرضاوي منذ فجر شبابه بالدعوة إلى الإسلام، عقيدة ونظام حياة، عن طريق الخطب والمحاضرات والدروس والأحاديث، وساعده على ذلك اتصاله المبكر بحركة الإخوان المسلمين، وتعرفه على الإمام الشهيد حسن البنا، وهيأ له ذلك أن يجوب محافظات القطر المصري من الإسكندرية إلى أسوان، وإلى سيناء وأن يزور بعض الأقطار العربية مثل سورية ولبنان والأردن، بتكليف من الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين لنشر الدعوة، وهو لا يزال طالباً بكلية أصول الدين. وقد لقي في سبيل دعوته كثيراً من الأذى والاضطهاد والاعتقال عدة مرات منذ كان طالباً في المرحلة الثانوية في عهد فاروق سنة ١٩٤٩، وبعد ذلك في عهد الثورة في يناير ١٩٥٤ ثم في نوفمبر من نفس السنة حيث استمر اعتقاله نحو عشرين شهراً، ثم في سنة ١٩٦٣. ومما يذكر للشيخ القرضاوي أنه برغم ارتباطه بحركة الإخوان المسلمين، وانتمائه المبكر إليها، وابتلائه في سبيلها، وجهوده العلمية والدعوية والتربوية فيها، وإجماع أنصارها على عظيم مكانته فيها، نراه لا يألو جهداً في الدعوة برفق إلى النقد الذاتي لمواقفها، لترشيد مسيرتها وتحسين أدائها، وتطوير مناهجها، كما دعا بإخلاص إلى التعاون مع كل الحركات الإسلامية الأخرى، ولم يَرَ بأسا من تعدد الجماعات العاملة للإسلام، إذا كان تعدد تنوع وتخصص لا تعدد تعارض وتناقض، على أن تتفاهم وتنسق فيما بينها، وتقف في القضايا الإسلامية الكبرى صفاً واحداً، وتعمق مواضع الاتفاق، وتتسامح في مواضع الخلاف، في دائرة الأصول الإسلامية الأساسية القائمة على محكمات الكتاب والسنة. وقد تجلى هذا الاتجاه النقدي البناء المنصف في عدد من كتبه وبحوثه ومقالاته ومحاضراته، ولقاءاته الصحفية. كما في كتاب "الحل الإسلامي فريضة وضرورة" الباب الأخير منه، ومقالات مجلة الأمة تحت عنوان "أين الخلل؟" وقد جمعت في رسالة مستقلة، وكتاب "أولويات الحركة الإسلامية". قدمته سلسلة كتاب الأمة في كتابها الأخير: "فقه الدعوة: ملامح وآفاق" الذي جمعت فيه مجموعة حوارات "الأمة" مع كبار العلماء والمفكرين المسلمين، وكان حوارها معه حول: الاجتهاد والتجديد بين الضوابط الشرعية و حاجات العصر".قالت المقدمة في التعريف به: "ولعل

This file was downloaded from QuranicThought.com

نظرة سريعة على عناوين الكتب التي قدمها للمكتبة الإسلامية تعطي صورة واضحة عن شمولية اهتماماته، والقدر الهام الذي ساهم به في تشكيل العقل الإسلامي المعاصر، وما منحه من الفقــه الضروري للتعامل مع الحياة، وتصويب المسار للعمل الإسلامي، وترشيد الصحوة لتلتزم المنهج الصحيح، وتأمن منزلقات الطريق. يرى أن الحركة الإسلامية تعني مجموع العمــل الإســلامي الجماعي الشعبي المحتسب المنبثق من ضمير الأمة، والمعبر بصدق عن شخــصيتها وآلامهــا وآمالها وعقيدتها وأفكارها وقيمها الثابتة وطموحاتها المتجددة وسعيها إلى الوحدة. كما يرى أنه ليس من العدل تحميل الحركة الإسلامية مسئولية كل ما عليه مسلمو اليوم من ضــياع وتمــزق وتخلف، بل إن ذلك هو حصيلة عصور الجمود وعهود الاستعمار، وإن كان عليها بلا شك قدر من المسئولية يوازي ما لديها من أسباب وإمكانات مادية ومعنوية هيأهــا الله لهــا، اســتخدمت بعضها، وأهملت بعضا آخر، وأساءت استعمال بعض ثالث. ويرى ضرورة أن تقــف الحركــة الإسلامية مع نفسها للتقويم والمراجعة، وأن تشجع أبناءها على تقديم النصح وإن كــان مــراً، والنقد وإن موجعا ولا يجوز الخلط بين الحركات الإسلامية والإسلام ذاته، فنقد الحركة لا يعني نقد الإسلام وأحكامه وشرائعه، ولقد عصم الله الأمة أن تجتمع على ضلالة ولكنه لم يعــصم أي جماعة، أن تخطئ أو تضل خصوصاً في القضايا الاجتهادية التي تتعدد فيها وجهــات النظــر. ويقول: إن بعض المخلصين يخافون من فتح باب النقد أن يلجه من يحسنه ولا يحسنه، وهذا هو العذر نفسه الذي جعل بعض العلماء يتواصون بسد باب الاجتهاد، والواجب أن يفتح الباب لأهله، ولا يبقى في النهاية إلا النافع، ولا يصح إلا الصحيح. وهو لا ينكر تعــدد الجماعــات العاملــة للإسلام، ولا يرى مانعاً من التعدد إذا كان تعدد تنوع وتخصص: فجماعة تختص بتحرير العقيدة من الخرافة والشرك، وأخرى تختص في تحرير العبادات وتطهيرها من البدع، وثالثــة تعنــى بمشكلات الأسرة، ورابعة تعنى بالعمل التربوي، ويمكن أن تعمل بعض الجماعات مع الجماهير وبعضها الآخر مع المثقفين، على شرط أن يحسن الجميع الظن بعضهم ببعض، وأن يتــسامحوا في مواطن الخلاف، وأن يقفوا صفاً واحداً في القضايا الكبرى. ويرى أن على الحركة الإسلامية أن تنتقل من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل على مستوى الإسلام ومستوى العصر ولا يعفيهــا من سؤال التاريخ أن تقول أنها كانت ضحية لمخططات دبرتها قوى جهنمية معادية للإسلام من الخارج ، وأن تعمل في إطار النخبة والجماهير معاً. وسوف تنجح الحركة الإســلامية عنــدما تصبح حركة كل المسلمين لا حركة فئة من المسلمين. ويؤخذ على بعــض العــاملين للإســلام حرمان أنفسهم من العمل لخير الناس أو مساعدتهم حتى تقوم الدولة الإسلامية المرجــوة، فهــو يرى أن كل مهمة هؤلاء الانتظار فهم واقفون في طابور الانتظار دون عمل يذكر حتى يتحقق موعودهم. ويرى ضرورة التخطيط القائم على الإحصاء ودراسة الواقع، وأن من آفات الحركة الإسلامية المعاصرة غلبة الناحية العاطفية على الاتجاه العقلي والعلمي، كما أن الاستعجال جعل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحركة الإسلامية تخوض معارك قبل أوانها، وأكبر من طاقتها. ويأخذ على بعض العاملين للإسلام النفور من الأفكار الحرة والنزعات التجديدية التي تخالف المألوف والمستقر من الأفكار، وضيقهم بالمفكرين، وربما أصدروا بشأنهم قرارات أشبه بقرارات الحرمان. ويقول: إن اتباع أهواء العامة أشد خطراً من اتباع هوى السلطان، لأن الذين يتبعون هوى السلطان يكشفون ويرفضون. ويرى أن الاستبداد السياسي ليس مفسداً للسياسة فحسب بل هو مفسد للإدارة والاقتصاد والأخلاق والدين، فهو مفسد للحياة كلها. ويرى أن الصحوة الإسلامية تمثل فصائل وتيارات متعددة كلها تتفق في حبها للإسلام، واعتزازها برسالته، وإيمانها بضرورة الرجعة إليه، والدعوة إلى تحكيم شريعته، وتحرير أوطانه، وتوحيد أمته. ويعتبر أهم تيارات الصحوة وأعظمها هو التيار الذي أسماه "تيار الوسطية الإسلامية" لأنه التيار الصحيح القادر على الاستمرار، ذلك أن الغلو دائما قصير العمر وفقاً لسنة الله. ويرى أن أهم المحاور التي يقوم عليها هذا التيار، والمعالم التي تميزه: الجمع بين السلفية والتجديد،الموازنة بين الثوابت والمتغيرات،التحذير من التجميد والتجزئة والتمييع للإسلام،الفهم الشمولي للإسلام. وينصح الحركة الإسلامية أن تعمل على ترشيد الصحوة، ولا تحاول احتواءها أو السيطرة عليها، فمن الخير أن تبقى الصحوة حرة غير منسوبة إلى جماعة أو هيئة أو حزب. ويرى أنه ليس من العدل ولا من الأمانة أن نحمل الشباب وحدهم مسئولية ما تورطوا فيه، أو تورط فيه بعضهم من غلو في الفكر أو تطرف في السلوك، والعجب أننا ننكر على الشباب التطرف ولا ننكر على أنفسنا التسيّب، ونطالب الشباب بالاعتدال والحكمة ولا نطالب الشيوخ والكبار أن يطهروا أنفسهم من النفاق. ويرى أن الشباب ضاق ذرعاً بنفاقنا وتناقضنا فمضى وحده في الطريق إلى الإسلام دون عون ما. ويرى أن المؤسسات الدينية الرسمية ـ على أهميتها وعراقتها ـ لم تعد قادرة على القيام بمهمة ترشيد الصحوة الشبابية وعلاج ظاهرة الغلو ما لم ترفع السلطات السياسية يديها عنها، وأن الذي يعيش مجرد متفرج على الصحوة الإسلامية أو مجرد ناقد لها وهو بعيد عنها لا يستطيع أن يقوم بدور إيجابي في تسديدها وتشيدها، فلابد لمن يتصدى لنصح الشباب من أن يعايشهم ويتعرف على حقيقة حالتهم. ويرى أن أسباب الخلاف قائمة في طبيعة البشر، وطبيعة الحياة، وطبيعة اللغة وطبيعة التكليف، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشرائع ضد طبائعها، وأن الخلاف العلمي لا خطر فيه إذا اقترن بالتسامح وسعة الأفق، وتحرر من التعصب وضيق النظر. ويرى أن الأمة المسلمة اليوم ابتدعت في دين الله، والابتداع في الدين ضلالة، وجمدت في شؤون الدنيا، والجمود في الدنيا جهالة، وكان الأجدر بها أن تعكس الوضع فتتبع في أمر الدين، وتبتدع في أمر الدنيا. ويرى أن من العلماء من قصر في واجب البلاغ المبين، ومنهم من مشى في ركاب السلاطين، ومنهم من جعل من نفسه جهازاً لتفريخ الفتاوى حسب الطلب، والحكام في الغالب أشبه بشعوبهم وهم إفراز

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مجتمعهم. ولاشك أن الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي يعد من أبرز الفقهاء المعاصرين الــذين يتمتعون بقدرة متميزة على النظر الدقيق من خلال كسبه المتعمق للعلوم الــشرعية، وتجربتــه الميدانية في مجال العمل الإسلامي، كما يعتبر من المفكرين الذين يمتازون بالاعتدال، ويجمعون بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر، وتجمع مؤلفاته بين دقة العــالم، وإشــراقة الأديــب، وحرارة الداعية. (موقع القرضاوي، ٢٠٠٤: http://www.qaradawi.netp/)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثالث

خصائص التربية الإسلامية في ضوء كتابات الشيخ القرضاوي

- مفهوم التربية في الإسلام

▪ خصائص التربية الإسلامية

- تخاطب العقول
- عملية التطبيق
- النزول عند رأي الخبراء وأهل المعرفة
- اقتباس كل علم نافع
- التخطيط
- الحملة على الأوهام والخرافات
- تحارب الأمية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خصائص التربية الإسلامية في ضوء كتابات الشيخ القرضاوي

قبل الحديث عن خصائص التربية الإسلامية نعرج على معنى التربية الإسلامية لغة وإصطلاحا للتعرف على مفهومها.

مفهوم التربية في الإسلام:

تعريف التربية لغةً: بالعودة إلى المعاجم نجد أن كلمة تربية من الجذر ربا يربو تحمل المعاني التالية:

١- الزيادة والنمو: ربا الشيء يربو ربواً ورباءً: زاد ونما، وأربته نميته (المرسي واخرون٢٠٠٠، ج١٠: ٣٢٧). يقول الله تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ (البقرة: ٢٧٦).

٢- النشأة : ربيب رباءً وربياً: نشأت (آبادي، ١٩٩٤: ١١٥٨).

تعتبر كلمة التربية بمفهومها الاصطلاحي من الكلمات الحديثة التي ظهرت في السنوات الأخيرة مرتبطةً بحركة التجديد التربوي في البلاد العربية في الربع الثاني من القرن العشرين ؛ ولذلك لا نجد لها استخداماً في المصادر العربية القديمة. (مرسي ، ٢٠٠١: ٤٨).

ومن تعريفات التربية في الاصطلاح: " تنشئةُ وتكوينُ إنسانٍ سليم مُسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية، والروحية الاعتقادية، والإدارية والإبداعية " (يالجن، ١٩٨٧: ٢٠).

"ومعنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك: ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته " (الغزالي، ١٩٩٣: ٣٤).

والتربية الإسلامية هي: تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية ، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه ، بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة. (إبراهيم،١٩٨٢: ٩).

والتربية الإسلامية ذات طابع شمولي تكاملي لجميع جوانب الشخصية الروحية والعقلية والوجدانية والأخلاقية والجسمية والاجتماعية والإنسانية ، وفق معيار الاعتدال والاتزان ، فلا إفراط في جانب دون غيره ولا تفريط في جانب لحساب آخر (فاطمة، ١٩٨٤: ٥٢).

خصائص التربية الإسلامية

بمعرفة خصائص التربية الإسلامية يزداد المرء ثقة وقناعة بكونها حلاً لمشاكل البشرية ووسيلة لإسعادهم، وسببًا في تقدمهم ونهضتهم، خاصةً وأن الشيخ القرضاوي قد تناول هذه الخصائص بطريقة غير تقليدية متماشية مع الواقع الذي نعيشه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أولاً: تربية تخاطب العقول

يبين الشيخ القرضاوي أن هناك عقلية خرافية تصدق غالباً كل ما يقال لها، وتقبل كل ما يلقى إليها، وخصوصاً إذا جاء ممن تعظمه من الآباء أو الكبراء، وتنقاد لما عليه جمهور الناس صواباً كان أو خطأ، ولا تمتحن أفكارها، ولا تخضع معلوماتها لمناقشة أو اختبار، شعارها: " هذا ما وجدنا عليه آباءنا" أو "نحن مع الناس أحسنوا أو أساؤوا". وفي مقابل هذا اللون: العقلية العلمية الموضوعية، التي لا تقبل نتائج بغير مقدمات، ولا تخضع إلا للحجة والبرهان، ولا تحكم العواطف والظنون في مقام يطلب فيه اليقين المجرد، والعلم المحقق، ومن المعالم الأساسية التي تقوم عليها هذه العقلية العلمية والتي **يوجزها الشيخ القرضاوي (١٩٩٩: ٣٨-٤٠) في النقاط التالية**

١- ألا تقبل دعوى بغير دليل مهما يكن قائلها، والدليل هو: البرهان النظري في العقليات ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل: ٦٤)، والمشاهدة أو التجربة في الحسيات ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف: ١٩)، وصحة الرواية وتوثيقها في القليات. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأحقاف: ٤).

٢- رفض الظن في كل موقع يطلب فيه اليقين الجازم، والعلم الواثق- ولذا رد القرآن مزاعم المشركين في آلهتهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: ٢٨). ورد مزاعم اليهود والنصارى في صلب المسيح ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: ١٥٧). وجاء في الحديث الصحيح: " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث". (الألباني: ١٩٨٥، ٤١٧).

٣- رفض العواطف، والأهواء والاعتبارات الشخصية حيث يطلب الحياد والموضوعية، وحيث يكون التعامل مع طبائع الأشياء وقوانين الوجود، أياً كانت نتائجها. يقول القرآن منكراً على المشركين: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (النجم: ٢٣) ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦) وفي خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿فَإِنْ لَمْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠).

٤- الثورة على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين، سواء كانوا من الآباء والأجداد، أم من السادة والكبراء، أم من العامة والجماهير، فلو أن الإنسان نظر إلي أي موقف باعتباره كاملا وانه ليس بالإمكان أبدع مما كان لما وجد أي ابتكار (عيسى، ١٩٧٩: ٨٦) وفي القرآن إنكار شديد على الذين يقولون ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وهو رد عليهم بقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٧٠) وفي القرآن كذلك نعي شديد على موقف الأتباع الذين أطاعوا سادتهم وكبراءهم فأضلوهم السبيل، وبيان تبرئهم يوم القيامة بعضهم من بعض، وتحميل الفريقين تبعة ما هم فيه من ضلال، قال: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٨).

٥- الاهتمام بالنظر والتفكير والتأمل: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٨٥). وفي الإنسان نفسه فهو عالم وحده ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١). وفي سير التاريخ البشرى، ومصاير الأمم، وسنن الله في الاجتماع الإنساني ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧) .

ثانياً: تربية قابلة التطبيق

من تلك الخاصية نستشف أن منهج التربية الإسلامية قابل للتطبيق والعمل به وهو منهج لا يكتفي بالتغني بحضارته الزاهرة بالأمس، ولكنه يعمل على إبداع حضارة إسلامية معاصرة، تربية إسلامية تأخذ من حضارة اليوم أفضل ما عندها، من عناصر العلم والتكنولوجيا وحسن الإدارة والتنظيم، وتحتفظ هي بأصالتها وخصائصها، تأبى أن تذوب في غيرها فهي حضارة تتصل فيها الأرض بالسماء، وتتجلى فيها أصالة الإسلام، وروح العصر، ويجتمع فيها العلم والإيمان، وبذلك تبرز فيها خصائص التربية الإسلامية، وتتجسد فيها أهدافها ومناهجها، في بناء الفرد، والأسرة، والمجتمع، وفي إقامة الدولة، وفي توجيه الإنسانية إلى ما فيه الخير. ومنهج التربية الإسلامية منهج متميز عن غيره من المناهج الأخرى لأنه رباني المصدر، وهو منهج

This file was downloaded from QuranicThought.com

عالمي الوجهة يؤمن بالتفاعل بين الثقافات، والحوار بين الحضارات، والتعارف بين الأمم، والإخاء بين البشر جميعاً حيثما كانوا.

ثالثاً: تربية تأخذ برأي الخبراء وأهل المعرفة

يبين الشيخ القرضاوي دلائل ذلك النزول عند رأي الخبراء، وأهل الذكر، والمعرفة في كل فن من الفنون أو خبرة من الخبرات. وهذا ما هدى إليه القرآن في مثل قوله ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩) ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر: ١٤). ففي الأمور الحربية، يجب الوقوف عند رأي الخبراء العسكريين، وفي الاقتصاد يؤخذ برأي الاقتصاديين، وفي الصناعة تحترم توصيات الصناعيين...وهكذا. وفي معركة بدر الكبرى، حيث التقى الرسول والمسلون بالمشركين من قريش، ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي، وخرج الرسول يبادرهم إلى الماء، حتى جاء أدنى ماء بدر فنزل به. وهنا يتقدم الحباب بن المنذر الأنصاري– رضي الله عنه – إلى النبي– صلى الله عليه وسلم – باقتراح يقول فيه: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل: أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟! قال: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة" قال: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً، فنملأه ماء، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم – : "لقد أشرت بالرأي". يريد الحباب بسؤاله أن يستوضح عن اختيار النبي– صلى الله عليه وسلم – للمكان الذي نزل به: أهو بوحي من الله، فلا يسعه إلا السمع والطاعة والتنفيذ بكل دقة، أم هو من التدابير العسكرية التي يتخذها النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه قائد للمعركة وإماماً للمسلمين؟ وفي هذه الحالة يستطيع أن يدلي بدلوه، ويشير برأيه، وبخاصة أنه خبير بالمنطقة، عالم بها وبقلبها كما ذكر ابن سعد. وقدم الحباب مشروعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرحب به، ونزل عن رأيه الأول إليه، وقال بكل شجاعة ووضوح: " لقد أشرت بالرأي". . . ووضع الاقتراح موضع التنفيذ. واقترح عليه سعد بن معاذ بناء عريش له، يكون فيه، ويشرف على المعركة من بعيد فأثنى عليه خيراً، ونفذ اقتراحه. وفي غزوة الأحزاب روى أن سلمان الفارسي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة، فقبل النبي مشورته وبادر بتنفيذها. ولهذا لما أقبل فرسان المشركين تسرع بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. ولا عجب أن يقتبس المسلمون من أساليب الفرس أو الروم أو غيرهم ما يمتنعون به من عدوهم، وما يمكنهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

من النصر عليه، وكل ما يعود عليهم بالخير في حياتهم، فالوسائل لا حكم لها في ذاتها، وإنما لها حكم مقاصدها. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٥٤-٥٥).

رابعاً: تربية قابلة لاقتباس كل علم نافع

فالإسلام يدفع الإنسان إلى تعلم كل علم نافع له ولمجتمعه وللإنسانية جمعاء سواء أكان هذا العلم في دائرة العلوم الشرعية أو الاجتماعية أو الطبيعية أو غير ذلك من أنواع المعارف والعلوم . (الفرحان، ١٩٩٠: ٦٣).

ويحث النبي– صلى الله عليه وسلم – على اقتباس كل علم ينفع الإسلام وأهله ولو كان من عند غير المسلمين، كما رأينا كيف استفاد من أسرى المشركين في بدر في تعليم أولاد المسلمين الكتابة. وينطبق هذا أكثر ما ينطبق على نتائج العلوم المادية المحضة التي لا يصطبغ بعقائد أصحابها ولا بأفكارهم، لأنها قوانين كونية عامة يدين بها المؤمن والكافر، ويخضع لسنتها البر والفاجر. ومن هنا لم يجد المسلمون حرجاً في اقتباس العلوم الكونية كالطب والكيمياء، والفلك، والبصريات، والرياضيات، وغيرها من أمم الحضارات القديمة مثل اليونان، والفرس، والروم، ولاسيما اليونان. وهذا خلاف الدراسات الأخرى التي تتصل بالدين والقيم والمفاهيم، وتؤثر في وجهة نظر دارسها إلى الله والطبيعة والإنسان والتاريخ والمجتمع. ومن هنا أنكر النبي– صلى الله عليه وسلم – على عمر حين رآه يقرأ شيئا من صحائف أهل الكتاب من اليهود، لأن الله قد أغنى بالقرآن المحفوظ عن كتب أصابها التحريف والتبديل، واختلطت فيها كلمات الله بأوهام البشر، وأهواء الخلق، ففقدت الثقة بعصمتها، والدين لا يجوز أن يؤخذ إلا من مصدر إلهي معصوم، ثابت النسبة إلى الله تعالى. وعلوم الحياة وفنونها وما يهتدي إليه الناس بعقولهم وتجاربهم فهو ملك عامة البشر، نأخذه من أي وعاء خرج، ونلتمسه من الشرق أو الغرب، ونقتبسه من المسلم والمشرك، كما رأيناه– صلى الله عليه وسلم – يستفيد من أسرى المشركين في محو الأمية ويأخذ بفكرة حفر الخندق حول المدينة وهي من أساليب الفرس، ويستخدم المنجنيق في حصار الطائف، ويخطب على المنبر وهو صنعة نجار رومي. ونرى خلفاءه الراشدين يسنون للأمة أموراً لم يكن للعرب بها عهد، وإنما اقتبسوها من غيرهم من الأمم، إذ رأوا فيها صلاحاً ونفعاً، فها نحن نرى عمر يستجيب لمقترحات بعض أصحابه فيأخذ بفكرة التأريخ، وفكرة تدوين الدواوين. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٥٦،٥٧).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويعد الخليفة عمر بن الخطاب أول خليفة أدخل نظام الدواوين في الدولة الإسلامية في السنة الخامسة عشرة للهجرة ، بعد أن بدأت الفتوحات الإسلامية للمناطق المجاورة لشبة الجزيرة العربية ، وأخذت الأموال تتدفق على المدينة الإسلامية ، وأصبح ضرورياً وضع نظام دقيق لضبط هذه الأموال ومصارفها وتسجيل المستحقين لهاِ. ولما كان العرب قد انصرفوا في صدر الإسلام للجهاد من أجل جعل كلمة الله هي العليا ، فقد كان طبيعياً أن تكون أعمال الدواوين بأيدي أبناء البلاد المفتوحة وبألسنتهم ، ومن ثِم كُتب ديوان الشام باليونانية أو الرومية كما يسميها المسلمون ، وديوان مصر بها أيضاً بالقبطية ، وديوان العراق بالفارسية ، وديوان إفريقية بالبربرية ، وظل الأمر على هذا الحال حتى كان عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، فصدرت الأوامر بنقل هذه الدواوين جميعها إلى العربية ، وهو ما عرف بتعريب الدواوين. ومن الدواوين التي أنشئت في عهد عمر بن الخطاب ديوان الجند ويعرف أيضاً بديوان الجيش أو العطاء واختص بتدوين أسماء الجند وأوصافهم وأنسابهم وما يخصهم من العطاء وديوان الخراج وهو مكلف بجباية الضرائب ومداخيل الدولة الإسلامية ومهمته الإشراف على جباية الأموال وتدوين ما يرد منها إلى بيت المال وأوجه الإنفاق العام. بل ذهب بعض الباحثين إلى أن التدوين قد بدأ منذ عهد النبي– صلى الله عليه وسلم – أخذاً مما ذكرناه من قبل من الأمر بالإحصاء الكتابي للمسلمين بعد الهجرة. (الكتاني،٢٠٠١، ج١: ٢٢٧، ٢٢٨).

أصبحت مخترعات العلم الحديث تشارك في تربية الصغار والكبار، ويكمن خطرها في أنها تنقل للبيوت عادات وتقاليد وعقائد مخالفة للإسلام وعادات المجتمع المسلم. (مبيض، ١٩٩٠: ٩).

وتؤثر في الصغار لأنهم يجلسون أمامها مدة طويلة وهم في حالة نفسية مناسبة لتلقي ما يعرض عليهم. (يكن، ١٩٨٤: ١٠٨).

خامساً: تربية تعتمد على التخطيط

يراد بالتخطيط كما يوضع الشيخ القرضاوي وضع خطة لمواجهة احتمالات المستقبل، وتحقيق الأهداف المنشودة. ومن الناس من يتصورن أو يصورون الدين في موقف المعارض أو المناقض لفكرة التخطيط العلمي للمستقبل. وهذا من أثر الفكرة القديمة التي جعلت العلم مقابلاً للإيمان، فهما ضدان لا يجتمعان، أو خطان متوازيان لا يلتقيان. والحقيقة أن فكرة الدين في جوهرها قائمة على أساس التخطيط للمستقبل. ففيه يأخذ المرء المتدين من يومه لغده، وبعبارة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أخرى من حياته لموته، ومن دنياه لآخرته، ولا بد له أن يخطط حياته، ويضع لنفسه منهاجاً يوصله إلى الغاية، وهي رضوان الله ومثوبته. وفي القرآن الكريم قصة جعلها الله عبرة لأولي الألباب، وهي قصة نبي الله يوسف عليه السلام وفيها يذكر القرآن لنا مشروع تخطيط للاقتصاد الزراعي لمدة خمسة عشر عاماً، لمواجهة أزمة غذائية عامة. عرف يوسف–بما ألهمه الله، وعلمه من تأويل الأحاديث– أنها ستصيب المنطقة كلها، وقد اقترح يوسف – عليه السلام – مشروع الخطة. ووكل إليه تنفيذها، وكان فيها الخير والبركة على مصر وما حولها، قال: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ(٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ(٤٩)﴾ (يوسف: ٤٧–٤٩). ويظن آخرون أن التخطيط للغد ينافي التوكل على الله، أو الإيمان بقضائه، وقدره، ولهذا يستبعدون كل الاستبعاد أن يقبل الدين فكرة التخطيط، فضلاً عن أن يوجه إليه، أو يحث عليه. والحق أن الذي يتعمق في دراسة كتاب الله، وسنة رسوله يتبين له أنهما يرفضان الارتجال والعشوائية، وترك الأمور تجرى في أعنتها بغير ضابط، ولا رابط ولا نظام. وبين الرسول –صلى الله عليه وسلم – أن التوكل على الله لا يعني اطراح الأسباب أو إغفال السنن، التي أقام الله عليها نظام هذا الوجود، ولا يكاد مسلم يجهل قصة الأعرابي الذي جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وترك ناقته أمام المسجد قائلاً: يا رسول الله، أأعقل ناقتي وأتوكل أم أطلقها وأتوكل، فقال له:"اعقلها وتوكل". (الألباني، ١٩٨٤: ٢٢، ٢٣). ومن قرأ سيرته عليه الصلاة والسلام، وجد أنه كان يعد لكل أمر عدته، ويهيئ له أسبابه وأهميته، آخذاً حذره، مقدراً كافة الاحتمالات، واضعاً ما أمكنه من الاحتياطات مع أنه كان أقوى المتوكلين على الله تعالى. فهو حين أمر أصحابه– بعد أن اشتد إيذاء قريش لهم– بالهجرة إلى الحبشة، لم يكن هذا الأمر اعتباطاً، أو رمية من غير رام، بل كان نتيجة معرفة بالظروف الجغرافية، والدينية والسياسية للحبشة في ذلك الوقت. فلم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يأمرهم بالهجرة إلى مكان مهما بعد–في شبه جزيرة العرب–فإن قريشاً– بما لها من نفوذ ديني وأدبي– تستطيع أن تلاحقهم. ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا إلى بلد تحت سيطرة الفرس أو الروم، حيث يحكمها أباطرة لا يقبلون مثل هذه الدعوة الجديدة. ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا بعيداً إلى بلاد مثل الهند والصين، حيث تتقطع أخبارهم، وتكون الهجرة مهلكة لهم. ولقد كانت الحبشة هي المكان المناسب جغرافياً، فهو ليس جد بعيد، ولا جد قريب، بل بينه وبين قريش بحر. وكانت الحبشة هي المكان المناسب دينياً، فقد كانوا أهل كتاب من النصارى الذين يعدون أقرب مودة للمسلمين. وكانت الحبشة هي المكان المناسب سياسياً، فقد كان يحكمها رجل اشتهر بالعدل والإنصاف. وهذا يدلنا على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

– وأصحابه – رضي الله عنهم – لم يكونوا في عزلة عن العالم من حولهم رغم صعوبة المواصلات بين الأقطار بعضها وبعض. ويدل على ذلك أيضاً موقفهم من حرب الفرس والروم، وما كان من جدل بين المسلمين والمشركين في هذا، مما نزلت فيه أوائل سورة الروم ﴿الم(١) غُلِبَتِ الرُّومُ(٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(٣) ﴾ (الروم: ١– ٣). وهكذا...فقد كانوا– وهم في فجر الدعوة ورغم الضعف والاضطهاد – على صلة بالصراع العالمي بين الدولتين العظمتين في ذلك العصر، أو المعسكرين الكبيرين: الشرقي والغربي. وأوضح من ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة، ففيها يتجلى التخطيط العلمي، والتوكل الإيماني جنباً إلى جنب. فلقد أعد عليه الصلاة والسلام من جانبه كل ما يستطيع البشر إعداده من الوسائل والاحتياطات والمعينات. ولقد اطمأن إلى المهجر الذي سينتقل إليه، بعد أن بايع المؤمنين من الأوس والخزرج بيعة العقبة الأولى والثانية، واشترط لنفسه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وذرا ريهم. واطمأن إلى الرفيق الذي سيصحبه في رحلته الجاهدة بما فيها من أخطار، وما تحمله من مفاجآت، ولم يكن هناك أفضل من أبي بكر رفيقاً. واطمأن إلى الفدائي الذي سيبيت مكانه، معرضاً نفسه لاحتمالات الخطر، وغدارات المتربصين، ولم يكن ثم أفضل من علي ابن عمه أبي طالب فارس الإسلام لهذه المهمة. ورتب الدليل الذي يدله على الطريق، وما فيه من منعطفات ومخابئ يمكن أن تضلل عنه أعين الطالبين، فكان مشركاً أميناً، هو عبد الله ابن أريقط . وهو ما أخذ منه الفقهاء جواز الاستعانة بالخبرة الفنية غير الإسلامية، مع الاطمئنان والأمان. وهيأ الرواحل التي سيمتطيها هو وصاحبه، ودليله في سفرهم الطويل، واتفقوا على المكان الموعود الذي يستقلون به الركائب. وتخير المخبأ الذي يختفي فيه أياماً معدودة، حتى تخف حدة الطلب. ويتملك القوم اليأس، واختاره في غير المدينة، زيادة في التعمية على القوم، فكان غار "ثور". وأعد فريق الخدمة الذي يأتي بالزاد، والأنباء خلال أيام الاختفاء، فكانت أسماء، وعبد الله بن أبي بكر، ومن بعدهما عامر بن فهيره مولى أبي بكر يأتي بغنمه فيحلبون منها ويعفى على آثار أسماء وعبد الله. خطة محكمة الحلقات، متقنة التدبير، ولم تترك فيها فجوة دون أن تملأ، ولا ثغرة دون أن تسد، ووضع فيها كل جندي في دوره المناسب لظروفه وقدراته فدور أبي بكر، غير دور علي، غير دور أسماء، وكل في موقعه الصحيح. ومع هذا الإحكام الدقيق، كادت الخطة تخفق، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الغار، ويقفوا على بابه، وكان يكفي لكشف الأمر وإفساد الخطة، أن ينظر أحد القوم تحت قدميه، ليرى الرسول وصاحبه في الغار وهذا ما خشيه أبو بكر، وصرح به للرسول – صلى الله عليه وسلم – حين قال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له كلمته المؤمنة الواثقة: "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"؟ ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠). وهنا تجلى دور "التوكل" الحق، فبعد أن يبذل الإنسان ما في وسعه ويتخذ من الأسباب والخطط ما يقدر عليه، يدع ما لا يقدر عليه من مفاجآت القدر، لله وحده. وهنا تقع " إن الله معنا" موقعها وتؤتي أكلها. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٤٧-٥٢).

سادساً: تربية تدحض الأوهام والخرافات

يشير القرضاوي أن أهم من هذا كله، الحملة المشددة المتكررة على الأوهام،والخرافات، والشعوذات، التي كان لها في الجاهلية سوق نافقة، ولها في ظل كثير من الديانات السارية المحرفة والوضعية سماسرة ودعاة، يقولون فيسمعون ويأمرون فيطاعون، ويدعون فيجابون، أولئك هم الكهنة والعرافون، والسحرة والمنجمون، الذين يزعمون أنهم قادرون على خرق سنن الكون، وهتك أستار الغيب، وكشف مكنونات الصدور. وجاء الإسلام فأغلق – بقوة– هذه السوق المخربة، وحجر على تجارها المحترفين، وسماسرتها المخادعين، وصادر بضاعتها الزائفة، وأعلن في وضوح مشرق أن سنن الله في الكون لا تتبدل، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن الخير كل الخير في احترام السنن، ورعاية قانون الأسباب والمسببات. ولا غرو أن تقرأ في كتب السنة المشرفة مثل هذه الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى البخاري عن المغيرة بن شعبه. قال: كسفت الشمس يوم مات إبراهيم (ابن النبي – صلى الله عليه وسلم – من مارية القبطية) فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم: فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته" (الألباني، ١٩٨٧: ١٠٤٤). وبذلك طارد الأوهام التي شاعت عند الناس في الجاهلية أن كسوف الشمس أو القمر إنما يحدث لموت عظيم أو نحو ذلك. وأثبت أنها آية من آيات الله، تجرى على سنن الله .وفي الحديث حدثنا أبو بكر حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد " (الألباني، ١٩٨٧، ٣٠٠٢). وليس المراد بعلم النجوم هنا: علم الفلك أو الهيئة– كما يسمى من قبل– والذي نبغ فيه كثر من علماء المسلمين، والذي اتسعت بحوثه وامتدت جذوره في هذا العصر، فهذا علم قائم على الملاحظة، والتجربة والقياس واستخدام الآلات، وبه استطاع الإنسان في عصرنا أن يصل إلى القمر، ويجلب منه بعض الأتربة والصخور ليحللها ويستفيد من ورائها. وليس في هذا أي منافاة لحقيقة دينية، أو لقاعدة شرعية، أو لنص ثابت في قرآن أو سنة. ولست أستدل لذلك بقوله تعالى في سورة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الرحمن: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٣). ولا أفسر السلطان هنا بالعلم كما ذهب إلى ذلك بعض علماء العصر. فالواضح أن سياق الآية يدل بوضوح أن الخطاب في الآخرة لا في الدنيا، وهو خطاب تعجيز للثقلين من الجن والإنس: أنهم لا يستطيعون الفرار من قبضة العدالة الإلهية إلا إذا خرجوا من ملك الله، وأني لهم أن يخرجوا منه، وأين يذهبون، فمعنى "لا تنفذون إلا بسلطان" أي: لا تنفذون مطلقاً، لأنه لا سلطان لكم أمام سلطان الله تعالى. أما الصعود إلى القمر فليس نفاذاً من أقطار السموات والأرض، كيف، وهو لا يزال في إطار المجموعة الشمسية، بل في أقرب كوكب منها إلى الأرض، وهو القمر؟ فإذا اعتبرنا الصاعد إلى القمر خارجاً من قطر الأرض كما هو الظاهر-حيث جعل القرآن القمر في السماء ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان: ٦١) فإنه لم يخرج لحظة من أقطار السماء. وأولى من ذلك الاستدلال بآيات التسخير للكون عامة وللشمس والقمر والنجوم خاصة. وهي كثيرة في القرآن الكريم. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٥٨-٦١).

والمقصود: أن علم النجوم المحرم الذي يعد شعبة من السحر هو: علم تأثيرها لا علم تسييرها كما قال العلماء. (المناوي: ٢٠٠١، ج٦: ٣،٢).

هذه التعاليم التي ذكرناها، جديرة بأن تهيئ أفضل مناخ نفسي وعقلي واجتماعي، لقيام فكر علمي وحياة علمية. وهذا ما رأينا مصداقه في الحضارة الإسلامية الشامخة المتوازنة، التي وصلت الأرض بالسماء، وجمعت بين العلم والإيمان ومزجت بين المادة والروح. (القرضاوي، ١٩٩٠: ٦١).

سابعاً: محاربة الأمية

الأمي هو: الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب. (ابن قاسم،١٨٩٦: ٣٢٠).

يبين الشيخ القرضاوي أن من هذه التعاليم التي تهيئ تربة المجتمع لظهور التفكير، والبحث العلمي: نشر التعليم ومطاردة الأمية، ولهذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على محاربة الأمية التي كانت منتشرة بين العرب، حتى كانوا يعرفون بين الأمم ب"الأميين"، وهكذا أسماهم القرآن ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢) وقال عليه الصلاة والسلام معبراً عن الواقع القائم حينذاك "نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب". والرائع هنا أن هذا النبي الأمي في هذه الأمة الأمية، كان أول من مجد (القلم) وعمل على إشاعة الكتابة، ومحو الأمية بين أتباعه، بكل سبيل. (القرضاوي، ١٩٩٠: ٤٤).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لقد كان الإسلام – فيما نعلم – أول دين أعلن الحرب على الجهل والأمية ودعا إلى التعليم، ورفع مكانة العلم وأهله. وحسبنا أن أول آيات نزلت من القرآن على قلب النبي الكريم كانت إشادة بفضل القراءة والقلم، والعلم والتعليم بالقلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ(٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥) ﴾ (العلق: ١– ٥).

وكانت السورة الثانية في تاريخ نزول القرآن هي سورة " القلم "، وإنما سميت بذلك لأن الله أقسم فيها بالقلم وما يسطره به الكاتبون من علم وحكمة، قال تعالى: ﴿ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم: ١). وأول ما يسطر به هو القرآن الكريم الذي سماه الله (الكتاب) إيماء إلى هذا المعنى. وقد جرت سنة الله في القرآن: أنه يقسم بالشيء، تنبيها على عظيم منفعته، ولفتاً لأنظار الخلق إليه، وأي شيء أعظم نفعاً من " القلم " مذيع العلم، ومثبته، وناقله إلى الأجيال. وهل المطبعة في عصرنا إلا " قلم تطور " فإذا هو يملأ الدنيا علوماً ومعارف، وثقافة وحضارة؟ إن تمجيد القلم في القرآن وإقسام الله به حث للمسلمين على أن يحسنوا الكتابة به، وبخاصة، أن الإسلام يأمر المسلم بالكتابة في عدة أمور: منها كتابة الدَين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢). ومن عجب أن النبي الأمي الذي لم يكن يتلو من كتاب، ولا يخطه بيمينه حتى لا يرتاب المبطلون، لم يقتصر على الحث النظري والترغيب في تعلم القراءة والكتابة، بل جاهد عليه السلام أن يدبر الوسائل العملية لنشر التعليم، ومحاربة الأمية ما وجد إلى ذلك سبيلاً. ومن هذه الوسائل الرائعة انتهازه فرصة وقوع عدد من أسرى قريش المشركين في غزوة بدر في أيدي المسلمين، وكانوا يحسنون الكتابة، ولا يملكون مالاً ليفدوا أنفسهم، فاشترط النبي صلى الله عليه وسلم لفدائهم أن يعلم كل منهم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة. ويقول الشيخ القرضاوي وهو يدعو إلي مكافحة الأمية بأن من المحزن المؤسف أن يبلغ عدد الأميين قرابة ١٠٠ مليون نسمة. وأن تكون نسبة (الأمية) في بلاد المسلمين تقارب الثلاثين في المائة ٣٠% وأن يوضع العالم الإسلامي كله في دائرة

This file was downloaded from QuranicThought.com

البلاد النامية، وهو تعبير مهذب عن البلاد المتخلفة! أو ما يسمونه (العالم الثالث)، بل هناك بعض الأقطار ربما تهبط لتكون وحدها (عالماً رابعاً)! وإن أكبر العار على المسلمين أن يظلوا على حالهم تلك من الأمية والتخلف ودينهم أعظم حافز على التعلم والتقدم، وهو يهيئ لهم من الأسباب المادية، الاجتماعية ومن المناخ العقلي والنفسي ما يخرجهم من الجهل إلى العلم، ومن البداوة إلى الحضارة، ومن الظلمات إلى النور. (القرضاوي، ٢٠٠٠: ١٧٤، ١٧٥).

فإذا كانت الأمة الإسلامية متخلفة الآن، فإن التخلف لا يستمر، والضعف لا يدوم، وقد قضت سنة الله عز وجل أن يضعف القوي، ويقوى الضعيف، ويمرض الصحيح، ويشفى المريض، ويغتني الفقير، ويفتقر الغني،أما أحاديث آخر الزمان فللعلماء العدول فهم آخر لها، وهي على أية حال لا تأمرنا بالسكوت على الضعف والاستكانة والمذلة، بل تحثنا السنة كلها، وكتاب الله قبلها على القوة والنهوض بأنفسنا وأمتنا. ويقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي وهو يتكلم عن خطة لمحو الأمية:

الأمة صحيح متخلفة ؛ إنما هل هذا التخلف أبديّ أم هو مرحلة من المراحل؟ هل نحن متخلفون لأننا يجب أن نكون متخلفين؟ لا.. بدليل أننا كنا متقدمين؛ كنا سادة العالم ؛ كنا قادة الأمم كنا نحن الذين نملك أزِمَّة الحضارة، فالحضارة الإسلامية ظلت هي الحضارة الأولى والسائدة في العالم حوالي ثمانية أو عشر قرون، والكتب الإسلامية والمراجع العلمية الإسلامية كانت مراجع العالم في أوروبا وغيرها، علماء المسلمين كانت أسماؤهم أشهر الأسماء في العالم، اللغة العربية كانت لغة العلم، كُتِب فيها الطب وكُتِب فيها التشريح، وكُتِب فيها الفلك وكُتِب فيها الكيمياء وكُتِب فيها الفيزياء، وكُتِب فيها كل علوم الأرض باللغة العربية والآن للأسف نجد الجامعات تتجه إلى اللغات الأخرى، كنا نحن هكذا.. إذن هذا التخلف الذي نعانيه ليس ذاتياً فينا، وليس أبدياً ؛فيجب أن نضع خطة للخروج من سجن التخلف، ويجب أن نفترض أن أول أسباب تخلفنا انتشار الأمية في بلادنا العربية والإسلامية وهذا أمر لا يليق، فالمفروض أن نضع خطة لكي تتعلم الأمة بالقلم وتقرأ وتكتب، الرسول الأمي محمد – عليه الصلاة والسلام – الذي ما كان يقرأ من كتاب ولا يخطه بيمينه ليكون معجزة هو أول من حارب الأمية، فالمعروف في غزوة بدر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال للذين يقرأون من الأُسرى: إننا لا نريد منكم مالاً، يكفي أن يعلِّم أحدكم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة، وفعلاً، حتى قال سيدنا زيد بن ثابت: كنت ممن حذق الكتابة على يد هؤلاء، الأمة لابد أن تضع خطة فتقول: عندي ٣٠% لا يقرأون ولا يكتبون فلابد من وضع خطة مثلاً في خلال ١٠ سنوات أتخلص من هذا، أجند مثلاً طلاب الثانويات وطلاب الجامعات وأعمل لهم مكافئات بحيث القارئ يعلِّم الأمي.وهكذا. ويشير الشيخ القرضاوي أنها تربية تعتز بالتراث الإسلامي، وتستهدي به، ويفرق فيها بين المستوى الإلهي المعصوم الثابت، وهو القليل، فيلتمس فيه الهدى والنور، والمستوى البشري المتجدد وهو الأكثر فتستهدي به

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتتخير منه، فهو منارة تهدي، وليس قيدا يعوق، وهي تربية تتفتح على تراث العلم والفكر في العالم كله، وتلتمس الحكمة من أي وعاء خرجت، وتنتفع بتجارب الأمم قديما وحديثا، فتأخذ منها أفضل ما فيها دون تعصب لرأي قديم، ولا عبودية لفكر جديد، لا تنقطع عن الماضي، ولا تنعزل عن الحاضر، ولا تغفل عن المستقبل، تأخذ من الديمقراطية أحسن ما انتهت إليه من الصيغ والضمانات، لحماية حقوق الشعوب في مواجهة الحاكمين، وتأخذ من الاشتراكية أمثل ما انتهت إليه من الصيغ والضمانات، لحماية حقوق الفئات المطحونة في مواجهة المالكين والقادرين، وتستفيد من كل الآراء والنظريات، وإن كانت فلسفتها الأساسية مرفوضة عندها، كفلسفة فرويد، وماركس، ودوركايم. والحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها، فهو أحق الناس بها. وبالتالي لا يوجد دين غير الإسلام كرم العقل والفكر وأشاد بأولى الألباب والنهى، ودعا إلى النظر والتفكر، وحرض على التعقل والتدبر ومن أروع ما جاء في القرآن قوله: " أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (سبأ: ٤٦). ومعناه: أنه لا يطلب منهم إلا خصلة واحدة، وهي أن يتوجهوا بعقولهم وقلوبهم إلى الله الذي يؤمنون به، وبخالقيته للكون وتدبيره لأمره، مخلصين في طلب الهداية إلى الحقيقة، بعيدا عن تأثير" العقل الجمعي"، وعن الخوف من الناس أو المجاملة لهم، كل فرد مع صديقه ممن يثق به، ويطمئن إليه، أو يفكر وحده، وهو معنى قوله: (مثنى وفرادى)، ثم يتفكروا في أمر النبوة، وسيهديهم فكرهم الحر إلى الحق. وقد اعتبر علماؤه أن العقل مناط التكليف، ومحور الثواب والعقاب، كما قرروا أن العقل أساس النقل، إذ لو لم يثبت وجود الله بالعقل، ما ثبت الوحي، فالعقل هو الذي يثبت النبوة، ويثبت صدق النبي بالعقل، ويثبت صدق النبي عن طريق المعجزة الدالة على صدقه دلالة عقلية، ثم بعد ذلك يعزل العقل نفسه، ليتلقى عن الوحي الذي هو سلطة أعلى منه. والقرآن يطالب كل ذي دعوى بإقامة البرهان على دعواه، وإلا اطرحت ورفضت، ولهذا قال في محاورة المشركين: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء:٢٤). فالعقائد لابد أن تؤسس على البراهين اليقينية، لا على الظنون والأوهام. ولهذا عاب الله المشركين بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ " (الجاثية: ٣٢) ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤). ليس في الإسلام إذن ما عرف في بعض الأديان الأخرى من اعتبار الإيمان شيئا خارج منطقة العقل ودائرة التفكير، وإنما يؤخذ بالتسليم المطلق، وإن لم يرتضه العقل، أو يسانده البرهان، حتى شاع عندهم مثل هذا القول: "اعتقد وأنت أعمى"! أو

This file was downloaded from QuranicThought.com

"أغمض عينيك ثم اتبعني"! ويحرم على المسلم أن يتبع الظنون والأوهام، معطلا الأدوات التي وهبه الله إياها لتحصيل المعرفة الصحيحة، وهي: السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦) قال العلماء في تفسير هذه الآية: إن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال. إن تعطيل السمع والبصر والفؤاد ينزل بالإنسان من أفق الإنسانية العاقلة إلى حضيض البهيمية الغافلة، بل يجعل الإنسان أضل سبيلا من الأنعام، لأنها لم تؤت ما أوتي من قوى التمييز والإدراك، فكان جديرا أن يكون من حطب جهنم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩). لقد عاب القرآن على المشركين إتباعهم للظن في تكوين العقائد التي لا يغني فيها إلا اليقين القائم على البصيرة والبرهان . وفي ذلك يخاطبهم فيقول في شأن آلهتهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى﴾ (النجم: ٢٣) ، ويقول في هذا السياق نفسه: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: ٢٨). ولا يحل لمسلم أن يأخذ فكرته عن الوجود: مبدئه ومنتهاه، وعلته وأسراره، إلا عن رب الوجود، فكل ما يتصل بمسائل الغيب والعقيدة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وغايات الحياة وأسرار الكون، ليس له مصدر إلا وحي الله المنزل على رسوله، المؤيد بالآيات البينات، الدالة على صدق نبوته، القاطعة بصحة رسالته. إن من أراد أن يعرف فكرة صحيحة كاملة عن دقائق جهاز ما، وعن الغاية من صنعه، فلابد أن يأخذها من صانعه نفسه، والله تعالى هو صانع هذا الكون، علوية وسفلية، بمن فيه وما فيه، وما نبصره وما لا نبصره، وهو وحده القادر على أن يمدنا بالحقائق الصادقة عن هذا الوجود وأسراره وغاياته.

(القرضاوي، ٢٠٠٨: http://www.qaradawi.net).

وبتحليل ما سبق من خصائص، نجد أن الشيخ القرضاوي قد بين أن التربية الإسلامية، – ومن خلال خصائصها – تربية عملية، تخاطب العقل، وقائمة على مبدأ التخطيط غير عشوائية، تهتم بالعلم وتحارب الجهل والأمية، وهي تربية واقعية قابلة للتطبيق، وليست نظرية ومن الملاحظ أن هناك تقاربًا واضحًا بين تلك العناصر والتي من شأنها إذا أخذ بها أن تأسس لمجتمع متكامل شامل لجميع جوانب الشخصية الإسلامية التي يسعى الإسلام إلى إيجادها، وهى الوحيدة القادرة على النهوض بالأمة. وبيَن القرضاوي أن التربية الإسلامية تدعو إلى العلم والتفوق فيه، والأخذ بأحدث أساليبه، والنزول على حكمه في كل المجالات، ويعتبر التفكير

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عبادة، وطلب كل علم تحتاج إليه الأمة فريضة، والتخلف عن ركب العلم المعاصر منكرًا وجريمة، وأن التفوق في ميادينه النظرية والتطبيقية، المدنية والحربية، واجب ديني، وكل وسيلة، تؤدي إلى هذا الواجب، فإتباعها واجب. وهو لا يرى أي تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، فالعقل – كما قرر علماؤنا – هو أساس النقل، إذ به ثبت وجود الله تعالى، وثبتت النبوة، كما لا يرى أي تعارض بين حقائق العلم، وقواطع الإسلام، فلا مجال للصراع بينهما، كما حدث في ظل أديان أخرى، فالدين عندنا علم، والعلم عندنا دين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الرابع

نظرة الشيخ القرضاوي للعلم

- أخلاقيات العلم
- مبادئ التعليم

  - **التعليم وآدابه**

- آداب المتعلم
- آداب المعلم مع المتعلم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نظرة الشيخ القرضاوي للعلم

ويستطلع الباحث في هذا الفصل، ومن خلال ما كتب الشيخ القرضاوي، الأخلاق التي علي المعلم والمتعلم التحلي بها. فالعلم بلا أخلاق لا قيمة له، ومن هذه الأخلاق الشعور بالمسؤولية وأن الإنسان مسؤول يوم القيامة بقدر علمه وبقدر ما تعلمه، ومن أخلاق العلم أيضا الأمانة العلمية فلا يدَعي لنفسه ما ليس له، كما عليه الابتعاد عن العجب والتحلي بالتواضع بجانب أن يكون عزيز النفس فلا تعارض بين التواضع والعزة، وأن يعمل بما تعلم وأن يكون حريصاً على تبليغ ما تعلمه وعدم كتمانه وسيتناول الباحث كذلك الأسس والمبادئ التي تسهل حدوث التعلم أو ممارسته من خلال التعرف على آداب التعليم والتعلم، مثل: تصحيح النية، وتوقير المعلم، وإكرامه وضرورة التعليم، وما يجب على المسلم تعلمه، وعدم التوقف عن طلب العلم والتعلم، والصبر على متاعب الطلب، وحسن السؤال. هذا بالنسبة للمتعلم، أما الآداب التي علي المعلم التخلق بها: الترحيب بالمتعلم والرفق به والحنو عليه والإشفاق على المخطئ، ويمكن تنبيه المخطئ إلى خطئه، وتشجيع المحسن والثناء عليه، واستخدام الأساليب التعليمية المعينة، وتخير أحسن الأساليب، مثل التدرج في التعليم، ورعاية الفروق الفردية، واستخدام التشويق وعدم الإملال، واستغلال المواقف العملية للتربية والتوجيه، واستخدام الوسائل التعليمية المعينة، وإثارة الانتباه من خلال استخدام أسلوب الحوار والمناقشة.

إن العلم في نظر الشيخ القرضاوي ليس مجرد حشو الرؤوس بالمعلومات، مهما تكن قيمة هذه المعلومات من جلالة القدر في موضعها، أو في طريقة ثبوتها، حتى العلم المقتبس من طريق النبوة– الذي هو العلم الأعلى – لا يكفي فيه محض اكتسابه وتحصيله، بل لا بد لصاحب العلم من الالتزام بالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله، والتي جعلتهم أهلاً لأن يكونوا خلفاء الأنبياء (القرضاوي، ١٩٩٩: ٦٥).

أخلاقيات العلم

بين الإسلام فضل العلم والعلماء، ومن الطبيعي أنه لا يمكن أن ينشر العلم بلا علماء، كما حث الإسلام على طلب العلم، ومن القول المأثور "اطلب العلم من المهد إلى اللحد"إلا أن هناك قواعد يجب إن يتحلى بها كلٌ من العالم والمتعلم... وقد فصل ذلك الشيخ القرضاوي كما يلي:

١– الشعور بالمسؤولية

الشعور بالمسؤولية أمام الله فالعلماء ورثة الأنبياء، ولا رتبة أعلى من رتبة النبوة، ولا درجة أعظم من درجة الوارثين لهذه الرتبة وعلى قدر المنزلة تكون المسؤولية. وفي الحديث:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

"لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وماله من أين اكتسبه ؟ وفيما أنفقه ؟ وماذا عمل فيما علم" (الألباني، ١٩٩٤: ٩٤٦). وكلما اتسعت دائرة علم الإنسان كلما عظمت مسؤوليته. فليس من علم مسألة كمن علم عشراً أو مئة، وكما أن من كثر ماله كثر حسابه، وطال سؤاله، وعسر جوابه. فكذلك من كثر عمله واستبحرت معارفه، كانت مسؤوليته أكبر، وتبعته أثقل. فهو مسئول عن علمه من عدة جوانب:

مسؤول عن صيانته وحفظه حتى يبقى، ومسئول عن تعميقه وتحقيقه حتى يرقى، ومسؤول عن العمل به حتى يثمر، ومسؤول عن تعليمه لمن يطلبه حتى يزكو، ومسؤول عن بثه ونشره حتى يعم نفعه، ومسؤول عن إعداد من يرثه ويحمله حتى يدوم اتصال حلقاته، وقبل ذلك كله، مسؤول عن إخلاصه في علمه لله حتى يقبله منه. وكان مالك بن دينار إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع ثم يقول: تحسبون أن عيني تقر، وأنا أعلم أن الله عز وجل سائلي عنه يوم القيامة: ما أردت به؟. وكان أبو الدرداء الصحابي الفقيه الزاهد- رضي الله عنه-يقول إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق، فيقول لي: يا عويمر، فأقول: لبيك رب! فيقول: ما عملت فيما علمت؟. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٦٥، ٦٦).

٢- الأمانة العلمية

ومن أخلاقيات العلم الأمانة فهي من لوازم الإيمان، ولا إيمان لمن لا أمانة له. قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ " (المؤمنون: ٨). كما أن الخيانة من لوازم النفاق، فمن آيات المنافق البارزة: أنه إذا اؤتمن خان. وما ذلك إلا لأن الخيانة في المال- مهما عظمت- محدودة الضرر، أما الخيانة في العلم فقد تدمر مجتمعاً بأسره. ومن أمانة العلم أن ينسب القول لمن قاله، والفكرة لصاحبها، ولا يستفيد من الغير ثم يسند الفضل إلى نفسه، فإن هذا لون من السرقة وضرب من الغش والتزوير. وفي هذا قال سلفنا: من بركة القول أن يسند إلى قائله. ولهذا نجد كتب السلف المتقدمين موثقة بالأسانيد التي عن طريقها وصلت الآراء والأقوال في مختلف العلوم. ولم يكن الإسناد في الحديث وعلوم الدين وحدها، بل شمل علوماً أخرى كالتاريخ واللغة والأدب وغيرها. ومن أمانة العلم أن يقف الإنسان عندما يعلم، وأن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فليس في العلم خجل ولا كبرياء، وأن يتقبل أي حقيقة أو فائدة علمية تأتيه، ولو على يد من هو أقل منه علماً، أو أصغر سناً، أو أدنى منزلة. وحسبه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سئل أمام الملأ من الناس عن الساعة، فقال بصريح العبارة: "ما المسؤول

This file was downloaded from QuranicThought.com

عنها بأعلم من السائل" وذلك في حدث جبريل المشهور فهذا هو موقف العالم الأمين: ألا يجيب من سأله، ولا يفتي من استفتاه إلا بما يستيقنه ويتبينه. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٦٦، ٦٧).

أما من أفتى بغير علم، أو أشار على من يستشيره بغير ما يعتقد، فقد خان الأمانة، واستحق من الله العقوبة. وهكذا تعلم أصحابه –صلى الله عليه وسلم– ومن تبعهم بإحسان من علماء الأمة، فلم يهابوا أن يقولوا: لا ندرى فيا لا يدرون، وأن يردهم من دونهم إلى الصواب، فيرجعوا جهرة غير متأففين، ولا مستكبرين، وأن يغيروا فتواهم إذا تغير اجتهادهم غير خزايا ولا متحرجين. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٦٨).

يقول الإمام محمد بن سيرين: لم يكن أحد بعد النبي – صلى الله عليه وسلم– أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر، وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد لها من كتاب الله تعالى أصلاً، ولا في السنة أثراً, فقال: أجتهد رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله. (الهندي، ١٩٩٨: ج١، ١٤١٩).

وهذا أمير المؤمنين (علي) أقضى الأمة، وحلاّل المعضلات، والبحر الذي لا تدركه الدلاء، يقول: لا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم. وسئل يوماً عن مسألة فقال: لا علم لي بها. ثم قال: وأبردها على الكبد، سئلت عما لا أعلم، فقلت: لا أعلم. (الهندي، ١٩٩٨، ج١: ١٤٣٧).

٣- التواضع

ومن أخلاق العلماء: التواضع، فالعالم الحق لا يركبه الغرور، ولا يستبد به العجب، لأنه يدرك بيقين أن العلم بحر لا شطآن له، ولا يصل أحد إلى قراره، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥). كما أنه يعلم أن قافلة العلم والعلماء مديدة طويلة، ضاربة في أغوار الماضي، موصولة بالحاضر، ممتدة في المستقبل، وليس هو إلا واحداً منها، فلا ينبغي له أن يغمط فضل السابقين، أو ينكر جهد اللاحقين. وليس هناك من أحاط بكل شيء علما إلا الله تعالى. أما الإنسان فهو يعرف شيئاً وتغيب عنه أشياء، ويعرف اليوم ما كان يجهل بالأمس، ويعرف اليوم ما ينساه في الغد، ويعرف الظاهر من الأشياء دون الباطن، والحاضر دون المستقبل. وأكثر الناس ادعاء للعلم والمعرفة هم أنصاف المتعلمين، وأشباههم الذين لا يعرفون من العلم إلا القشور دون اللباب، والسطوح دون الأعماق. وأما من اتسع أفقه، وعمق إدراكه، فهو يكتشف مع كل حقيقة جديدة أنه يجهل أكثر مما يعلم، وأن العلم أكبر من أن يحاط به، وكفى بهذا الاعتراف علماً. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٦٩).

This file was downloaded from QuranicThought.com

٤- **العزة**

ومن أخلاق العلماء: العزة التي هي من أخص فضائل المؤمنين ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)، والعلماء هم صفوة المؤمنين. والعزة شيء غير الغرور أو العجب أو الكبر، وهي لهذا لا تنافي فضيلة التواضع التي تحدثنا عنها. هي عزة في مواجهة المستكبرين، أو المتعالين بالثروة، أو المزهوين بالقوة، أو المفاخرين بالنسب، أو المكاثرين بالعدد، أو غير ذلك من أعراض الدنيا. فهي عزة بالعلم والإيمان وليست غزة الإثم والعدوان، غزة تلتمس من الله ولا تطلب من الناس، ولا عند أبواب السلاطين (القرضاوي، ١٩٩٩: ٧٣). ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلهِ العِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠)

سأل الحجاج خالد بن صفوان: من سيد البصرة؟ فقال له: الحسن البصري فقال: وكيف وهو مولى؟ أي ليس من قبائل العرب ذوي الحسب. فقال: احتاج الناس إليه في دينهم، واستغنى عن الناس في دنياهم، وما رأيت أحداً من أشراف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول في حلقته إليه. يستمع قوله ويكتب علمه قال: هذا والله السؤدد. (ابن عبد البر، ١٩٩٣، ج١: ٧٤، ٧٥).

وإذا كانت النبوة أشرف المواريث التي تنقطع دونها أماني الخلق، فإن المرتبة التي تليها في الشرف والفضل هي رتبة وارثيها، وهم العلماء. ويقول عمرو بن العاص: من قرأ القرآن، فقد أدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه ! ومفهوم كلمة (قرأ ألقرآن) في الحديث، وفي عرف الصحابة والقرون الأولى لا يعني مجرد استظهاره ، وحفظ كلماته وحروفه دون تدبر له، ولا فهم لمعانيه وأسراره ، وأحكامه ، إنما تعني القراءة : العلم والفقه، ولهذا كان العلماء يسمونهم (القراء). (القرضاوي، ١٩٩٩: ٧٥)

٥_ **العمل بمقتضى العلم**

ومن أخلاقيات العلم الأصيلة في الإسلام: العمل بمقتضى العلم على معنى أن يكون هناك صلة بين العلم والإرادة، فإن آفة كثير من الناس أن يعلم ولا يعمل، أو يعمل بضد ما يعلم كالطبيب الذي يعرف ضرر مأكول أو مشروب على صحته، ولا يفتأ يتناوله استجابة لداعي الشهوة أو العادة. كالأطباء الذين يحاضرون في أضرار التدخين وهم مسرفون في تعاطيه! وعالم الأخلاق الذي يرى سلوكاً معيناً رذيلة وهو مقيم عليه، متماد فيه، وعالم الدين الذي يرى عملاً ما منكراً ، وقد ينهي الناس عنه، وهو يقترفه! إن هذا النوع من العلم النظري البحت لا يرضى عنه الإسلام . وربما كان الجهل في تلك الحال خيراً منه. إن العلم الحق هو الذي ينير

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بصيرة صاحبه، ويجسم أمام عينيه الجزاء، فيبدو البعيد قريباً ، والغائب حاضراً ، والآجل ناجزاً، فتقوى عزيمته على البر والتقوى ، وتضعف رغبته في الإثم والفجور. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٦٥، ٧٦).

والعلم هنا ليس تحصيل معلومات سطحية من هنا وهناك، ولكنه نور يقذفه الله في قلب عبده، فيمنحه اليقين والرسوخ، ويبعد به عن القلق والاضطراب وهذا هو العلم النافع. العلم النافع حقاً هو الذي يرى الناس أثره على صاحبه ، نوراً في الوجه، وخشية في القلب، واستقامة في السلوك، وصدقاً مع الله ، ومع الناس ، ومع النفس. أما مجرد التشدق بالكلام المزوق، والثرثرة بالقول المعسول من طرف اللسان، دون أن يصدق القول والعمل، فهذا هو شأن المنافقين الذين يقولون مالا يفعلون، ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، ويقرؤون الأحاديث. وهو ما أنكره القرآن على بني إسرائيل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤). كأنما يشير القرآن إلى أن مناقضة العلم للعمل، والقول للفعل، ضرب من الجنون، أو لون من الفصام الذي لا يليق بالعقلاء (القرضاوي، ١٩٩٩: ٧٧). وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢، ٣).

٦- الحرص على نشر العلم

ومن أخلاق العلماء: الحرص على نشر العلم وتبليغه ونفع الناس به، فلا خير في علم يكتم، كما لا خير في مال يكنز، فإنما جعل العلم لينشر، كما جعل المال لينفق. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٨١).

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يحض أصحابه على تبليغ ما يسمعونه منه، لينتفع به من بعدهم زمانا، ومن ورائهم مكاناً، ففي حجة الوداع ألقى بيانه العظيم عن الإسلام م قال في ختامه: " ليبلغ الشاهد منكم الغائب" (الألباني، ١٩٨٧: ١٩٠).

مسائل وملاحظات تتعلق بكتمان العلم ونشره

وهنا عدة مسائل (تتعلق) بكتمان العلم ونشره، وقد تعرض لها القرضاوي وألقى عليها بعض الضوء، متى يجوز حجب بعض المعلومات؟

الأولى: إن من حق العالم أن يحجب بعض المعلومات عن بعض الناس، لمصلحة يراها ولو سئل عنها، لما يترتب على بثها من ضرر أكبر من نفع للعلم بها وقد يدع الجواب عن مسألة تأديباً للسائل المتعنت، أو إرشاداً له إلى الاشتغال بما هو أهم وأنفع، أو غير ذلك من الاعتبارات. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٨٠، ٨١).

This file was downloaded from QuranicThought.com

حكم إعارة الكتب

الثانية: قال بعض العلماء: يشمل الوعيد – على كتمان العلم – حبس الكتب عن الطالب لا سيما عند عدم التعدد. قال: والابتلاء بهذا كثير، ومقتضى هذا وجوب إعارة الكتب لطلاب العلم إذا احتاجوا إليها، ذلك لان منعها – فيما يرى الشيخ القرضاوي – يدخل أيضا في باب منع الماعون، المتوعد عليه بالويل في كتاب الله. وهو أيضا أشبه بكنز المال ، وعدم الإنفاق منه في سبيل الله، وفيه من الوعيد ما فيه . ولكن وجوب هذا في رأي القرضاوي بشروط :

١- أن يكون طالب الكتاب في حاجة حقيقية إليه لا يغني عنه غيره

٢- ألا توجد مكتبات عامة يمكنه استعارة الكتاب منها خارجياً أو داخلياً .

٣- ألا يستطيع شراء الكتاب ، لعدم وجوده في السوق ، أو لعجزه عن شرائه.

٤- ألا يكون معروفاً بالإهمال وإضاعة الكتب أو تعريضها للتلف.

٥- ألا يكون صاحب الكتاب في حاجة إليه، لأن حاجته مقدمة على حاجة غيره.

(القرضاوي، ١٩٩٩: ٨١، ٨٢).

حق التأليف والنشر

عرض القرضاوي لرأي العلماء سواء من قالوا في عصرنا: أن من موجب الكتمان المحرم أن يمنع المؤلف نشر كتابه إلا بإذن منه، وتعاقد معه، وأخذ أجرة عليه، وإنما يجب أن يمنحه لمن شاء طبعه، ونشره دون حجر ولا احتكار، وبغير مقابل. وأنكروا ما اصطلح الناس في عصرنا على تسميته حقوق التأليف أو النشر أو التوزيع. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٨٧).

أو من قالوا: جواز أخذ الأجرة، لتغير الزمان، وخوفاً على هذه الأعمال الدينية أن تتعطل، ولا تجد من يتطوع للقيام بها، فاقتضت مصلحة الدين وعمارة بيوته واستمرار إقامة شعائره ، إباحة أخذ الأجرة. وقد رجح القرضاوي هذا الرأي القائل بجواز اخذ الأجرة وساق هنا جملة أمور:

أولاً: أن الكتاب ملك لمؤلفه، ولهذا ينسب إليه، ويحسب عليه، ويحاسب على أخطائه . وملكيته هنا ملكية علمية أدبية . وهو أمر اعترف به العالم كله في قوانينه المدنية.

ولا ريب أن من ملك شيئاً أصبح حر التصرف فيه، وأصبح من حقه الانتفاع بثمراته، وهذه من لوازم الملكية. فإذا كان من يملك بيتاً له الحق أن يسكنه أو يؤجره أو يبيعه، فكذلك من يملك كتاباً.

ثانياً: أن الكتاب العلمي لا يأتي عفواً، وإنما هو ثمرة كفاح طويل، كون به صاحبه شخصيته العلمية، ثم هو نتيجة جهد جهيد، وسهر بالليل، وعرق بالنهار لا يعرفه إلا من عاناه، وربما استغرق الكتاب من صاحبه سنين حتى يبرز إلى حيز الوجود، أو قل حتى تأتي ساعة المخاض،

This file was downloaded from QuranicThought.com

فهو إذن كسب من وراء عمل طويل مختزن في كتابه، كما أن المصنع أو العمارة ثمرة جهد طويل، اختزنه فيها منشيء المصنع أو صاحب العمارة.

ثالثاً: أن حياة العالم المؤلف ليست حياة سهلة، كحياة سائر الناس، إنها حياة تتطلب جهدا خاصاً زائداً على جهود العاديين من الناس، كما تتطلب نفقات خاصة زائدة أيضاً على نفقات الآخرين. فالعالم المؤلف يحتاج إلى مكتبة غنية بالمصادر المهمة ويحتاج إلى من يساعده في النقل أو التبييض أو الطباعة ، ويحتاج لمن يساعده في شؤون أسرته.حيث لا يمكنه أن يتفرغ لأمورهم ورعايتهم، كما يتفرغ سائر الناس. وبدون هذا لا يستطيع أن ينتج عملاً حقيقيا. فأنى له أن يغطي هذه النفقات، وإن كان موظفاً في جامعة أو وزارة أو مؤسسة، إن لم يكن له من مؤلفاته ما يعطيه بعض العوض؟.

رابعاً: أن المؤلف قد يصدر طبعة من كتاب ثم يتراءى له بعد صدوره أشياء تقتضيه أن يضيف أو يحذف أو يعدل، بناء على اطلاع جديد أو تغير اجتهاد أو اقتراح مقبول. فإذا لم يعلم الطابع أو الناشر ماذا عند المؤلف من تعديلات، وتنقيحات فإنه سينشر الكتاب على ما كان عليه، ويلزم المؤلف ما لم يعد يلتزمه. وقد كان علماؤنا قديماً لا يستبيحون رواية كتاب عالم ما إلا (بإجازة) منه، وقد كان بعض العلماء يعطي بعض طلابه (إجازة خاصة) برواية كتاب معين. وأحياناً يمنحه (إجازة عامة) برواية كتبه كلها. وهذه الإجازة تشبه حق الطبع أو النشر في زمننا، أضيف إليها عنصر جديد وهو: أن المؤلف يتقاضى أجرا على جهده في التأليف ، ويشارك الناشر في جزء من الربح الذي يصيبه من وراء نشر الكتاب. ولكن الأمر الذي يجب تأكيده والتشديد فيه حقاً هو ألا يستغل الناشرون والمؤلفون حاجة القراء إلى كتاب ما، فيغالوا في سعره، كما في كثير من الكتب الجامعية، والكتب التي يقبل عليها الجمهور، فزيادة الأسعار بما يتغابن الناس في مثله غير مشروع. (القرضاوي، ١٩٩٩ : ٨٨، ٨٩).

مبادئ التعليم

وهي الأسس التي تسهل حدوث التعلم أو ممارسته بنجاح

١- العناية بالمعلم والتنويه بقدره

العناية بشأن المعلم، والإشادة بمنزلته والتنويه بمكانته، فهو يقوم مقام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في هداية الخلق إلى الحق وتعليمهم ما ينفعهم في أولاهم وأخراهم. إن المعلم هو العنصر الفعال في عملية التعليم، فعلى قدر ما يحمل في رأسه من علم وفكر، وما يحمل في قلبه من إيمان برسالته، ومحبة لتلاميذه، وما أوتي من موهبة وخبرة في حسن طريقة التعليم، يكون نجاحه وأثره في أبنائه وطلابه.وكثيراً ما كان المعلم الصالح عوضاً عن ضعف المنهج وضعف الكتاب، وكثيراً ما كان هو المنهج والكتاب معاً. ومن هنا كانت عناية النبي – صلى الله عليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وسلم- بالمعلم، وتنويهه برسالته، وما لها من شأن عند الله، وعند المخلوقات كلها. فهو مشغول بمهمته، وهي مشغولة بالاستغفار له. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١١٤، ١١٥).

ويكفي المعلم فضلاً أن له أجراً بمقدار ما ينتفع بعلمه، ويهتدي به من الناس، قربوا أو بعدوا، قلوا أو كثروا.(القرضاوي، ١٩٩٩: ١١٦).

فالعالم العامل المعلم هو وارث النبوة حقاً، وناهي المعلم شرفاً وفضلاً أن رسول الله وخيرته من خلقه سمى نفسه "معلماً". (القرضاوي، ١٩٩٩: ١١٧).

٢- تكافل المجتمع في تعليم أبنائه:

وينبغي لمن علم علماً أن يبدأ بتعليمه لأقرب الناس إليه ثم من يليهم، ثم من بعدهم وهكذا. وبعد الأهل والولد يأتي حق الخدم وإن كانوا رقيقاً، فينبغي لسيد البيت ألا يبخل بتعليمهم ما لهم وما عليهم فقد أصبحوا جزءاً من الأسرة. إن أحسنوا فلأنفسهم ولها. وإن أساؤوا فعلى أنفسهم وعليها. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١١٨).

التعليم وآدابه

التعليم يمثل روح الأمة، ويعكس وجدانها، وتتجلى فيه خصائصها وسماتها، وحتى يكون هذا الانعكاس ايجابيا مشرقا ينتج عنه خصائص إسلامية معاصرة تتسم بالأصالة فهناك آداب للتعليم قد أشار إليها الشيخ القرضاوي

أولاً: آداب المتعلم

آفة العلم ليس نسيانه فقط، آفة العلم، عدم إخلاص النية لله، آفة العلم عدم العمل به، آفة العلم عدم التأدب بآدابه، وعلم بلا أخلاق فلا قيمة له.

تصحيح النية

وأول ما يرجى من طالب العلم، تصحيح النية، وذلك أن يجاهد نفسه على الإخلاص والتجرد، ويتحرى بعلمه وجه الله تعالى والدار الآخرة، لا يجعل همه ونيته مباهاة العلماء، أو مماراة السفهاء، أو مجاراة الأغنياء، آو مداهنة الأمراء، أو جمع المال، أو الجاه، أو غير ذلك مما يتطلع إليه الناس من متاع الحياة الأدنى، فيبيعون باقياً بفان، وعظيما بحقير، وملكاً كبيراً بثمن قليل. ولو جاز هذا في طلب علوم الدنيا، لم يجز في طلب علوم الآخرة، التي تحتاج أول ما تحتاج إلى تصفية السريرة، وتجريد الهمة، والإقبال بكلية القلب على الله تعالى. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٠٠).

فالدنيا ليست مذمومة لذاتها، كيف وقد كان كثير من العلماء الكبار أغنياء مثل الليث بن سعد، وأبي حنيفة وغيرهما؟ بل كان في كبار الصحابة أغنياء ذوو ثروات طائلة مثل عبد

This file was downloaded from QuranicThought.com

الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وطلحة والزبير، من العشرة المبشرين بالجنة، بل كان في الأنبياء أغنياء مثل أنبياء الله يوسف، وداود وسليمان – عليهم السلام – الذين آتاهم الله النبوة والملك معاً. والدنيا إنما ذمت هنا، لأنها أريدت بعمل الآخرة، وعلم الآخرة، ولهذا قيده في الحديث بقوله "علم مما يبتغى به وجه الله تعالى" وهو علم الدين. وكيف تذم الدنيا لذاتها وهي مزرعة الآخرة؟. ولهذا قال العلامة القارى في "المرقاة": إن من أخلص قصده فتعلم لله، لا يضره حصول الدنيا له من غير قصدها بتعلمه. بل من شأن الإخلاص بالعلم، أن تأتي الدنيا لصاحبه راغمة. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٠٢).

كما ورد في الحديث: " نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة ؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم. وقال: من كان همه الآخرة ؛ جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا ؛ فرق الله عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له " (الألباني، ١٩٩٤: ٤٠٤). ومن المعروف أن معظم طلاب العلم في عصرنا، لا يتجهون إلى العلم بنية سابقة، ورغبة مبيته، بل يوجههم إليه– في صغرهم– آباؤهم وأولياء أمورهم، أو يوجههم إليه – رغما عنهم– مجموع درجاتهم في بعض المواد أو كلها، أو توجههم ظروف خاصة بمثل ألا يكون في البلد إلا لون معين من الدراسة يفرض عليهم، رضوا أم سخطوا. ثم لا يلبثون إذا أدركوا ونضجوا أن يجدوا أنفسهم في معهد ديني، أو مدرسة شرعية، ولو خير اليوم ما اختار هذا الطريق فهذه دراسة بلا نية، لأن صاحبها أجبر عليها، ولم يكن له حق الاختيار، وإنما النية مع الاختيار. وينبغي لمن وضعته الأقدار في هذا الموضع من تعلم الدين ودراسة علوم الشريعة، أن يحاول من جديد إنشاء نية صالحة، ورغبة صادقة، وسيجد من العلم الذي يعيش في ظلاله– علم القرآن والسنة– وصحبة أهل الخير في سيرهم، ما يعينه على تصحيح النية، وتجريد الإرادة لله جل شأنه. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٠٣).

وقد رووا عن مجاهد قال: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية. (الدرامي، ج١، :٨٥).

توقير المعلم وإكرامه

ومن أدب المتعلم الذي جاءت به السنة النبوية: توقير المعلم، وإعطاؤه ما يستحق من التكريم والإكبار، فإن المعلم لتلميذه بمنزلة الأب لولده. بل قال يحيى بن معاذ رحمه الله: العلماء أرحم بأمة محمد– صلى الله عليه وسلم– من آبائهم وأمهاتهم. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، والعلماء يحفظونهم من نار الآخـــرة. (القرضـــاوي، ١٩٩٩: ١٠٩).

وللعلماء درجات رفيعة، فَهُم قادة الأمة ورواد البحث، وهم ورثة الأنبياء الذين تناط بهم مواجهة الانحلال والفساد، وتحقيق العدل ونشر العلم. (جبار، ١٩٩٥: ٣١٩).

وبهذا صار حق المعلم كما يقول الغزالي: أعظم من حق الوالدين، فـــإن الوالـــد ســـبب الوجود الحاضر، والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية. ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم. وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية. أعني معلم علوم الآخـــرة، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة. (الغزالي، ١٩٩٨، ج١: ٥٥).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن من حق العالم: ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب، وألا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض (أي: تريد أن تستوقفه)، ولا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله، ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، (أي: تدير له ظهرك)، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته. (ابن عبد البر،١٩٩٣، ج١: ١٥٦، ١٥٧).

ومن توقير المتعلم لمعلمه: أن يحسن الصمت في موضعه، كما يحسن الكلام أو السؤال في موضعه. قال الحسن بن علي لابنه: يا بني، إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحـــرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حـــديثاً وإن طال حتى يمسك. وقال شعبة: كل من سمعت منه حديثاً، فأنا له عبد! وهذه الكلمة قد شـــاع معناها عند المسلمين حتى جرت مجرى المثل، وهي قولهم: "من علمني حرفاً صرت له عبداً"! وهذه غاية في التكريم للعلماء والمعلمين، لم ترق إليها أمة من الأمـــم. (القرضـــاوي، ١٩٩٩: ١١١).

ضرورة التعليم

يولد الإنسان غفلاً من العلم، ولكن الله سبحانه وتعالى فطره على حب المعرفة واستطلاع ما يجهل ووهب له من أدوات العلم ما يستطيع به أن يعرف نفسه ويطل على الوجود من حوله، يقول الله تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨). وبهذا استطاع الإنسان أن يتعلم، ويكتشف سنن الكون وحقائق الوجود عن طريق السمع والرواية، وعن طريق البصر والملاحظة، وعن طريق الفؤاد والتفكير. وهي الوسائل التي استودعها الله الإنسان، وسيسأل عنها أمام الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦). وبهذه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الوسائل يتمكن الإنسان أن يكتسب علم الدنيا، وأن يحصل علم الدين، إذا شحذ همته لطلب العلم، ولم تشغله شواغل الدنيا عن التعليم. هكذا قضت سنة الله: أن السماء لا تمطر على الإنسان علماً، وهو قاعد في بيته، إنما يدرك العلم من طلبه، وعانى في تحصيله. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٩٠).

ما يجب على المسلم تعلمه

حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التعليم أعظم الحث، ورغب فيه كل الترغيب، حتى جعله فريضة لازمة، وذلك في الحديث الذي اشتهر على الألسنة، حتى حفظه الكبير والصغير والخاص والعام: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".(الألباني: ١٩٨٤، ٨٦). أي: على كل إنسان مسلم ذكرا كان أم أنثى، ولهذا يرويه جمهور الناس...على كل مسلم ومسلمة، والمعنى صحيح ولكن اللفظ لم يرد. ولكن ما العلم الذي جعل الحديث طلبه فرضاً على كل مسلم؟ قد تباينت الأقوال وتناقضت الآراء. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٩١).

وهكذا تعددت الآراء واختلفت الأقوال، ولكل وجهة هو موليها والذي أراه أن العلم الواجب طلبه وتعلمه، عيناً على المسلم هو ما لا بد له منه في دينه أو في دنياه. أما في دينه، فلا بد له أن يتعلم من علوم الشرع:

١- ما يعرف به عقيدته معرفة يقينية صحيحة، سالمة من الشركيات والخرافات.

٢- وما يصحح به عبادته لربه ظاهراً، بأن تكون على الصورة المشروعة، وباطناً بأن تتوافر فيها النية الخالصة لله تعالى.

٣- ما يزكي به نفسه، ويطهر به قلبه، بأن يعرف الفضائل "المنجيات" ليتحراها ويتخلق بها، ويعرف الرذائل "المهلكات" ليتجنبها ويتوقاها.

٤- وما يضبط به سلوكه في علاقته مع نفسه، أو مع أسرته، أو مع الناس، حكاماً ومحكومين مسلمين وغير مسلمين، فيعرف في ذلك الحلال من الحرام، والواجب من غير الواجب واللائق من غير اللائق. ولا يضيرنا أن يدخل هذا القدر اللازم تحت اسم "التوحيد" أو "الفقه" أو "التصوف" أو "الآداب الشرعية" أو الزهد أو غير ذلك. فهذه التسميات مصطلحات محدثة، ولم يتعبدنا الله بها، وإنما يهمنا المضمون، ولا عبرة بالأسماء والعناوين، متى وضحت المسميات والمضامين. وهذا القدر من العلم يجب أن يكون إلزامياً، يتعلمه كل مسلم ومسلمه: بالقراءة في المدارس والمعاهد، وبالسماع في المساجد، وفي أجهزة الإعلام المختلفة. وعلى كل دولة تنتسب إلى الإسلام، أن توفر هذا القدر لأبنائها بكل وسيلة مستطاعة، وأن تنتهز كل فرصة لتفقيه أبنائها ما يجب عليهم، مثل فرصة التجنيد في الجيش أو في الشرطة. ويجب على الآباء والأولياء أن يعلموا أولادهم، ومن يلون عليهم، أو يبعثوا بهم إلى المدارس والمساجد والأماكن يتلقون فيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العلم الواجب، ولا يجوز لولي أن يدع موليه في ظلام الجهل بدينه، دون أن يعلمه أو يهيئ لـــه من يعلمه، فضلاً عن أن يمنعه من التعلم إذا أراد. وذلك أن الحديث الـــشريف يقـــول: "مـــروا أولادكم بالصلاة لسبع"، فدل هذا على وجوب تعلم الصلاة – ومثلها الصيام لمن يطيقه – منـــذ تمام السابعة من العمر: لأن أداء الصلاة غير ممكن إلا بتعلمها بشروطها وأركانها وكيفيتها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فإذا قصر الأب أو الولي في تعليم من ولاه الله رعايته، ولـــم يعفه ذلك من وجوب التعلم وطلب العلم المفروض عليه، حين يبلغ الحلم، ويتحمـــل مـــسؤولية نفسه، فقد رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٩٢، ٩٣، ٩٤).

الإمام أبو محمد بن حزم بعد أن بين ما يلزم كل مسلم ومسلمة تعلمـــه مـــن الطهـــارة والصلاة والصيام، وما يحل له ويحرم عليه من المآكل، والمـــشارب، والملابـــس، والفـــروج، والدماء، والأقوال والأعمال قال: "فهذا كله لا يسع جهله أحداً من النـــاس، ذكـــورهم وإنـــاثهم، أحرارهم وعبيدهم وإمائهم. وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم، وهـــم مسلمون أو من حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم". وقال: "ويجبر الإمام (رئـــيس الدولـــة) أزواج النساء، وسادات الأرقاء، على تعليمهم ما ذكرنا، إما بأنفسهم، وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك، وأن يرتب أقواماً بتعليم الجهال".(ابن حـــزم، ٢٠٠٠: ٦٩).

ففرض على كل أحد طلب ما يلزمه؛ هذا ما لا بد منه للمسلم في دينه، وتعلمه فـــرض عين عليه، وأما ما لا بد له منه في دنياه، فيختلف باختلاف البيئات والأزمان. وأرى أن تعلـــم القراءة والكتابة والحساب وسائر ما يدرس في المرحلة الابتدائية الآن –على الأقل– لازم لكـــل إنسان ما في دنيا عصرنا حتى يكون عضواً نافعاً في المجتمع، ولا توصم أمتنا بالتخلف والأمية في مواجهة الأمم الراقية المتعلمة، ما يفترض تعلمه على سبيل الكفاية: وهناك من العلوم ما يعد طلبه فرض كفاية على الجماعة، بحيث إذا قام به واحد أو عدد كاف سقط الحرج عـــن بـــاقي الجماعة، وإلا أثمت الجماعة عامة، وأولي الأمر فيها خاصة. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٩٦).

ويقول الإمام ابن حزم: ثم فرض على كل جماعة مجتمعة في قرية أو مدينة أو دسكرة أو حلة أعراب أو حصن، أن ينتدب، منهم– لطلب جميع أحكام الديانة أولها عن آخرها ولـــتعلم القرآن كله، ولكتاب كل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، من أحاديث الأحكام أولها عـــن آخرها وضبطها بنصوص ألفاظها، وضبط كل ما أجمع المسلمون عليه، وما اختلفوا فيـــه مـــن يقوم بتعليمهم، وتفقيههم من القرآن، والحديث، والإجماع ويكتفي بذلك على قدر قلتهم أو كثرتهم. يعني أن الواجب طلب جميع ما ذكره ابن حزم، إن لم يستوعبه جهد الطالب. وأستدل ابن حزم لما ذكره بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي

This file was downloaded from QuranicThought.com

الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢) فالنفار المذكور فرض على الجماعة كلها، حتى يقوم بها بعضهم فيسقط عن الباقين. ثم قال: وفرض على جميع المسلمين أن يكون في كل قرية أو مدينة أو حصن من يحفظ القرآن كله ويعلمه الناس ويقرئه إياهم، لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءته. (ابن حزم، ٢٠٠٠: ٦٩٠، ٦٩١).

والظاهر أن فرض الكفاية هنا: هو كل ما تحتاج إليه الجماعة المسلمة في دينها أو دنياها، من التبحر في علوم الشرع أو التخصص في علوم الكون من طب، وهندسة، ورياضة، وفلك، وكيمياء، وطبيعة، وأحياء، وجيولوجيا أو غيرها، من كل ما تتطلبه حياة الناس الاجتماعية في هذا العصر مدنياً أو عسكرياً. بل كل ما يحتاج إليه المسلمون من العلوم، ليتحقق لهم التفوق على غيرهم، وتكون لهم القوة على عدوهم، فهو فرض عليهم على الكفاية، والتفريط فيه يصيب الأمة كلها بالحرج والإثم. وقد يتعين فرض الكفاية في حق بعض الناس إذا دعاه إليه من له الأمر ولا عذر عنده أو كان عنده من الأهلية ما ليس عند غيره، وعلم ذلك من نفسه، ولم يحل دونه حائل. والأصل في ذلك: أن كل ما يؤدي إلى ضعف الأمة، يجب دفعه قبل وقوعه، ورفعه إن وقع. وأن كل ما يؤدي إلى قوة الأمة واستقرارها، وحمايتها من الأخطار الداخلية والخارجية، يجب تحصيله عليها بالتضامن، وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. (القرضاوي،١٩٩٩: ٩٧).

ويقول الإمام الغزالي في بيان العلم الذي هو فرض كفاية:

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى : شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة، فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة. أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب، فإنه ضروري في المعاملات، وقسمة الوصايا، والمواريث وغيرهما. وهذه العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد. (أي: أثموا)، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين. فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفاية كالفلاحة، والحياكة، والسياسة بل الحجامة والخياطة. فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم، وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك. فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وأرشد إلى استعماله، وأعد الأسباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله. وأما ما يعد

This file was downloaded from QuranicThought.com

فضيلة. لا فريضة، فالتعمق في دقائق الحساب، وحقائق الطب، وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه. وأما المذموم: فعلم السحر، والطلسمات، وعلم الشعوذة والتلبيسات. وأما المباح منه: فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، والتواريخ والأخبار وما يجرى مجراه. (الغزالي، ١٩٩٨، ج١: ١٧).

رأي الشيخ القرضاوي في بيان العلم الذي هو فرض كفاية

ويعلق الشيخ القرضاوي علي ما ذكره الإمام الغزالي قائلاً: وفي بعض ما ذكر الإمام أبو حامد هنا نظر، بالنسبة لعصرنا. فإن اتساع نطاق العلوم اليوم، وانقسام كل منها إلى فروع وكل فرع إلى تخصصات دقيقة، يخالف ما اعتبره الغزالي من باب التعمق المستغنى عنه في دقائق الحساب، وحقائق الطب، وعده بذلك فضيلة لا فريضة. فالواقع أن هذا التعمق اليوم أصبح لازماً لكل طب ناجح، أو محاسبة ناجحة، وقد تطور علم الطب، والعلوم التي تخدمه تطوراً كبيرً، وكذلك علوم الطبيعة التي ذكر الغزالي نفسه في مقام آخر أنه لا حاجة إليها!! بخلاف الطب فإنه محتاج إليه. وربما كان الإمام الغزالي رحمه الله معذوراً فيما ذكره من العلوم والرياضيات في عصره، فقد كانت ممزوجة بالفلسفة، غير منفصلة عنها، وكان للغزالي رأي في تلك الفلسفة وقضاياها، مسجلة في كتابه المعروف "تهافت الفلاسفة"، وقل من يقرأ الجانب العلمي والرياضي من الفلسفة دون أن يتأثر بالجانب الإلهي منها كما أشار إلى ذلك في "المنقذ من الضلال". والجانب الإلهي من تلك الفلسفة خليط من الوثنية اليونانية ومن شطحات العقل البشرى فيما لا تعرف حقيقته إلا بالوحي المعصوم. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٩٣).

بل ويرى القرضاوي أن واجباً على الجماعة الإسلامية أن يكون فيها من يتخصص في جميع ألوان الدراسات الإنسانية المختلفة (علم النفس، والاجتماع، والتربية، والاقتصاد، والسياسة وغيرها)حتى يدرسها ويعرضها من منطلق إسلامي أصيل، وفي إطار إسلامي مأمون، ولاسيما أن هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية، هي التي تصنع فكر الأمة وذوقها، وتلون اتجاهها وسلوك أفرادها بلونها، فلا يجوز أن يعدها المسلمون مجرد مباح يجوز فعله وتركه، إنما يجب عد ذلك من فروض الكفاية. ويقول ولو رأى صاحب "الإحياء" رحمه الله ما رأينا من خطر هذه العلوم، وتسلط حملتها على عقول الشباب، واستغلال اليهود لها في كثير من جامعات الغرب، ومراكز بحثه، لغير رأيه واجتهاده، وقضى بما قضينا، ولكل عصر ظروفه وأحكامه. (القرضاوي، ١٩٩٩: ٩٤).

استمرار التعلم

ويشير القرضاوي (١٩٩٩: ٩٤) أن العلم بحر لا قرار له، ولا شطآن له، وكلما تعمق طالبه فيه، تفتحت له فيه أبواب جديدة، وتبينت له معالم كانت خافية، وتحتاج إلى مزيد بحث

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومزيد تحقيق. من أجل هذا كان الواجب على حامل العلم أن ينشد الزيادة منه على الدوام، وأن يستمر في طلبه ما عاش، فالعلم يحتاج دوماً إلى تجديد ونماء. وليس بعد أمر الله لرسوله بيان: ﴿فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

وقد قص علينا القرآن، وقص علينا الرسول – عليه الصلاة والسلام – قصة موسى– عليه السلام – في طلبه علم ما لم يعلم، عند عبد الله الخضر عليهما السلام، ولذا قال قتادة كما بين ابن عبد البرّ (١٩٩٣، ج١: ١٢٠) : لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى– عليه السلام – ولكنه قال: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف: ٦٦).

الصبر على متاعب الطلب

ومن أدب المتعلم في الإسلام: أن يوطن نفسه على احتمال المتاعب، ومواصلة عناء النهار بسهر الليل، والصبر على مشاق الارتحال في طلب العلم. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٠٦) وقال ابن عباس: طلبت العلم، فلم أجده أكثر منه في الأنصار، فكنت آتي الرجل فأسأل عنه: فيقال لي: نائم، فأتوسد ردائي ثم أضطجع حتى يخرج إلى الظهر، فيقول: متى كنت هاهنا يا ابن عم رسول الله، فيقول: منذ زمن طويل فيقول: بئسما صنعت، هلا أعلمتني، فأقول: أردت أن تخرج إلي وقد قضيت حاجتك. (سنن الدرامي، ١٩٨٧، ج١: ١١٤) .

ورحلات المسلمين وبخاصة علماء الحديث في طلب العلم لا يعرف التاريخ لها نظيراً، ومن طالع رحلات الأئمة مثل الشافعي، وابن حنبل، والبخاري، ومسلم وغيرهم، عرف مبلغ ما عاناه هؤلاء الفحول في طلب العلم. لقد بذلوا في طلبه النوم بالليل والراحة بالنهار، وتحملوا الشظف والفقر في سبيله غير ضجرين ولا متبرمين. فقد تلقوا عن شيوخهم هذه الحكمة: لا ينال العلم براحة الجسم. وكان الإمام مالك يقول: إن هذا الأمر لن ينال حتى يذاق فيه طعم الفقر، وذكر ما نزل بربيعة من الفقر في طلب العلم، حتى باع خشب سقف بيته، وحتى كان يأكل ما يلقى على مزابل المدينة من الزبيب وعصارة التمر! (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٠٧).

ويشير القرضاوي(١٩٩٩: ١٠٨) وليس المهم في طلب العلم محض تعب البدن، بل أهم منه تفريغ القلب له بالتقليل من شواغل الدنيا المادية، وصوارف الحياة الاجتماعية، فإن العلائق شاغلة وصارفة. وقد قال تعال: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤). ومن الصبر المحمود، والمطلوب لطالب العلم: أن يصبر على أستاذه، ويحتمل شدته إن كان شديداً، وغضبه إن كان غضوباً، ويحترم صمته فيما لا يحب الكلام فيه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وخير مثل لذلك هو صبر موسى على الخضر عليهما السلام، قال له موسى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا(٧٠)﴾. (الكهف: ٦٦-٧٠). فهذا صبر أشد من الصبر على نصب الأسفار، ومتاعب الفقر والارتحال، ولهذا صبر موسى على النصب في سفره الطويل، ولم يطل صبره على هذا الأخير، وقال له الخضر: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٧٨).

حسن السؤال

وليس من توقير العالم أو المعلم ترك سؤاله فيا يشكل عليه حياء منه، فإن هذا ليس من الحياء الشرعي المحمود، الذي هو من الإيمان، ولا يأتي إلا بخير. وإنما هو ضعف ومهانة، ولهذا قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر. وروى البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ (تعني إذا رأت في منامها أن رجلها يجامعها). فقال النبي-صلى الله عليه وسلم- إذا رأت الماء. وهنا نجد أم سلمة تغطي وجهها حياءً، وعائشة تقول لها-كما في صحيح مسلم-فضحت النساء!!. (رواه البخاري، كتاب العلم: ١٣٠) وقد سأل كثير من الصحابة عن أمور لهم لم يستبن لهم المراد منها، حتى أجيبوا عنها، كسؤالهم عن آية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢) قائلين: وأينا لم يظلم نفسه؟ فأجيبوا: أن المراد بالظلم في الآية الشرك. كقوله تعالى على لسان لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣). وأمثال ذلك كثير، ومن لم يسأل أضاع على نفسه علماً كثيراً. (القرضاوي، ١٤٢٠هـ: ١١٢، ١١٣).

آداب المعلم مع المتعلم

١- الترحيب بالمتعلم

وأول آداب المعلم مع المتعلم أن يهش له، ويبش في وجهه، ويظهر له البشر والابتهاج، ويعلن عن الترحيب به، حتى تزول عنه الوحشة، وتنحل من نفسه العقدة، عقدة الخوف من المعلم والرهبة من العلم. وهذا ما كان يفعله النبي-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه من بعده.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(القرضاوي، ١٩٩٩: ١٢٨). عن كثير بن قيس، قال: كنت جالسا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة مدينة – رسول الله صلى الله عليه وسلم– لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا قال: فإني سمعت – رسول الله صلى الله عليه وسلم– يقول: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر".(الألباني، ١٩٨٨: ١٨٢).

٢– الرفق بالمتعلم والحنو عليه

ومن أدب المعلم في الإسلام أن يرفق بالمتعلم ويأخذ بيده، ويعامله معاملة الأب لولده، مقتدياً بالمعلم الأول، رسول الله– صلى الله عليه وسلم– الذي وصفه الله بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وأهم ما يميز علاقة الأبوة بالنبوة هو الرحمة والرفق والحنو. وهذا ما ينبغي أن يحس به التلميذ من أستاذه، ويشعر بحبه له، وحرصه على نجاته وسعادته في الأولى والآخرة، ويغرس الحب والأخوة بين طلابه، كما يغرس الأب المحبة بين أبنائه، حتى يحب بعضهم بعضاً، ويعاون بعضهم بعضاً، ويعطف بعضهم على بعض، ولا يتباغضوا ويتحاسدوا. وكذلك كان علماء السلف في علاقاتهم بتلاميذهم. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٢٣).

يقول أمير المؤمنين في الحديث، سفيان الثوري: "والله لو لم يأتوني لأتيتهم في بيوتهم، يعني أصحاب الحديث". (ابن عبد البر، ج١: ١٤٢) .

وقال الربيع بن سليمان: قال لي الشافعي: يا ربيع لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه! (ابن عبد البر، ١٩٨٧، ج١: ١٤٢) .

ومن دلائل هذا الرفق أن يتبنى روح التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير. وهذا ما أوصى به النبي– صلى الله عليه وسلم– من بعثه من أصحابه معلمين وهداة وقضاة، مثل: معاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري، حيث قال لهما وقد بعثهما إلى اليمن: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا ". (الألباني، ١٩٩٤: ١١٥١). (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٢٣، ١٢٤).

This file was downloaded from QuranicThought.com

فعلى العلماء–كما قال الماوردي– ألا يعنفوا متعلماً، ولا يحتقروا ناشئاً، ولا يستصغروا مبتدئاً، فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم. (المناوي، ٢٠٠١،ج٤: ٣٢٨).

وكان النبي–صلى الله عليه وسلم– أرفق الناس بالمتعلمين، وأبعدهم عن التشديد، والتعسير، والفظاظة، والغلظة، وهذا ما نوه به القرآن من أخلاقه–صلى الله عليه وسلم– ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وكان الرجل يأتي من البادية، ويخاطبه باسمه مجرداً، ويناديه من بعد، ويكلمه بجفوة، وأحيانا يستوقفه في الطريق، فيسع هذا كله لحلمه وحسن خلقه، ويجيبه عما سأل، وقد يهم أصحابه به، أو يثورون في وجهه فيهدئ من ثورتهم، ويسكن من غضبهم. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٢٤، ١٢٥) .

وقد تثار هنا قضية الضرب واستخدام العصا في التعليم، وخصوصاً بالنسبة للصغار ويرى القرضاوي أن الضرب في الأصل ينبغي أن يمنع، لأنه ينافي الرفق الذي تحدثنا عنه. وقدوتنا في هذا معلمنا الأول رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فقد روت عنه عائشة رضي الله عنها قالت "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا" (الألباني، ١٩٨٧: ١٦١٤). ولم يشرع الإسلام ضرب الصغار، إلا في موضع واحد جاء به الحديث في تعويد الأبناء الصلاة قبل البلوغ، حتى يشبوا عل أدائها ورعايتها. وهنا نلحظ أنه لم يجز الضرب في سن الطفولة المبكرة. بل في سن العاشرة. ولم يجزه إلا بعد الأمر والدعوة والترغيب لمدة ثلاث سنين. وإنما شرع الضرب في هذا الحال لإشعار الولد بجدية الأمر، وحرص الأب، وأهمية المطلوب منه، وعدم التهاون فيه. فإن بعض الآباء قد يكتفي بكلمة عابرة يقولها للولد: صل يا بني. ثم لا يحاسبه بعد ذلك، صلى أم لم يصل؟ استجاب لأمر أبيه أم جعله دبر أذنيه؟... وكما أن الأب الحازم لا يرضى أن يهمل ابنه أمره في شؤون الدنيا، فأحرى به أن يكون هذا موقفه مع ولده في شأن الدين؛ بل هو أهم وأولى. ومنزلة المعلم منزلة الأب، فيجوز له ما يجوز للأب في بعض الأحيان، على أن يكون هذا استثناء من القاعدة الأصلية. وأن يكون ذلك ضرورة تقدر بقدرها. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٢٥، ١٢٦).

٣– الإشفاق على المخطئ

ويتجلى الرفق كل الرفق في الإشفاق على المخطئ، فالخطأ لا يوجب مقابلة المخطئ بالعنف والقهر، أو التشنيع عليه أو السخرية به، فإن هذا قد يؤدي به إلى إذلال نفسيته وتحطيم شخصيته، وهذا ضرب من القتل المذموم ديناً وخلقاً أو يؤدي به إلى الإصرار على الخطأ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

والتمادي في الباطل، والتحدي للحق، دفاعاً عن نفسه، وتسويغاً للغلط، وكــلا الأمــرين شــديد الخطر، عظيم الضرر. وأعظم نموذج للرفق بالمتعلمين إذا أخطأوا: هو رسول الله–صـــلى الله عليه وسلم– فهو خير من يقدر الظروف، ويراعي الأحوال، ويسع الناس جميعاً، حتـــى ذلـــك الأعرابي الجلف الذي لم يخجل أن يبول في ركن من المسجد، أمام الناس، لم يغلظ عليه. وقابله بما ينبغي لمثله من الرفق واللين. راعى الرسول الكريم بداوة الرجل ونشأته وظروف حياته، فلم يستجب لثورة أصحابه وهياجهم عليه، وعرفهم أن علاج الأمر سهل في مسجد لم يكن مفروشاً إلا بالحصباء، وهو صب دلو من ماء. ثم نبههم على طبيعة رسالتهم التي كلفوا حملها للنـــاس، وهي التيسير لا التعسير. وروى أبو أمامة: أن فتى من قريش جاء إلى النبي–صـــلى الله عليـــه وسلم– فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا؟ فأقبل القوم عليه وزجروه فقال: صلى الله عليـــه وسلم: ادنه: فدنا فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك: قال : ولا النـــاس يحبونـــه لأمهاتهم. ثم قال له مثل ذلك في أبنته وأخته وعمته، وخالته. وفي كل ذلك يقول: أتحبه هكـــذا؟ فيقول: لا والله، جعلني الله فداك! فيقول – صلى الله عليه وسلم – : ولا الناس يحبونه. ثم وضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعـــد ذلـــك يلتفـــت إلـــى شيء(الألباني، ١٩٨٤: ٣٧). فهذا شاب عارم الشهوة، ثائر الغريزة، صريح في التعبيـــر عـــن نوازعه إلى حد الإغراب والإثارة. ورغم غرابة طلبه الذي أثار الجالسين عليه، لم يكـــن منـــه صلى الله عليه وسلم إلا أن لقيه بهذا الرفق العجيب والحوار الهادئ، الذي يحمل المنطق المقنع والروح المحبب، ثم أنهى هذا الحوار بلمسة حنان على صدر الفتى المتوقد، ومع اللمسة دعوات خالصة لله تعالى أن يغفر للفتى ويطهره ويحصنه، فإذا هو يخرج من مجلس الرسول الكـــريم، كأنما كان هذا اللقاء لنار شهوته، برداً وسلاماً. أن هذا الأثر الذي تركه موقف النبي–صـــلى الله عليه وسلم– في نفس الشاب من هدوء نفس وإعراض عن الزنى الذي كان يتوق إليه ويرغـــب فيه. كان معجزة خارقة للنبي – عليه الصلاة والسلام – ولا تتكرر لغيره إلا من باب الكرامات، وخوارق العادات، كلا فإن أي معلم رباني الوجهة، نبوي الطريقة، يقتدي برسول الله–صلى الله عليه وسلم– في سلوكه، قولاً وعملاً وروحاً، سيجد– بتوفيق الله تعالى– نفس الأثر، أو قريبـــا منه، وفقاً لسنة الله تعالى. وأولى المخطئين بالإشفاق من كان خطؤه عـــن جهـــل أو غفلـــة، أو ضعف. وبخاصة من أخطأ لأول مرة، مثل الأعرابي، والشاب القرشي السابق ذكرهما.

ولكن قارئ السنة يجده – عليه الصلاة والسلام – يسع بحلمه، ورفقه من أصر علـــى الخطـــأ والمعصية نتيجة ضعف إرادته، وغلبة عادته، استبقاء له في دائـــرة الإيمـــان، وفـــي حظيـــرة المؤمنين، وتنبيهاً له بحسن المعاملة على سوء صنيعه، عسى أن يستيقظ ضميره فيتـــوب مـــن زلته، وينهض من سقطته. (القرضاوي ، ١٩٩٩: ١٢٧، ١٢٨).

This file was downloaded from QuranicThought.com

٤- تنبيه المخطئ على خطئه

الرفق بالمخطئ لا يعني السكوت على خطئه والإغضاء عنه، وفي هذا إقرار للخطأ، بل تشجيع وإشاعة له. فالرفق بالمخطئ والإشفاق عليه لا ينافي تنبيهه على خطئه، بل زجره عنه بالرفق المناسب لظروف المخطئ ومدى خطئه ونوعه ودوافعه، وإرشاده إلى الصواب والوضع الصحيح بالتي هي أحسن. وقد يكون هذا التنبيه أو الإرشاد أو الزجر من باب التعريض لا التصريح، وبالتعميم لا بالتخصيص، ويدرك المخطئ حين يسمع اللفظ العام أنه المقصود مثل: "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا"... (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٢٨، ١٢٩)

وطوراً يكون التنبيه على الخطأ غاية بالرفق ورعاية الشعور. فهذا العربي الغفل الحديث العهد بالإسلام، يدخل الصلاة ويتصرف فيها كأنما هو في مجلس من مجالس القوم. يشمت العاطس، ويكلم من حوله، ويرد على من أنكر عليه ، والصحابة يرون هذا منه وينبهونه بنظرات أعينهم وحركات أيديهم، وهو لا ينتبه إلى خطئه حتى فرغ من صلاته وحكوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – ما صنعه في صلاته. وهنا تتجلى روح المعلم الحق، وأسلوبه الرفيق الرقيق في معالجة الخطأ وتنبيه المخطئين، وتعليم المبتدئين. وهو ما لحظه هذا الرجل الأمي البسيط بنور فطرته وعبر عنه بعباراته القوية البليغة: بأبي هو وأمي. ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فو الله ما اكرهني ولا ضربني ولا شتمني. كل ما فعله عليه الصلاة والسلام. أنه نبهه على خطئه دون أن يقول له: أخطأت وأسأت ، ولم تعرف للصلاة قدرها، ونحو ذلك من العبارات القاسية. إنما بين له حقيقة الصلاة وما لا يليق من القول أن يدخل فيها. (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن) (الألباني، ١٩٨٩: ٨٢٣). وكذلك يجب أن يكون المعلمون الصادقون. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٣٠، ١٣٢).

ونحو ذلك لما شكا إليه بعض أصحابه أنه يتأخر عن الجماعة لما يجد من تطويل الإمام بهم، إلى حد جعله يهرب من الصلاة في الجماعة. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٣٢).

عن أبي مسعود قال: أتى النبي – صلى الله عليه وسلم- رجل فقال: يا رسول الله إني لأتأخر في صلاة الغداة من أجل فلان لما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قط في موعظة أشد غضبا منه يومئذ فقال:" يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة". (الألباني، ١٩٨٨، ٨٠٣).

٥- تشجيع المحسن والثناء عليه

وإذا كان من الأسس النافعة في التعليم والتربية تسديد المخطئ والأخذ بيده في رفق، فإن ما يكملها تشجيح من أصاب وأحسن، والإشادة بإحسانه، والثناء عليه؛ ليزداد نشاطاً في الخير،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وإقبالاً على العلم والعمل، ويضيف إحساناً إلى إحسان وهكذا كان صلى الله عليه وسلم. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٣٣).

وكذلك ينبغي لكل معلم راشد أن يشيد بالمواقف الحسنة لتلاميذه – وينوه بكل من له موهبة أو قدرة، ولينمي فيه الطموح بالحق، والتفوق بالعدل ، ولينبه الآخرين على فضلهم، فينافسوهم في الخير إن استطاعوا، أو يعترفوا لهم بالفضل إن عجزوا. وإن كلمة تقدير وتكريم من أستاذ له قدر في شأن أحد تلاميذه، قد تصنع منه – بتوفيق الله تعالى – نابغة من نوابغ العلم ومن طلاب العلم من أوتي الموهبة والذكاء والقدرة على الفهم والتحليل والتحصيل، ولكن تنقصه الثقة بالنفس والأمل في الغد ، فما أحوجه إلى كلمة من أستاذ مرشد تنفعه وترفعه. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٣٥).

ذكر يوسف بن يعقوب بن الماجشون، أنه كان هو وأخ له وابن عم يطلبون العلم عند ابن شهاب الزهري فقال لهم: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل، دعا الفتيان فاستشارهم، يبتغي حدة عقولهم. (ابن عبد البر، ١٩٩٣: ج١، ١٠٢).

٦- التدرج في التعليم

والتدرج في التعليم يعني الانطلاق من السهل إلى الصعب والانتقال من الواضح الجلي إلى المعقد الخفي ومن المألوف إلى الغريب المجهول ومن العام إلى الخاص بما يعني جعل التعليم على خطوات يتلو بعضها بعضاً (حلس، ٢٠٠٨: ٥٥١،٥٥٢).

ومن المبادئ التي حرص عليها الإسلام في جميع المجالات، ومجالات التربية خاصة، وجاءت بها السنة القولية والعملية، التدرج في التعليم. وهذا واضح في جانب التكليف والتشريع، فقد كان التكليف في العهد المكي مقصوراً على أحكام العقيدة ومكارم الأخلاق، ثم فرضت الصلاة قبيل الهجرة، وفرضت في أول الأمر ركعتين ثم أقرت في السفر وزيدت في الحضر. وفي المدينة فرضت بقية الفرائض، كما حرمت الخمر والربا وغيرهما. كل ذلك بمنهج تدريجي حكيم يسهل على المكلفين امتثال الأمر واجتناب النهي في غير حرج ولا إعنات. وهكذا كان الرسول الكريم يعلم أصحابه. أن يأخذوا بسنة (التدرج) التي هي سنة الله في الحياة والوجود كله. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٣٥، ١٣٦). وهكذا ينبغي أن يكون التعليم.

والتدرج ذو شقين: شق يتعلق بالكم، وشق يتعلق بالكيف: فالأول يعني: أن يعطي المتعلم من العلم المقدار الملائم له، ولا يكثر عليه الأستاذ، ويحمله ما لا يطيق ، فينوء به، ويضيعه كله، فهو يريد أن يعطيه الكثير دفعة واحدة، فيضيع بذلك الكثير والقليل. والعلم متين كالدين، فيجب أن يوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وفي هذا أوصى الزهري

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تلميذه يونس بن زيد فقال. يا يونس لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه. ولكن خذه مع الأيام والليالي ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ! ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي. والشيء الثاني في التدرج:هو ما يتعلق بالكيف والنوع. على معنى أن يبدأ الأستاذ مع طلابه بالجلي من العلم قبل الخفي والبسيط قبل المركب، وبالخفيف قبل الثقيل، والجزئي قبل الكلي، وبالعملي قبل النظري. وقد كان كثير من كبار العلماء يؤلفون كتبهم متدرجة وفق مراتب الترقي في الطلب. فالغزالي – مثلاً– يؤلف في فقه الشافعية: الوجيز ثم الوسيط، ثم المبسوط. وابن قدامة يؤلف في فقه الحنابلة على الترتيب التصاعدي: العمدة ثم المقنع، ثم الكافي، ثم المغني، وهكذا كانوا يكتبون لكل مرحلة في الطلب ما يليق بها، فالمبتدئ غير المتوسط غير المنتهي. وكذلك ينبغي أن تراعى مراحل العمر. فيعطى للصبي غير ما يعطى للمراهق، غير ما يعطى للناضج، وهذا ما يحرص عليه رجال التربية اليوم في وضع المناهج، وفي تأليف الكتب. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٣٧).

٧- رعاية الفروق الفردية

يختلف الناس في ذكائهم وقدراتهم... ولهذا امرنا الله تعالى ان تكون الدعوة التربوية مناسبة لاحوال الناس ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).والرسول _ صلى الله عليه وسلم _ارشد المربين الى العمل بهذا المبدأ (مراعاة الفروق الفردية) اي مخاطبة كل قوم قدر عقولهم ويؤتيهم من الحكمة ما يتناسب مع افهامهم وينهى عن تكليم الناس بما لا يفهمونه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله _صلى الله عليه وسلم – امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم (ابو نعيم، ١٩٨٨: ج٤، ٣٧٩)

ومن آداب التعلم الأصيلة التي جاءت بها السنة: مراعاة الفروق بين الناس بعضهم وبعض: الفروق الفردية أو البيئية أو النوعية. فليس كل ما يصلح لشخص يصلح لآخر. وليس كل ما يصلح لبيئة يصلح لأخرى، وليس كل ما يصلح لفئة أو جنس يصلح لغيرها. وليس كل ما يصلح لزمن يصلح لسائر الأزمنة والعصور. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٣٨) .

تتجلى حكمة المربي في اختياره للأسلوب التربوي المناسب أن يتناسب الترهيب والترغيب مع عمر الطفل، ففي السنة الأولى والثانية يكون تقطيب الوجه كافياً عادة أو حرمانه من شيء يحبه، وفي السنة الثالثة حرمانه من ألعابه التي يحبها أو من الخروج إلى الملعب. (الغبرة، ١٩٧٧، ٦٥).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والمعلم الموفق هو الذي يعطي كل إنسان– فرداً أو جماعة – من العلم ما يلائمه ويصلح وبالقدر الذي يصلح به، وفي الوقت الذي ينتفع به. وكان معلم البشرية الأول خير المراعين لهذا الجانب، نظراً وتطبيقاً. ومن الأدلة على اعتبار هذه الفروق ومراعاتها بالفعل عدة أمور:

١- اختلاف وصاياه–صلى الله عليه وسلم–باختلاف الأشخاص الذين طلبوا منه الوصية.

٢- اختلاف أجوبته وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين.

٣- اختلاف مواقفه وسلوكه باختلاف الأشخاص الذين يتعامل معهم.

٤- اختلاف أوامره وتكليفاته باختلاف من يكلفهم من الأشخاص واختلاف قدراتهم.

٥- قبوله من بعض الأفراد موقفاً أو سلوكاً لا يقبله من غيره لاختلاف الظروف.

وفي البند الأول، نجد أناساً عديدين سألوه– صلى الله عليه وسلم – أن يوصيهم إما مطلقاً، وإما مقيداً بما يقربهم إلى الجنة ويبعدهم عن النار، أو نحو ذلك من العبارات الجامعة . . . فأوصاهم بوصايا مختلفة: فبعضهم قال له: "تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم". وبعضهم قال له: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن. وبعضهم قال له: "قل: آمنت بالله ثم استقم". وبعضهم قال له: "لا تغضب" ولم يزد على ذلك. وهكذا كان يراعي– صلى الله عليه وسلم– حال المستوصى، ويعطي كل واحد ما يراه انفع إليه. فشأنه مع السائلين كالطبيب مع المرضى، يعطي كل واحد من الدواء ما يناسبه. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٣٨، ١٣٩).

ومن العجز بل الإثم أن يبث المعلم كل ما عنده لكل من يجده دون تمييز بين من يفهم ومن لا يفهم، وبين من ينتفع بما يسمع ومن يتضرر به. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٤٢).

وليس هذا من كتمان العلم، بل من حسن إنفاقه في محله، وإعطائه لمن هو أهله، ولكل مقام مقال، ولكل علم رجال. ومن الحكم المأثورة: لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٤٣).

وقد ذكر الغزالي في "إحيائه": أن من وظائف المعلم: أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره، أو يخبط عليه عقله، إقتداء بسيد البشر– صلى الله عليه وسلم– ولا يبث إليه الحقيقة إلا إذا علم أنه يستقل بفهمها. وقد قال علي رضي الله عنه، وأشار إلى صدره: إن هنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة! فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد. وهذا إذا كان يفهمه المتعلم، ولم يكن أهلاً للانتفاع به، فكيف فيما لا يفهمه؟ ولذلك قيل: كل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه، وينتفع بك، و إلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار. وقد قال تعالى: "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم" تنبيهاً على أن حفظ العلم ممن يفسده

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق. (الغزالي، ١٩٩٨، ج١: ٥٧، ٥٨).

ويقول الغزالي أيضاً:"إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به. ولا يذكر له: إن وراء هذا تدقيقاً، وهو يدخره عنه، فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق!.. بل لا ينبغي أن يخاض من العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات، وتعليم الأمانة في الطاعات التي هم بصددها، ويملأ قلوبهم من الرغبة في الجنة والنار، لا نطق به القرآن، ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلق الشبهة بقلبه، ويعسر عليه حلها، فيشقى ويهلك.. " (الغزالي، الإحياء، ج١: ٨٥).

والمقصود: أن العالم طبيب يداوي القلوب والعقول، بما يناسبها، وليس كل دواء يصلح لكل داء. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٤٣).

٨- الاعتدال وعدم الإملال

ومن المبادئ المرعية في التعليم والمقتبسة من هدي النبوة: الاقتصاد في التعليم والاعتدال في قدر ما يلقى من الموعظة، والمعلومات، في زمانه، وفي نوعه حتى لا يؤدي الإكثار إلى الإملال. روى البخاري بسنده عن أبي وائل قال: كان عبد الله(يعني ابن مسعود)، يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم. وإني أتخولكم (أي أتعهدكم) بالموعظة كما كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يتخولنا بها مخافة السآمة علينا. (البخاري، ج١، ١٦٢، ١٦٣). ومعنى هذا: أن على المعلم-أن يراعي الطاقة النفسية للناس، فإن من يستمع أو يتعلم وهو كاره لا يستفيد مما يتلقاه- فهو يسمع بأذنه ولا يعي بقلبه. وكما أن للإنسان طاقة بدنية محدودة يجب أن تراعى، فلا يحمل من الأثقال المادية ما لا يطيق. فكذلك طاقته النفسية. وعلى هذا الأساس يجب أن توضع مناهج التعليم وتؤلف كتبه، وتحدد مقرراته بحيث يقبل المتعلمون على العلم وهم نشيطون راغبون. ومن حسن الطريقة في التعليم أن يدخل المعلم على درسه بعض المروحات عن النفس من الملح، أو الطرائف، أو الأشعار حتى لا تسأم النفوس وتمل القلوب، وكان النبي-صلى الله عليه وسلم-يمزح ولا يقول إلا حقاً. وقد رويت عنه ألوان من الدعابة الحلوة التي تدخل على القلوب الأنس بلا إسفاف ولا إسراف. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٤٤، ١٤٥).

روي أن امرأة عجوز ا جاءته تقول له : يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة فقال لها يا أم فلان إن الجنة لايدخلها عجوز وانزعجت المرأة وبكت ظنا منها أنها لن تدخل الجنة فلما رأى ذلك منها بين لها غرضه أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزا بل ينشئها الله خلقا آخر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فتدخلها شابة بكرا وتلا عليها قول الله تعالى : إنا أنشاهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا(الألباني، ١٩٨٥، ٣٧٥).

وفي هذا اللون من ترويح الأنفس فائدتان:

الأولى: مطاردة السآمة، وإزالة أثار ما يعيب البدن من كلل، والنفس من ملل، نتيجة مواصلة الدأب والتكرار اليومي الرتيب.

والثانية: تنشيط النفس لمواصلة السعي إلى الجد، ومعاناة البحث عن الحقيقة مهما تكن مشقة الطريق إليها. ولكن ينبغي هنا مراعاة أمرين:

الأول: ألا يكون في هذه الملح والطرف تجاوز أو إسفاف، مما لا يليق بمجلس العلم وأهله، فمجلس العلم ليس مسرحاً أو ملهى.

الثانيً: أن تكون بالقدر المناسب بحيث يكون الجد هو الأصل والقاعدة وهذه هي الاستثناء. فإن كل شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده. حتى العبادة قد كره الغلو فيها، فكيف بالمباح وكيف باللهو منه؟ (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٤٥، ١٤٦).

٩- استغلال المواقف العملية للتربية والتوجيه

ومن المبادئ التربوية التي ورثتها لنا سنة نبينا-صلى الله عليه وسلم- استغلال المواقف الواقعية، والتصرفات العملية التي تقتضي موقفاً تعليمياً معيناً، وإلقاء توجيه تربوي خاص، ليأخذ المتعلمون منه درساً إيجابياً لا ينسى. وذلك لارتباطه بالواقع المشاهد، وصلته بمناسبة لابسها الناس وعايشوها، فهنا ترسخ في الذهن وتثبت في القلب، ولا تحتاج إلى تطويل أو تكرار.

وهكذا كان الرسول العظيم، لا يدع فرصة من هذه الفرص التي يتيحها القدر للناس في حياتهم- تمر دون أن يجعل منها درساً بليغاً، وموعظة مؤثرة كثيراً ما تدمع منها العيون وتوجل لها القلوب. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٤٦) .

بهذا يرتبط العلم بالحياة، ويتصل الدرس بالواقع، ولا يعيش المتعلم مع الكتب وحدها، بعيدا عما تمر به الحياة من أحداث. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٤٨).

١٠- استخدام الوسائل المعينة

ومن المبادئ التربوية الأصيلة: أن يستعين بكل وسيلة بصرية أو سمعية متاحة، مما يساعد على إيضاح الحقيقة المقصودة. (القرضاوي، ١٩٩٩ : ١٤٨).

ومن الأساليب المعينة على الفهم والاستيعاب، المثبتة للمعنى المطلوب: أسلوب الإشارة الحسية التي يرتبط فيها المعقول بشيء ملموس. والسنة النبوية لهي خير دليل فقد كان النبي-

This file was downloaded from QuranicThought.com

صلى الله عليه وسلم- وهو المعلم الأول يستخدم الوسائل التعليمية في تعليم أصحابه والمسلمين من بعدهم كما ورد في الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه خط خطاً مربعاً وخطاً وسط الخط المربع وخطوطاً إلى جانب الخط الذي وسط الخط المربع وخطاً خارجاً من الخط المربع فقال" أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: هذا الإنسان الخط الأوسط وهذه الخطوط إلى جنبه الأعراض تنهشه أو تنهسه من كل مكان فإن أخطأه هذا أصابه هذا والخط المربع الأجل المحيط والخط الخارج الأمل" (الألباني، ١٩٨٩: ٨٢٣). (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٤٩).

١١- تخير أحسن الأساليب

تخير أفضل الطرائق وأرفق الأساليب، وأقربها إلى عقل المتعلم وقلبه، وأحسنها وقعاً في سمعه وبصره. وذلك لتساعد المعلم على حسن توضيح ما يريد إعطاءه من العلم لتلاميذه، وحسن تثبيته في أذهانهم وأنفسهم. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٥١).

ومن الأساليب الناجحة في التأثير والإقناع: التشبيه وضرب الأمثال بحيث يظهر المعقول في صورة المحسوس والغامض البعيد في صورة الواضح القريب. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٥٢).

ومن الأساليب المؤثرة في الأنفس والعقول كذلك: أسلوب القصة، ولذا عني بها القرآن، وقص علينا من أنباء الرسل، وأخبار المؤمنين وصراعهم مع أهل الكفر والطغيان، ما يثبت الفؤاد، ويدفع ريب المرتابين، ويهدي الحائرين، ويزيد الذين اهتدوا هدى. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٥٣).

١٢- إثارة الانتباه بالسؤال والحوار

وما أكثر ما استخدم الرسول المعلم، الطريقة الاستنباطية لاستخراج الحقيقة العلمية المنشودة من أفواه المتعلمين أو على الأقل تفتيح أذهانهم لتلقيها بعد تشوق النفوس لها، وتطلع العقول إلى معرفتها. وذلك عن طريق طرح السؤال عليهم؛ ليجيبوا عنه إن استطاعوا، أو يسمعوا الإجابة الصحيحة منه - صلى الله عليه وسلم - (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٥٤).

والمهم بعد ذلك كله: أن يكون المعلم مؤمناً بمهنته، محباً لرسالة العلم، راغباً في الارتقاء بتلاميذه، شاعراً بأبوته لهم وبنوتهم له، حريصاً على أن يبلغ ما في نفوسهم، وأن يبلغهم ما في نفسه، متفنناً في بيان ذلك بكل طريقة ميسورة، ولو بالكلمة بشرط أن تكون مبينة مشرقة.
وخلاصة ما سبق يتبين لنا أن الإسلام- في ضوء ما فصلته السنة- قد وضع مبادئ وأسسا للتعلم والتعليم سبق بها أفضل ما يباهى به عصرنا ومفكروه من قيم تربوية، في جانب التعلم

This file was downloaded from QuranicThought.com

والتعليم. مثل مبدأ استمرار التعلم أو طلب العلم من المهد إلى اللحد.. ومبدأ التخصص في أحـد العلوم..ومبدأ التوقير للمعلم.. والرفق بالمتعلم.. والتدرج فـي التعلـيم.. ومراعـاة الفـروق.. والإشفاق على المخطئ وتشجيع المحسن.. واستخدام الوسائل المعينة، وغيـر ذلـك.إن هـذه التوجيهات وتلك التعاليم، قد آتت أكلها، في تكوين الفرد المسلم، والمجتمع المسلم، ونـشأ فـي ظلالها العقل المسلم المتميز، الذي يجمع بين العلم واليقين، فهو يؤمن بعالم الغيب، ويسخر بعلمه عالم الشهادة. وبهذا ازدهرت العلوم الكونية كما ازدهرت العلوم الدينية، وقامت نهضة علميـة، تتلمذ عليها العالم كله لعدة قرون، وتركت آثاراً لازال بعضها مكنونا إلى اليوم يحتاج إلى مـن يحييه ويجلو الصدأ عنه. (القرضاوي، ١٩٩٩: ١٦٦).

ويرتبط بتلك الوظائف والمهام، مهمات فرعية عديدة، ومن تلك المهام: تحليل المنهـاج وإثراؤه، ووضوح واختيار طرق وأساليب وأنشطة ووسائل التعليم المناسـبة، وتفعيـل جميـع جوانبه بأنشطة إجرائية التي تساعد المعلم على تحديد أهداف التعلم بدقة ، واختيار أدوات التقويم الملائمة. ومن تلك المهام أيضا: قياس وتقويم أداء المتعلمين. وهي عملية متعـددة الأغـراض، ويجب أن تتم كعملية أساسية في العملية التربوية فهي تبدأ مع بداية عمليـة الـتعلم وتتخللهـا، وتستمر حتى نهايتها. ومن هنا صنفت مستويات هذه العملية إلى تقـويم تشخيـصي وتكـويني وتجميعي أو ختامي، كما وعلى المعلم تقديم التغذية الراجعة: وهي عبارة عـن تكـوين فكـرة إجمالية عن مستوى المتعلم فيما اكتسبه من علوم، وتوجيه انتباهه إلي الجوانـب التـي أداهـا بطريقة معقولة أو التي فشل في اكتسابها وعليه الاهتمام بالنمو المهني المستمر لتعزيز الاتصال بحقل التعليم والتعلم ومستجداته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الخامس

تصور الشيخ القرضاوي للقيم

- أولا : العلم
- ثانيا : العمل
- ثالثا : الحرية
- رابعا : الشورى
- خامسا : العدل
- سادسا : الرحمة
- سابعا : الإخاء
- ثامنا : الحب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تصور الشيخ القرضاوي للقيم

والقيمة في اللغة لها عدة معان: فهي تعني الاستقامة وفي التنزيل ذلك الدين ﴿ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ (يوسف: ٤٠) أي الدين المستقيم وقله جل علاه قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١).اي دين مستقيما لا عوج فيه وتعني القيمة المكانة العلية والنزلة الرفيعة وقام بمعنى اعتدل واستقام (ابن منظور،

معنى القيم اصطلاحاً: معايير أخلاقية يصدقها عدد من البشر في ضوء معتقداتهم وثقافاتهم تحتوي على فكر ثابت وآخر متطور مع تطور حياة الفرد والمجتمع توجه سلوكياتهم وتضبط تصرفاتهم ايجابيا وفق أولويات يحددونها ويمكن أن تكون معلنة أو ضمنية يدركونها بعقولهم ويشعرون بها بأحاسيسهم ويترجمونها أفعالا عملية في حياتهم بحيث تصبح مرجعا لأحكامهم في الدنيا. (أبو حرب،٢٠٠١: ٤١).

بين الشيخ القرضاوي أن القيم من العوامل المهمة التي يقوم عليها المجتمع، ويعنى بالقيم الإنسانية تلك التي تقوم على احترام كرامة الإنسان وحريته وحرماته، وحقوقه، وصيانة دمه وعرضه وماله وعقله ونسله، بوصفه إنساناً، وعضواً في مجتمع. (القرضاوي،١٩٩٣: ١١٠).

وإذا كانت القيم تحتل منزلة رفيعة في الفكر الفلسفي ، فإنها تحتل مكانة متميزة في فلسفة التربية ، بصفة خاصة .(علي، ١٩٧٨: ٧٨).

وقد ركز الشيخ القرضاوي على مجموعة من القيم الأساسية هي:

أولا: العلم

العلم إرث الأنبياء، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم، وأهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩). فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم، فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها. أن العلم نور يستضيء به العبد، ومن العبارات الدارجة في اللسان الشعبي عبارة "العلم نور" وهي عبارة صحيحة تماما، فالعلم من شأنه أن يزيل ظلام العقول. وتأكيدا من القرآن الكريم علي الأهمية البالغة

This file was downloaded from QuranicThought.com

للعلم وإزالة أسباب الجهل، كان التركيز في الآيات الخمس الأولي من الوحي الإلهي علي العلم، والحث عليه، فقد تكرر فيها الأمر بالقراءة مرتين، والرسول- صلى الله عليه وسلم- كان يفرج عن الأسير من غزوة بدر إن علم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة وذلك بدلا من الفدية المالية التي كان المسلمون حينذاك في أشد الحاجة إليها ولكن العلم لا يمكن أن يعوض بالمال. والعلم قيمة من القيم العليا، التي جاء بها الإسلام وأقام عليها حياة الإنسان المعنوية والمادية، الأخروية والدنيوية، وجعله طريق الإيمان وداعي العمل، ولفت الحس والقلب والعقل للنظر إلى ما في السماوات والأرض وسيلة من وسائل النهج القرآني لاستحياء القلب الإنساني لعله ينبض ويتحرك ويتلقى ويستجيب (قطب، ٢٠٠١، ج٣: ١٨٢٣).

والعلم هو المرشح الأول للخلافة في الأرض، وبه فضل آدم – عليه السلام – أبو البشر على الملائكة، الذين تطلعوا إلى منصب الخلافة ! لأنهم أعبد لله من الذين توقعوا منهم أن يفسدوا في الأرض ويسفكوا الدماء، فقال تعالى رداً عليهم : " إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٣١)الآيات. إن الإسلام هو دين العلم، والقرآن كتاب العلم، وأول ما نزل منه على الرسول الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١). والقراءة هي باب العلم. والقرآن : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣). والقرآن يجعل العلم أساس التفاضل بين الناس: " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (الزمر: ٩). كما يجعل أهل العلم هم الشهداء لله تعالى بالتوحيد، مع الملائكة : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨). وأهل العلم كذلك هم المؤهلون لخشيه الله تعالى وتقواه ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨). فلا يخشى الله إلا من عرفه، وإنما يعرف الله بآثار قدرته ورحمته في خلقه، ولهذا جاءت هذه الجملة في سياق الحديث عن آيات الله تعالى في الكون : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر: ٢٧). والقرآن أعظم كتاب ينشئ (العقلية العلمية) التي تنبذ الخرافة، وتتمرد على التقليد الأعمى، للأجداد والآباء أو للسادة والكبراء، أو للعوام والدهماء، وترفض الظنون والأهواء في مقام البحث عن الحقائق والعقائد اليقينية، ولا تقبل دعوى إلا ببرهان قاطع، من المشاهدة المؤكدة في الحسيات، ومن المنطق السليم في العقليات، ومن النقل الموثق في المرويات ، ويعتبر القرآن النظر فريضة، والتفكير عبادة، والبحث عن الحقيقة قربة، واستخدام أدوات المعرفة شكراً لنعم الله، وتعطيلها سبيلاً إلى جهنم. وعلماء الإسلام متفقون على أن طلب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية. ففرض العين ما لا بد للمسلم منه في فهم دينه عقيدة وعبادة وسلوكاً، وفي عمل دنياه، حتى يكفي نفسه، وأسرته، ويهم في كفاية أمته. وفرض الكفاية كل ما به قوام الدين والدنيا للجماعة المسلمة، من علوم الدين وعلوم الدنيا . ولهذا قرر علماء المسلمين أن تعلم الطب والهندسة وغيرهما من فروع العلم، وكذلك تعلم الصناعات التي لا تقوم حياة الناس إلا بها، فرض كفاية على الأمة، فإذا وجد فيها عدد كاف من العلماء والخبراء، والفنيين في كل مجال، بحيث تسد به الثغرات، وتلبى الحاجات، فقد أدت الأمة واجبها، وسقط الإثم والحرج عنها، وإذا قصرت الأمة في جانب من هذه الجوانب الدنيوية، وغدت عالة على غيرها كلياً أو جزئياً، فالأمة كلها آثمة، وبخاصة أولو الأمر فيها. وعلى ضوء هذه المعاني قامت حضارة إسلامية رفيعة البنيان، متينة الأركان، جامعة بين العلم والإيمان. ولم يعرف في هذه الحضارة ما عرف في أمم أخرى من الصراع بين العلم والدين، أو بين الحكمة والشريعة، أو بين العقل والنقل. بل كان كثير من علماء الشرع أطباء ورياضيين وكيمائيين وفلكيين وغيرهم، (مثل : ابن رشد، والفخر الرازي، والخوارزمي، وابن النفيس، وابن خلدون، وغيرهم). (القرضاوي،١٤١٤هـ: ١١١- ١١٤).

ثانيا: العمل

من اكبر المشكلات التي يعاني منها المجتمع الفلسطيني مشكلة البطالة، والتي تنخر في عصب المجتمع، وتتهدده بالدمار، ومما ينتج عنه وقت فراغ يؤدي بالمجتمع إلى انتشار الغيبة والنميمة، وربما إلى الجريمة وخاصة مع عدم توفر الإمكانات المادية اللازمة لسير الحياة الطبيعية، وعدم قدرة الزوج على الوفاء باحتياجات المنزل المادية، مما يكون سببًا في انتشار ظاهرة الطلاق. وربما يقول قائل: أين العمل في مجتمع يعاني نير الاحتلال وقسوة الحصار، أقول: إن الإنسان عليه أن يعقد العزم علي العمل ويتوكل على الله حق التوكل، ولا يتواكل والأخذ بكل الأسباب والله سبحانه وتعالى هو الرزاق ويرى الباحث أن من أسباب انتشار البطالة ربما يكون راجعاً إلى سوء استغلال موارد الجمعيات الخيرية والتي للأسف الشديد الكثير منها لا يستثمر ما يحصله من أموال ويكتفي فقط بتوزيعها، وهذا شيء طيب أن تساهم تلك الجمعيات في رفع المعاناة عن الفقراء إلا أن له من السلبيات الكثير فتجد أن هناك من الأشخاص من هو قادر على العمل إلا أنه ومع ما يأتيه من تلك المصادر يتواكل ويكتفي بذلك ويستنكف عن العمل، ويرى الباحث أنه من الأفضل أن تقوم هذه الجمعيات باستثمار تلك الأموال في القيام بمشاريع يعمل فيها هؤلاء الفقراء كل على قدر استطاعته.

و العمل هو ثمرة العلم، ولهذا قيل في تراثنا : علم بلا عمل، كشجر بلا ثمر، أو سحاب بلا مطر. وهو أيضا ثمرة الإيمان الحق، إذ لا يتصور إيمان بلا عمل . ومهما يختلف علماء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الكلام في اعتبار العمل جزءاً من حقيقة الإيمان، أو شرطاً له، أو أثراً له، فما لا ريب فيه أن الإيمان الصادق لا بد أن يثمر عملاً . ولهذا قرن القرآن بين الإيمان والعمل في عشرات من آياته، ولهذا قال السلف: الإيمان ما وقر في القلب، وصدقه العمل. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١١٤).

ويجب أن يكون العمل والدراسة واللهو في كل يوم موجها إلـى تحقيق أهداف ذات غرض وذات نفع (جادو، ١٩٧٨: ٢٨).

والعمل المطلوب هو: بذل الجهد الواعي لتحقيق مقاصد الشارع من الإنسان فوق هذه الأرض، ولقد بين القرآن أن الله تعالى خلق السموات والأرض، وخلق الموت والحياة، وجعل ما على الأرض زينة لها، لهدف واضح هو أن الخالق جل شأنه لا يريد من الناس أي عمل، ولا مجرد العمل الحسن، بل يريد منهم (العمل الأحسن)، فالسباق بينهم ليس بين العمل السيئ والحسن، بل بين العمل الحسن والأحسن. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١١٥).

فهو يرنو دائماً إلى ما هو أحسن، وليس إلى مجرد الحسن . والعمل الاقتصادي بكل فروعه وأنواعه من أفضل القربات إلى الله، إذا صحت فيه النية، وأدى بإتقان، والتزمت فيه حدود الله. وخصوصاً العمل الإنتاجي من زراعة وصناعة وحديد وتعدين . وقد توارث العرب من قديم احتقار العمل اليدوي والحرفي، وكان أحدهم يؤثر أن يذهب إلى الأمير أو شيخ القبيلة، يسأله المعونة، على أن يبذل جهداً يكفل له عيشاً يلائمه، فبين لهم الرسول الكريم أن أي عمل لكسب العيش وان قل دخله، وكثر جهده – خير وأكرم من سؤال الناس، أعطوه أو منعوه. عن أبي عبد اللَّه الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف اللَّه بها وجهه خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه" (الألباني: ١٩٨٧ ،١٤٨٦). وفى الحث على الاحتراف يقول : عن المقداد بن معديكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي اللَّه داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" (الألباني: ١٩٨٤، ١٦٣). ومن أروع التوجيهات النبوية في بيان قيمة العمل : الحديث الذي يقول: "إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم(أي الساعة) حتى يغرسها فليغرسها". والفسيلة : النخلة الصغيرة، أي ما نسميه (الشتلة). (الألباني: ١٩٩٤، ٩). ولماذا يغرسها والساعة قائمة، وهو لن ينتفع بها، ولا أحد من بعده ؟! إنه دليل عملي أن العمل مطلوب لذاته، وأن على المسلم أن يظل عاملاً منتجاً، حتى تنفد آخر نقطة زيت في سراج الحياة ! إن العمل عبادة وقربة، أكل الناس من ثمره أو لم يأكلوا. ولو وعى المسلمون هذه التعليمات لفتح الله عليهم بركات من السماء، والأرض، وأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم. وكانت مجتمعاتهم في طليعة مجتمعات العام إنتاجاً وثراءً، ولم يعيشوا كلاً على غيرهم من الأمم، حتى إنهم لا يكفون أنفسهم من القوت اليومي الذي به عيشهم وحياتهم، وبلادهم بلاد

This file was downloaded from QuranicThought.com

زراعية، ولا من السلاح الذي يحتاجون إليه في حماية حرماتهم وأرضهم وعرضهم، فلو كف الآخرون أيديهم منهم لهلكوا مادياً من الجوع، وهلكوا معنوياً من الذل. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١١٧).

ثالثا : الحرية

ومن القيم الإنسانية التي عظم أمرها الإسلام الحرية، وتشمل: الحرية الدينية، والحرية الفكرية، والحرية السياسية، والحرية المدنية، وكل الحريات الحقيقية.

ونعنى بالحرية الدينية: حرية الاعتقاد، وحرية ممارسة الشعائر، فلا يقبل الإسلام بحال أن يكره أحد على ترك دين رضيه واعتنقه، أو يجبر على اعتناق دين لا يرضاه. ونصوص القرآن الكريم صريحة في ذلك كل الصراحة، ففي القرآن المكي يقول تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩) وفي القرآن المدني يقول سبحانه : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦). ومن دخل في ذمة المسلمين من أصحاب الأديان الأخرى، فقد غدا يحمل (جنسية دار الإسلام)، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم في الجملة، إلا ما اقتضته طبيعة التميز الديني، فلا يفرض عليه كل ما يفرض على المسلمين، ولا يحرم عليه كل ما حرم على المسلمين . ومن الناس من كتب في عصرنا يقول : إن التراث العربي والإسلامي لم يعرف الحرية بالمفهوم الحديث والمعاصر، الذي نقل إلينا من الغرب، بعد الثورة الفرنسية. إنما يعرف الحرية بمعنى (عدم الرق) فقط، فالحر من ليس عبدا، والحرية مقابل الرق والعبودية. وإني لأعجب أن يقول هذا أناس يزعمون – ويزعم لهم – أنهم مثقفون وعلميون، وباحثون موضوعيون ! ونظراً لأن بعض الناس قد يغره هذا الكلام المزوق، وجب علينا أن نضع أمامهم بعض الحقائق تبصرة وتذكرة: لا ننكر أن الأصل والحقيقة اللغوية في معنى الحرية، هو ما يقابل الرق الذي يعنى تحكم الإنسان في آخر وتسلطه عليه. والحرية تعني التخلص من هذا التحكم والتسلط، وفكاك رقبته منه، ولكن ليس هذا هو المعنى الوحيد للكلمة، لقد اتسعت الكلمة لتشمل تخلص الإنسان من كل تسلط عليه بغير حق، من سلطة جائرة، أو قوة قاهرة. وفى هذا جاءت كلمة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– لواليه على مصر عمرو بن العاص، وهي كلمة محفورة في ذاكرة التاريخ: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) ؟ وهى كلمة أصبحت تصدر بها الآن الدساتير ومواثيق حقوق الإنسان، وبقول على بن أبى طالب في وصيته لابنه: (ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا). (القرضاوي، ١٩٩٣: ١١٧– ١١٩).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثم إن عدم وجود لفظ أو مصطلح معين يدل على مفهوم أو مضمون نعرفه الآن: لا يعنى بالضرورة عدم وجود هذا المدلول أو المضمون . فقد يوجد هذا المضمون أو المحتوى تحت لفظ أو مصطلح آخر. وقد يوجد منثورا تحت كلمات أو مصطلحات أخرى . فقد لا يجد الباحث في تراثنا كلمة (المساواة) مستخدمة كما نستخدمها نحن الآن. ولكنه بأدنى بحث يجد مضمونها مبثوثا منتشرا، في آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول العظيم ، وفى عبادات الإسلام وشعائره، من الصلاة والصيام والحج والعمرة، وفى أحكام الإسلام وعقوباته التي لا تفرق بين الشريف والوضيع . وفى مبادئ الإسلام التي تحطم الفوارق بين الأجناس والألوان والطبقات، وتجعل الناس سواسية كأسنان المشط ومثل ذلك : الحرية، فقد يعبر عنها بالكرامة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠) أو بالعزة: ﴿وَلله العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨). أو بتحريم القهر والنهر: ﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ،وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: ٩). أو بتحريم الإرهاب والترويع "لا يحل لمسلم أن يروع مسلما".(الألباني، ١٩٨٤: ٤٤٧). أو بتحريم الضرب والتعذيب أو بغير ذلك من العبارات والأساليب. وأكثر من ذلك: أن الإسلام يحرض على القتال وإعلان الحرب من أجل تحرير المستضعفين في الأرض من نير الطغاة والمتجبرين يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٧٥). وإذا لم يقدر الناس على مقاومة الطغيان والاستبداد، فلا أقل من أن يهاجروا من ديارهم، ولا يقبلوا على أنفسهم الهوان والبقاء تحت نير الظلم والاستعباد. وقد توعد القرآن الكريم بالوعيد الشديد من رضي بهذه الحياة المهينة، واستسلم لها طائعاً فلا هو قاوم مع المقاومين، ولا هو هاجر مع المهاجرين . يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ،إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٩٧-٩٩). على أن الذي يعطى الإسلام حقه من الفهم والتدبر، يجد أن جوهره هو التوحيد، فهو روح الوجود الإسلامي. والتوحيد هو الأساس العقلي والفلسفي لتحقيق مبدأ الحرية، بل لتحقيق مبادئ الحرية والإخاء والمساواة جميعا. وكلمة التوحيد – كلمة (لا إله إلا الله) – تعنى إسقاط المتألهين والمتجبرين في الأرض، وإنزالهم من عروش الربوبية المزيفة، والاستعلاء على الخلق، إلى ساحة المشاركة للناس جميعا في العبودية لله ، والبنوة لآدم. ولهذا كانت رسائل النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى قيصر وأمراء النصارى وملوكهم في مصر والحبشة وغيرها مختومة بهذا النداء : ﴿قُلْ يَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤). إن أعظم ما دمر حرية البشر، وأتى على بنيانها من القواعد، اتخاذ بعض الناس بعضاً أرباباً من دون الله. ولكي يسترد الناس حرمتهم وكرامتهم يجب تحطيم هؤلاء الأرباب الأدعياء، والآلهة المزورين، خصوصاً في أنفس الذين توهموهم أرباباً حقاً، وهم مخلوقون مثلهم، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً . ولقد وعى مشركو العرب هذه الحقيقة منذ دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – من أول يوم إلى التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، وعلموا أن وراء هذه الكلمة انقلاباً في الحياة الاجتماعية والسياسية، وأنها تؤذن بميلاد جديد لبنى الإنسان، ولا سيما الفقراء والمستضعفين والمسحوقين، فلا غرو أن وقفوا في وجهها، وجندوا كل قواهم لحرب كل من آمن بها، واستجاب لندائها. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٢٠– ١٢٢).

رابعا: الشورى

ومن القيم الإنسانية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام: الشورى ومعنى الشورى : ألا ينفرد الإنسان بالرأي وحده في الأمور التي تحتاج إلى مشاركة عقل آخر أو أكثر، فرأى الاثنين أو الجماعة أدنى إلى إدراك الصواب من رأى الواحد. كما أن التشاور في الأمر يفتح مغاليقه، ويتيح النظر إليه من مختلف زواياه، بمقتضى اختلاف اهتمامات الأفراد، واختلاف مداركهم وثقافتهم، وبهذا يكون الحكم على الأمر مبنياً على تصور شامل، ودراسة مستوعبة. فالإنسان بالشورى يضيف إلى عقله عقول الآخرين وإلى علمه علوم الآخرين، وقد دعا الإسلام إلى الشورى في حياة الفرد، وفى حياة الأسرة، وفى حياة المجتمع والدولة. (القرضاوي،١٩٩٣: ١٢٣).

الشورى في حياة الفرد

ففي حياة الفرد يربى الإسلام المسلم إذا أراد أن يقدم على أمر من الأمور المهمة، التي تختلف فيها الوجهات، وتتعارض الآراء والرغبات، ويتردد فيها المرء بين الإقدام والإحجام، أن يستعين بأمرين يساندانه على اتخاذ القرار الأصوب. أحد هذين الأمرين: رباني، وهو استخارة الله تعالى، وهى صلاة ركعتين يعقبها دعاء مضمونه أن يختار الله له خير الأمرين في دينه ودنياه، ومعاشه ومعاده. والثاني: إنساني، وهو استشارة من يثق برأيه وخبرته ونصحه وإخلاصه. وبهذا يجمع بين استخارة الخالق، واستشارة الخلق. وقد حفظ المسلمون من تراثهم : (لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار) . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستشيرون

This file was downloaded from QuranicThought.com

النبي – صلى الله عليه وسلم – في كثير من أمورهم الخاصة، فيشير عليهم بما يراه صوابا أو أصوب أو أفضل. (القرضاوي،١٩٩٣: ١٢٣).

الشورى في حياة الأسرة

وفى حياة الأسرة يدعو الإسلام إلى أن تقوم الحياة الأسرية على أساس من التشاور والتراضي. وذلك منذ بداية تكوين الأسرة . ولهذا رفضت نصوص الشريعة أن يستبد الأب بتزويج ابنته – ولو كانت بكرا – دون أن يأخذ رأيها. وأوجب التوجيه النبوي أن تستأذن البكر، وان كانت تستحيى، فجعل إذنها صماتها. فإن سكوتها عند عرض الأمر عليها دليل على الرضا والقبول. وقد رد النبي (صلى الله عليه وسلم) بعض عقود الزواج التي تمت بغير إرادة البنت، لأن الشرع لم يجز لأحد أن يتصرف في مالها وملكها بغير إذنها، فكيف بمصيرها ومستقبل حياتها ؟! بل رغبت السنة آباء البنات أن يشاوروا أمهات بناتهن في أمر زواجهن، أي يشاور الرجل زوجته عند ترويج ابنتهما، وفى هذا جاء الحديث عن ابن عمر قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:" آمروا النساء في بناتهن". (الألباني، ١٩٨٩: ١٤). وذلك أن الأم أعلم بابنتها من الأب، فهي باعتبارها أنثى تعرف اتجاهها وعواطفها، والبنت تبوح لأمها عن أسرارها ما لا تجرؤ أن تبوح به لوالدها. وبعد بناء الأسرة ينبغي للزوجين أن يتفاهما ويتشاورا فيما يهم الحياة المشتركة بينهما، وفيما يهم كل واحد منهما على حدة، وفيما يهم حياة ذريتهما ومستقبلها . ولا يجوز أن يستهان برأي المرأة هنا، كما يشيع عند بعض الأمر، فكم من امرأة كان رأيها خيراً وبركة على أهلها وقومها. وما كان أحصف رأي خديجة وموقفها في أول ساعات الوحي، ودورها في تثبيت فؤاد النبي، والذهاب معه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، ليطمئنه ويبشره. وكذلك رأي أم سلمة يوم الحديبية. وسيأتي الحديث عنه. ومن الروائع القرآنية :التنبيه على ضرورة التشاور والتراضي بين الزوجين فيما يتصل برضاع الأولاد وفطامهم، ولو بعد الانفصال بينهما. يقول تعالى: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة: ٢٣٣). (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٢٤، ١٢٥).

الشورى في حياة المجتمع والدولة

أما الشورى في حياة المجتمع والدولة المسلمة، فقد جعلها القرآن من المكونات المهمة للجماعة المسلمة، وذلك في القرآن المكي الذي يرسي القواعد، ويضع الأسس للحياة الإسلامية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فقد ذكر الشورى في أوصاف المؤمنين، مقرونة بمجموعة من الصفات الأساسية التي لا يتم إسلام ولا إيمان إلا بها. وهى: الاستجابة لله تعالى، وإقام الصلاة، والإنفاق مما رزق الله، وهذا ما ذكر في السورة التي تحمل اسم (الشورى) إلى أن قال : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨). والمراد بقوله (وأمرهم): الأمر العام الذي يهم جماعتهم، ويؤثر في حياتهم المشتركة . وهو (الأمر) الذي أمر الله تعالى رسوله بالمشاورة فيه. فقد قال تعالى في سورة آل عمران من القرآن المدني: " ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وقد جاء هذا الأمر من الله ورسوله بعد غزوة (أحد)، التي شاور النبي فيها أصحابه، ونزل عن رأيه إلى رأى أكثريتهم، وكانت النتيجة ما أصاب المسلمين من قرح، وما اتخذه الله من شهداء: سبعين من خيار الصحابة، منهم حمزة ومصعب وسعد بن الربيع وغيرهم. ومع هذا أمر الله رسوله بالمشاورة لهم، ومعناه : استمر على مشاورتهم ، ففيها خير وبركة، وإن جاءت النتيجة في إحدى المرات على غير ما تحب، فالعبرة بالعاقبة. وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أكثر الناس مشاورة لأصحابه: شاورهم في غزوة (بدر)، قبل القتال، وفى أثنائه، وبعده. ولم يدخل المعركة إلا بعد أن اطمأن إلى رضا جمهورهم . وشاورهم في (أحد)، فنزل عن رأيه إلى رأى الأكثرية التي رأت الخروج إلى القوم، لا القتال داخل المدينة. وشاورهم في (الخندق)، وهم أن يصالح (غطفان) على شئ من ثمار المدينة، ليعزلهم عن قريش، وأبى ممثلو الأنصار ذلك، فوقف عند رأيهم. وفى (الحديبية) شاور أم سلمة في امتناع أصحابه عن التحلل من إحرامهم بعد الصلح، فقد عز عليهم ذلك بعد نية العمرة. فأشارت عليه أم سلمة أن يخرج إليهم، ويتحلل من إحرامه أمامهم دون أن يتكلم، فما أن رأوه فعل ذلك، حتى بادروا إلى الاقتداء به . والإسلام كما يأمر الحاكم أن يستشير، يأمر الأمة أن تنصح له (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٢٦). كما جاء في الحديث الصحيح: عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال:" لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" (الألباني، ١٩٨٤: ٣٣٢).

وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة عامة، تشمل الحكام والمحكومين كافة، كذلك فريضة التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، التي لا نجاة للإنسان من خسران الدنيا والآخرة إلا بها. فليس في المسلمين أحد أكبر من أن يوصى وينصح، ويؤمر وينهى. وليس فيهم أحد أصغر من أن يوصى وينصح ويأمر وينهى . وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يشار عليه بالرأي مخالفاً لرأيه فيأخذ به، ويدع رأيه الشخصي. وقد بعث أبا هريرة يبشر الناس بأن: (من قال – لا إله إلا الله – دخل الجنة) فخشي عمر أن يفهمها الناس فهما مغلوطا، ويفصلوا الكلمة عن العمل، ولذا أوقف أبا هريرة، وبين للرسول خوفه من أن يتكل الناس على ذلك قائلاً:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
فخلهم يعملون، فقال: الرسول – صلى الله عليه وسلم– (فخلهم يعملون). وقال أبو بكر في خطابه السياسي الأول بعد توليه الخلافة، يبين منهجه في الحكم: (إن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدد وني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم). وقال عمر: أيها الناس، من رأى منكم في اعوجاجاً فليقومني. فقال له أحدهم: لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا! فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من يقوّم عمر بحد سيفه! وقال له بعضهم يوماً: اتق الله يا عمر فأنكر عليه بعض من عنده أن يقول ذلك لأمير المؤمنين فقال عمر: دعه. لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

بل إن الرسول يشرع المعارضة المسلحة للأمير الفاجر بشرطين:

الأول: الانحراف البين عن منهج الإسلام في عقيدته أو شريعته، وهو ما أطلق عليه الحديث النبوي: (الكفر البواح). فقد أوصى الرسول – صلى الله عليه وسلم– من بايعه من أصحابه أن يصبروا على أمرائهم وان استأثروا ببعض المكاسب الدنيوية دونهم، عن أبي الوليد عبادة ابن الصامت رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ قال: "بايعنا رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من اللَّه فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في اللَّه لومة لائم" (الألباني، ١٩٨٧: ٢٣١٥).

والثاني: أن تكون هناك قدرة على إزالة المنكر، دون أن يترتب على إزالته منكر أكبر منه. وإلا وجب تحمل المنكر الأدنى مخافة وقوع المنكر الأعلى. بناءً على قاعدة ارتكاب أخف الضررين، وأهون الشرين. وعند هذا الخوف تنتقل المعارضة من القتال باليد، إلى السياسة باللسان والقلم، ثم إلى الإنكار بالقلب، وذلك أضعف الإيمان. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٢٧، ١٢٨).

فتتحول الشورى بذلك من مبدأ أو من قيمة سياسية اجتماعية أخلاقية إلى آليات وأدوات وطرائق للعمل السياسي.

والقرآن الكريم ينقل لنا صورة طيبة عن الحكم الذي يقوم على الشورى، ممثلاً في ملكة سبأ التي فاجأها كتاب سليمان عليه السلام يحمله الهدهد، فجمعت قومها وقالت: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ(٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ(٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ(٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(٣٥)﴾ (النمل:٣٢-٣٥). وقد انتهى هذا السلوك الشورى الحكيم بالملكة الرشيدة إلى أن أسلمت مع سليمان لله رب العالمين . فنجت ونجا معها قومها من حرب خاسرة، وكسبت بذلك الدنيا والآخرة. وينقل القرآن صورة أخرى مظلمة عن الحكم الذي يقوم على التأله والتسلط، مثل حكم فرعون الذي قال للناس: ﴿أَنَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٤) ، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨) ، والذي لا يستشير في الأمور الهامة إلا بطانته الخاصة، كما رأينا ذلك في قصة فرعون مع موسى، حين حاور فرعون فأفحمه، فهدده بالسجن، فقال: موسى: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ(٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ(٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ(٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ(٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(٣٥)﴾ (الشعراء: ٣٠-٣٥). فهذه ليست استشارة حقيقية، لأنها تخص (الملأ حوله) فقط، ثم هي استشارة موجهه، فهو لا يأخذ رأيهم في شأن موسى وماذا تكون رسالته، وما حقيقة أمره؟ بل حكم عليه قبل أن يسألهم الرأي: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ(١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(١١٠)﴾ (الأعراف: ١٠٩، ١١٠). وقد بين القرآن حقيقة حكم فرعون، وموقفه من رعيته حين قال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤) فهذا (العلو) في الأرض هو ما نعبر عنه في لغة السياسة المعاصرة بكلمة (الطغيان). وقد كرر القرآن ذلك في وصف فرعون: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (يونس: ٨٣). ولم يكن علو فرعون وطغيانه على بني إسرائيل وحدهم، بل على المصريين أيضاً، إذا خطر لأحدهم أو لفئة منهم أن يخرجوا عن خطة، ويتمردوا على ربوبيته. وهذا ما تجلى واضحا في موقفه من السحرة الذين جلبهم من كل صوب لينصروه على موسى،بعد أن تبين لهم، حين آمنوا برب هارون وموسى، بعد أن تبين لهم الحق من الباطل. ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء: ٤٩). وانظر إلى قوله: " آمنتم له قبل أن آذن لكم "إنه يريد أن يحجر على عقول الناس وقلوبهم، فلا يجوز لعقل أن يقتنع بشيء ولا لقلب أن يؤمن بأمر، إلا بإذنه وبعد تصريح منه !! لقد ذم القرآن فرعون، وذم القوى الدنسة المتحالفة معه، مثل(قارون) الذي يمثل الرأسمالية البشعة الجشعة، التي لا ترى لأحد عليها حقا فيما يملك من مال. كما جسدها قارون بقوله: "﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨). ومثل هامان الذي يمثل السياسيين النفعيين الذين يضعون قدراتهم الذهنية والتنفيذية في خدمة الطاغية الأكبر. فهو عقله المفكر، وساعده المنفذ! كما شمل القرآن بالذم أموال الطغاة من الجنود الذين يعتبرون أدوات في أيديهم، يستقدمونها لجلد الشعوب وقهرها، ولهذا قال القرآن: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص: ٨)، ويقول عن فرعون: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فِي اليَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٤٠)، وكلمة (الجنود) تشمل كل أعوان الطاغية من عسكريين ومدنيين. لقد ذم القرآن قوم نوح على لسانه بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (نوح: ٢١) وذم عاداً قوم هود بقوله : ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ(٦٠) (هود: ٥٩-٦٠) وذم قوم فرعون بقوله: " ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤) وعرض القرآن لنا صوراً جمة من مشاهد الآخرة، وفيها يتلاوم السادة الكبراء المضلون، وأتباعهم المضللون، ويتبرأ بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضاً، ويحاول كل فريق أن يلقى بالتبعة على الآخر. ولكن الله يحكم على الجميع بأنهم من أهل النار ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٦٧-٦٨). ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ(١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ(١٦٧) ﴾.(البقرة: ١٦٦، ١٦٧). إن أساس قبول القيادة السياسية للأمة في الإسلام هو: الرضا والبيعة الاختيارية. فمن رضيه المسلمون إماماً إي أميراً ورئيساً لهم، وبايعوه على ذلك، فهو الولي الشرعي الذي تجب طاعته في المعروف. وتجب المناصحة له بالحق، والمعاونة له على كل خير. والإسلام لا يحب أن يؤم رجل الناس في صلاة الجماعة وهم له كارهون، فكيف يقبل أن يقود رجل الأمة كلها في شئونها العامة، وهى له كارهة، وبه ضائقة، وعليه ساخطة؟ جاء في الحديث الشريف " ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان " (الألباني، ١٩٨٧: ٧٩٢). (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٣٠، ١٣٣).

خامسا: العدل

العدل ضد الجور والعدل فضيلة الإسلام وقيمته العظمى العــدل هــو ميــزانُ الأرض، والظلمُ والجور ما هما إلا مِعولَ هدمٍ وخراب لكلّ دابة تدبّ عليها. والإسلام جعل العدل قيمــةٌ مطلقة، لا مجال للنسبية فيها، له ميزانٌ واحد يُعَدّ هو الأدنى في معاملة المسلم مع غيره، حبيبــاً كان أو بغيضاً، صديقاً أو عدوًّا، مسالماً أو محارباً. كل ذلك إعمالاً لقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا(٨) اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (٩) ﴾. (المائدة: ٨، ٩). وإعمالاً لقوله جــل شأنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥). وتتبين لنا قيمة العدل، ويتبن لنل ذلك من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والمرأة المخزومية التي سرقت، وأراد الرسول ﷺ أن يقيم عليها الحدَّ ويقطع يدها، فذهب أهلها إلى أسامة بن زيد وطلبوا منه أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ حتى لا يقطع يدها، حدثنا محمد بن رمح المصري أنبأنا الليث بن سعد عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله- صلى الله عليه وسلم – قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله فكلمه أسامة فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال يا أيها الناس إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها قال: محمد بن رمح سمعت الليث بن سعد يقول قد أعاذها الله عز وجل أن تسرق وكل مسلم ينبغي له أن يقول هذا (الألباني، ١٩٨٨: ٢٠٦٤). والعدل القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام، وجعلها من مقومات الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية: (العدل) حتى جعل القرآن إقامة القسط – أي العدل – بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وليس ثمة تنويه بقيمة القسط أو العدل أعظم من أن يكون هو المقصود الأول من إرسال الله تعالى رسله، وإنزاله كتبه. فبالعدل أنزلت الكتب، وبعثت الرسل، وبالعدل قامت السموات والأرض . والمراد بالعدل: أن يعطى كل ذي حق حقه، سوء أكان ذو الحق فرداً أم جماعة أم شيئاً من الأشياء أم معنى من المعاني، بلا طغيان ولا إخسار، فلا يبخس حقه ولا يجور على حق غيره. فال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ(٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ(٨) وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا المِيزَانَ(٩) ﴾. (الرحمن: ٧- ٩). والإسلام يأمر المسلم بالعدل مع النفس: بأن يوازن بين حق نفسه، وحق ربه، وحقوق غيره. ويأمر الإسلام بالعدل مع الأسرة: مع الزوجة، أو الزوجات، مع الأبناء والبنات. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " اتقوا الله واعدلوا في أولادكم". (الألباني، ١٩٨٤: ٢٧٥). وحين أراد بشير بن سعد الأنصاري أن يشهده – عليه الصلاة والسلام– على هبة معينة آثر بها بعض أولاده، سأله النبي: أكل أولادك أعطيتهم مثل هذا)؟ قال: لا قال: (أشهد على ذلك غيري، فإني لا أشهد على جور عن النعمان بن بشير قال" أنحلني أبي نحلا قال إسماعيل بن سالم من بين القوم نحلة غلاما

This file was downloaded from QuranicThought.com

له قال فقالت له أمي عمرة بنت رواح: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشهده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأشهده فذكر ذلك له فقال له: إني نحلت ابني النعمان نحلا وإن عمرة سألتني أن أشهدك على ذلك قال: فقال: ألك ولد سواه قال: قلت: نعم قال فكلهم أعطيت مثل ما أعطيت النعمان قال: لا قال: فقال بعض هؤلاء المحدثين: هذا جور وقال بعضهم هذا تلجئة فأشهد على هذا غيري قال مغيرة في حديثه أليس يسرك أن يكونوا لك في البر واللطف سواء قال: نعم قال: فأشهد على هذا غيري وذكر مجالد في حديثه إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك عليهم من الحق أن يبروك". (الألباني، ١٩٩١: ٧٥٩). ويأمر الإسلام بالعدل مع الناس كل الناس: عدل المسلم مع من يحب، وعدل المسلم مع من يكره، لا تدفعه عاطفة الحب إلى المحاباة بالباطل، ولا تمنعه عاطفة الكره من الإنصاف وإعطاء الحق لمن يستحق. يقول تعالى في العدل مع من نحب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥). ويقول سبحانه في العدل مع من نعادي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨). وكم حفل التاريخ السياسي والقضائي في الإسلام بمواقف رائعة، حكم فيها لغير المسلمين، ضد المسلمين، وللرعية ضد الرعاة. يأمر الإسلام بالعدل في القول، فلا يخرجه الغضب عن قول الحق، ولا يدخله الرضا في قول الباطل. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الأنعام: ١٥٢) ويأمر بالعدل في الشهادة، فلا يشهد إلا بما علم، لا يزيد ولا ينقص، ولا يحرف، ولا يبدل. قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ﴾ (الطلاق: ٢). ويأمر الإسلام بالعدل في الحكم. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨). وقد استفاضت الأحاديث في فضل (الإمام العادل) فهو أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وأحد الثلاثة الذين لا ترد لهم دعوة. وبقدر ما أمر الإسلام بالعدل وحث عليه، حرم الظلم أشد التحريم، وقاومه أشد المقاومة، سواء ظلم النفس أم ظلم الغير، وبخاصة ظلم الأقوياء للضعفاء، وظلم الأغنياء للفقراء، وظلم الحكام للمحكومين. وكلما اشتد ضعف الإنسان كان ظلمه أشد إثماً. أمر النبيﷺ معاذ حين بعثه إلى اليمن أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" (الألباني، ١٩٨٤: ٦٩). ومن أبرز أنواع العدل، الذي شدد فيه الإسلام ما سمي في عصرنا: العدل الاجتماعي، ويراد به: العدل في توزيع الثروة،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وإتاحة الفرص المتكافئة لأبناء الأمة الواحدة، وإعطاء العاملين ثمرة أعمالهم وجهودهم دون أن يسرقها القادرون وذوو النفوذ منهم، وتقريب الفوارق الشاسعة بين الأفراد والفئات بعضها وبعض، بالحد من طغيان الأغنياء والعمل على رفع مستوى الفقراء. وهذا الجانب سبق فيه الإسلام سبقاً بعيداً، حتى إن القرآن منذ عهده المكي لم يغفل هذا الأمر الحيوي، بل إعطاء عناية بالغة، ومساحة واسعة. فمن لم يطعم المسكين كان من أهل سقر المعذبين في النار، " قالوا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(٤٣)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(٤٤)﴾." (المدثر: ٤٣). ولا يكفى أن تطعم المسكين، بل يجب أن تحمل نصيبك في الدعوة إلى إطعامه، والحض على رعاية ضروراته وحاجاته: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ،فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الماعون: ١–٣) وإهمال هذا الحض يضعه القرآن جنباً إلى جنب مع الكفر بالله تعالى، الموجب للعذاب الأليم، وصلي الجحيم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الحاقة: ٣٠–٣٤) والمجتمع الجاهلي مجتمع مذموم مسخوط عليه من الله تعالى، لضياع الفئات الضعيفة فيه، وانشغال الأقوياء، بأكل التراث وحب المال:﴿ كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ١٧–٢٠). لقد اهتم الإسلام بالطبقات الضعيفة في المجتمع، فشرع لهم من الأحكام والوسائل ما يكفل لهم العمل الملائم لكل عاطل، والأجر العادل لكل عامل، والطعام الكافي لكل جائع، والعلاج الكافي لكل مريض، والكساء المناسب لكل عريان. والكفاية التامة لكل محتاج. وفرض لذلك الإسلام حقوقاً مالية في أموال الأغنياء، أولها وأعظمها الزكاة، التي اعتبرها الإسلام ثالث أركانه، يؤديها المسلم طوعاً واحتساباً، وإلا أخذت منه كرهاً، ولو أن طائفة ذات شوكة امتنعت من أدائها قوتلت عليها بحد السيوف. تؤخذ الزكاة من الأغنياء لترد على الفقراء. فهي من الأمة واليها. والأرجح أن يعطى الفقير من الزكاة كفاية العمر الغالب لأمثاله، متى اتسعت حصيلة الزكاة لذلك. وبذلك يصبح في العام القادم يداً معطية لا آخذة، عليا لا سفلى. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٣٤– ١٣٧).

سادسا : الرحمة

الإنسان من غير قلب أشبه بالآلة الصماء، والحجر الصلد، فإن حقيقة الإنسان ليست في هذا الغلاف الطيني من لحم ودم وعظم، وإنما هي تلك اللطيفة الربانية، والجوهرة الروحية، التي بها يحس ويشعر وينفعل ويتأثر، ويتألم ويرحم، هي القلب الحي. ومن أخص أوصاف المؤمن أنه يتميز بقلب حي مرهف ليّن رحيم، يتجاوب به والأحداث والأشخاص، فيرق للضعيف، ويألم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

للحزين، ويحنو على المسكين، ويمد يده إلى الملهوف، وبهذا القلب الحي الرحيم ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير وبر وسلام لما حوله ومن حوله . المؤمن إنسان ذو قلب رحيم، لأن مثله الأعلى أن يتخلق بأخلاق الله تعالى، وأن يكون له حظ من أسمائه الحسنى، ومن أوضح الأخلاق الإلهية (الرحمة) التي وسعت كل شيء، وشملت المؤمن والكافر، والبر والفاجر، واستوعبت الدنيا والآخرة. وقد قرَّب الرسول لأصحابه هذا المعنى –على طريقته في انتهاز الأحداث والمناسبات فرصاً لغرس المبادئ، والمعاني التي يريدها. ومن أبرز أسماء الله الحسنى اسما (الرحمن الرحيم) وهما أشهر الأسماء بعد لفظ الجلالة (الله) والمؤمن بالقرآن كلما تلا كتاب الله أو بدأ سورة منه، افتتحها بـــ (بسم الله الرحمن الرحيم) في مائة وثلاث عشرة سورة منه. وحسبنا أن يردد هذين الاسمين في صلاته المكتوبة ما لا يقل عن أربع وثلاثين مرة في اليوم فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١) الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ(٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣) ﴾. (الفاتحة: ١ – ٣) وهي سبع عشرة ركعة في الصلوات الخمس المفروضة على المسلم في يومه، فإذا أدى السنن زاد ضعف ذلك، فإذا رغب في النافلة، زاد ما شاء الله أن يزيد. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٢٨٧، ٢٨٨) .

من لا يَرحم لا يُرحم

والمؤمن يعتقد أنه دائماً فقير إلى رحمة الله تعالى، فبهذه الرحمة الإلهية يعيش في الدنيا ويفوز في الآخرة. ولكنه يوقن أن رحمة الله لا تنال إلا برحمة الناس عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، فقال له سعد: ما هذا يا رَسُول اللَّهِ؟ قال: "هذه رحمة جعلها اللَّه تعالى في قلوب عباده، وإنما يرحم اللَّه من عباده الرحماء".(الألباني، ١٩٨٤: ٢٦٨٠). ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين –وإن كان دافع الإيمان المشترك يجعلهم أولى الناس بها– وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعاً. وقد قال رسول الإسلام لأصحابه، ومن صفات المؤمنين في القرآن ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: ١٧). بل هي رحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم، فالمؤمن يرحمه ويتقي الله فيه، ويعلم أنه مسئول أمام ربه عن هذه العجماوات. وقد أعلن النبي لأصحابه أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلباً فغفر الله لها، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. فإذا كان هذا عقاب من حبس هرة بغير ذنب، فماذا يكون عقاب الذين يحبسون عشرات الألوف من بنى الإنسان بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله؟ (القرضاوي، ١٩٧٨: ٢٨٩).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هذه الرحمة الدافقة الشاملة أثر من آثار الإيمان بالله والآخرة، ذلك الإيمان الذي يرقق بنفحاته القلوب الغليظة، ويلين الأفئدة القاسية. أرأيت إلى عمر –وقد كان معروفاً بالشدة والقسوة في جاهليته– كيف صنع الإيمان به، ففجَّر ينابيع الرحمة والرقة في قلبه. لقد قالوا: إنه وأد بنتاً له في الجاهلية، فلما ولي إمارة المؤمنين كان يرى نفسه مسئولاً أمام الله عن بغلة تعثر بأقصى البلدان. ولقد غلبت هذه العقيدة وهذا الخلق على أعمال المسلمين الأولين، ووضحت آثارها في سلوكهم حتى مع الأعداء المحاربين، فنجد رسول الإسلام يغضب حين مر في إحدى غزواته، فوجد امرأة مقتولة فقال: ما كانت هذه لتقاتل، وينهى عن قتل النساء والشيوخ والصبيان، ومن لا مشاركة له في القتال. ويسير أصحابه على نفس النهج أبراراً رحماء لا فجاراً قساة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٢٩٠).

من آثار الرحمة في المجتمع الإسلامي

كما برز أثر ذلك الخلق العظيم في العلاقات الاجتماعية الداخلية – فرأينا المجتمع المسلم تسوده عواطف كريمة، ومشاعر نبيلة، كلها تفيض بالرفق والمرحمة، وتتدفق بالبر والخير، وتجلت هذه المشاعر والعواطف فيما عُرف بنظام "الوقف الخيري" عند المسلمين. فقد مضى المواسون من المؤمنين –بدافع الرحمة التي قذفها الإيمان في قلوبهم، والرغبة في مثوبة الله لهم، وألا ينقطع عملهم بعد موتهم– يقفون أموالهم كلها أو بعضها على إطعام الجائع، وسقاية الظمآن، وكسوة العريان، وإيواء الغريب، وعلاج المريض، وتعليم الجاهل، ودفن الميت، وكفالة اليتيم، وإعانة المحروم، وعلى كل غرض إنساني شريف، بل لقد أشركوا في برِّهم الحيوان مع الإنسان. ولقد تأخذ أحدنا الدهشة وهو يستعرض حجج الواقفين ليرى القوم في نبل نفوسهم، ويقظة ضمائرهم، وعلو إنسانيتهم، بل سلطان دينهم عليهم، وهم يتخيرون الأغراض الشريفة التي يقفون لها أموالهم، ويرجون أن تنفق في سبيل تحقيقها هذه الأموال. (القرضاوي، ١٩٧٨:٢٩٠،٢٩٢).

سابعا : الإخاء

ومن القيم الإنسانية الاجتماعية التي دعا إليها الإسلام: الإخاء – أو الأخوة – ومعناه: أن يعيش الناس في المجتمع متحابين مترابطين متناصرين، يجمعهم شعور أبناء الأسرة الواحدة، التي يحب بعضها بعضاً، ويشد بعضها أزر بعض، يحس كل منها أن قوة أخيه قوة له، وأن ضعفه ضعف له، وأنه قليل بنفسه كثير بإخوانه ولأهمية هذه القيمة في بناء المجتمع المسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان اللَّه في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج اللَّه عنه بها كربة من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" (الألباني، ١٩٨٤: ٨٨). (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٤٠).

ومن العناصر الأساسية لهذه الأخوة

المحبة

وأدنى درجات المحبة سلامة الصدور من الحسد والبغضاء والأحقاد وأسباب العداوة والشحناء. والقرآن يعتبر العداوة والبغضاء عقوبة قدرية يعاقب الله بها من يكفرون برسالاته، وينحرفون عن آياته، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ (المائدة: ١٤). (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٤١).

ليس اسعد للمرء من أن يعيش في مجتمعه بين الناس سليم الصدر صافي القلب ، منسلا من وساوس الضغينة وثورة الحقد والحسد والبغض والتشفي وحب الانتصار للذات، فتجده راضيا إذا رأى النعمة تنساب إلى غيره، وفى المقابل إذا رأى بلاء لحق بأحد المسلمين أسف لذلك وكثير من الناس اليوم يتورع عن أكل الحرام، أو النظر الحرام، ويترك قلبه يرتع في مهاوي الحقد والحسد والغل والضغينة، الحسد آكل للحسنات جالب للسيئات. والمؤمن لا يحسد، لأنه يحب الخير لعباد الله جميعاً، وهو لا يعارض ربه في رعاية خلقه أو تقسيم ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ (الإسراء: ٣٠). إنه مؤمن بعدل ربه فيما قسم من حظوظ، وما وزع من مواهب، ويعتقد أن قضاءه تعالى في خلقه صادر عن حكمة بالغة يعرف منها ويجهل، وقد قيل: "الحاسد جاحد؛ لأنه لم يرض بقضاء الواحد". ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: ٥٤). ومن هنا نرى المؤمن لا يفرح بالمصيبة تنـــزل بغيره، ولا يحزن للنعمة يسوقها الله إلى عبد من عباده، والمؤمن لا يحسد، لأن همته منوطة بما هو أرفع وأبقى من الدنيا التي يتنافس عليها الناس، ويتحاسدون، وإنما يوجه همته إلى معالي الأمور، إلى المعاني الباقية: إلى الآخرة والجنة. (القرضاوي: ١٩٧٨، ١٨٣).

روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها". (الألباني، ١٩٨٧: ٣٣٩٢). ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ (المطففين: ٢٦) ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ (الحديد: ٢١). والمؤمن لا يحقد، لأنه عفو كريم، يكظم غيظه وهو يستطيع أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
يمضيه، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويتسامح وهو صاحب الحق، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات، فالعمر لا يتسع لمثل هذا العداء، والدنيا لا تستحق عنده هذا العناء. فكيف يسلم قلبه للعداوة والأحقاد فتنهشها أفاعيها السامة؟ وكيف يبيت وفي قلبه لأخيه شحناء العداء فيبيت بعيداً عن رحمة الله؟ (القرضاوي، ١٩٧٨: ١٨٥)

في الحديث:" تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر الله عز وجل لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول : أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا " (الألباني، ١٩٨٤: ٤١٢). والمؤمن لا يحسد ولا يبغض، لأن الحسد والبغضاء من بذور الشيطان، والمحبة والصفاء من غرس الرحمن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١) ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ٧) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦). هذا وسلامة القلب من الضغن والحسد أول ما يتصف به المؤمن، بل أدنى ما يتصف به. ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. فأين من هذه المعاني الرفيعة ما تنادي به اليوم دعوات هدامة. كل همها زرع الأحقاد وبث البغضاء والكراهية والعداوة بين الطوائف والطبقات، حتى يعيش الناس في تنازع وصراع دائم، يتسللون من ورائه إلى الحكم والسلطان؟!! (القرضاوي، ١٩٧٨: ١٨٦).

ويتحدث القرآن عن الخمر والميسر وهما من الكبائر الموبقة في نظر الإسلام، فيجعل العلة الأولى في تحريمهما، الجديرة بالنص عليها، هي إيقاع العداوة والبغضاء في المجتمع، رغم ما لهما من مضار ومساوئ أخرى لا تخفى، فيقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١). وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد اللَّه إخواناً. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"(الألباني، ١٩٨٤: ٤٠٤). وقد جاء في الحديث تسمية هذه الآفات: (داء الأمم). إن جو البغضاء والشحناء جو عفن كريه، تروج فيه كل بضائع الشيطان من سوء الظن، والتجسس، والغيبة والنميمة، وقول الزور، والسب واللعن، وقد ينتهي إلى أن يقاتل الأخوة بعضهم بعضاً. وهذا هو الخطر، الذي حذر منه النبي الكريم، واعتبره من أثر الجاهلية، وقال: عن جرير بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال لي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم في حجة الوداع: – استنصت الناس – ثم قال: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض".(الألباني، ١٩٨٧: ٣١٨٥). وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَسَلَّم– : "سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر"(الألباني، ١٩٨٤: ٣١٨٢) . لهذا كان إصلاح ذات البين من أفضل الأعمال والقربات إلى الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠) ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١). ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤) بل جعلت الشريعة سهماً من حصيلة الزكاة للغارمين في إصلاح ذات البين، إعانة لهم على القيام بهذه المكرمات، التي كان يقوم بها أصحاب القلوب الكبيرة والهمم العالية، فيتحملون ما بين القبائل المتخاصمة من ديات ومغارم وان ضاقت بذلك أموالهم . ولأهمية إصلاح ذات البين، رخص النبي – صلى الله عليه وسلم – لمن يقوم بالإصلاح ألا يلتزم الصدق الكامل في وصف موقف كل طرف من الآخر، فنقل بعض العبارات كما قيلت، قد يؤجج نار الخصومة ولا يطفئها، فلا بأس بشيء من التزيين، وشئ من المعاريض. وأعلى من هذه الدرجة – درجة سلامة الصدور من الأحقاد والبغضاء الدرجة التي عبر عنها الحديث الصحيح الذي يقول: عن أنس رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".(الألباني، ١٩٩٤: ٧٣). ومقتضى ذلك : أن يكره له ما يكره لنفسه. فإذا كان يحب لنفسه رغد العيش أحب ذلك لسائر الناس. وإذا كان يحب أن يوفق في حياته الزوجية، أحب للناس أن يكونوا سعداء موفقين. وإذا كان يحب أن يكون أولاده نجباء، أحب ذلك لغيره. وإذا كان لا يحب أن يذكره أحد بسوء في حضرته أو غيبته، كان موجب الإيمان ألا يحب ذلك للناس أجمعين. فهو ينزل إخوانه منزلة نفسه في كل ما يحب ويكره. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٤٢، ١٤٣).

الإيثار

الإيثار خلق من أخلاق الإسلام، وفي الحقيقة هناك أخلاق إسلامية اندثرت ولم تعد معروفة مع أن الإسلام أمر بها، والرسول – صلى الله عليه وسلم – جاء بها، وفعلها وتخلق بها. ومن هذه الأخلاق الإيثار وهو أن يقدم الإنسان حاجة غيره من الناس على حاجته، احتياجه إليه، ولا يقدر عليه إلا أصحاب الهمم العالية.

ومعناه أيضا كما يبين الشيخ القرضاوي أن يقدم أخاه على نفسه في كل ما يحب، فهو يجوع ليشبع أخوه، ويظمأ ليرتوي، ويسهر لينام، ويجهد ليرتاح، ويعرض صدره للرصاص ليفدى أخاه. وقد عرض لنا القرآن صورة وضيئة للمجتمع المسلم في المدينة، يتجلى فيها معنى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإيثار والبذل من غير شح ولا بخل. يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩) وفى السنة نجد صورة أخرى تتمثل فيما رواه البخاري: أن سعد بن الربيع عرض على عبد الرحمن بن عوف – وقد آخى النبي بينهما – أن يتنازل عن شطر ماله، وعن إحدى داريه، وإحدى زوجتيه، يطلقها ليتزوجها هو. فقال ابن عوف لسعد: بارك الله لك في أهلك، وبارك الله لك في دارك، وبارك لك في مالك، إنما أنا امرؤ تاجر، فدلوني على السوق. يقابله تعفف كريم نبيل، وكلاهما يعطينا ملمحاً من ملامح المجتمع المسلم الذي أقامه الرسول الكريم في المدينة، والذي نرنو إلى مثله دائماً، باعتباره مثلا ًأعلى للمجتمعات. والإسلام يحرص كل الحرص على أن تسود المحبة والأخوة بين الناس جميعا: بين الشعوب بعضها وبعض، لا يفرق بينهما اختلاف عنصر أو لون أو لغة أو إقليم. وبين الطبقات بعضها وبعض، فلا مجال لصراع أو حقد، وان تفاوتوا في الثروة والمنزلة، وفضل الله بعضهم على بعض في الرزق. وبين الحكام والمحكومين، فلا محل لاستعلاء حاكم على محكوم، فإن الحاكم هو وكيل الأمة بل أجيرها، ولا لبغض محكوم لحاكم ما دام يأخذ حقه، كما يؤدى واجبه، وفى الحديث عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال سمعت رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم – يقول: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم!" قال: قلنا يا رَسُول اللَّهِ أفلا ننابذهم؟ قال: "لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة". (لألباني، ١٩٩٤: ٩٠٧). (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٤٣، ١٤٤).

ربط النظرية بالتطبيق

والإسلام لا يحب أن تكون دعوته مجرد فكرة في الرؤوس، أو حلماً في أخيلة المصلحين، بل يحب أن يربط الفكرة بالعمل، والنظرية بالتطبيق . . لهذا دعا إلى مجموعة من الشعائر والآداب والتقاليد من شأنها أن توثق روابط المحبة بين الناس، إذا عملوا بها، وحافظوا عليها. من ذلك إفشاء السلام كلما لقي بعضهم بعضا، وهذا ما نبه عليه الحديث الصحيح ، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" (الألباني، ١٩٨٧: ٥٧). ومن ذلك مجاملة الناس بعضهم لبعض، في التهنئة عند النعمة، والتعزية عند المصيبة، وعيادة المريض، وتشميت العاطس. ومن ذلك: التهادي بين الناس في المناسبات الطيبة. ومن ذلك: التلاقي، الذي به تتعارف الوجوه، وتتصافح الأيدي، وهذا ما شرعه الإسلام بصلاة الجماعة

This file was downloaded from QuranicThought.com

والجمعة والعيدين. كما حرم الإسلام كل الرذائل الخلقية والاجتماعية التي تفضي إلى تقطع أواصر المحبة والمودة بين الناس، ولهذا رأينا القرآن الكريم بعد أن قرر أن المؤمنين إخوه: اتبع ذلك بالنهى عن مجموعه من الرذائل التي تنافى الأخوة، وتعمل في بنيانها هدماً. مثل السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، والتجسس على الناس، وتتبع عوراتهم، وسوء الظن بهم، والحديث عنهم بسوء في غيبهم (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٤٤، ١٤٥). وذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١١، ١٢).

الوحدة

ويشير القرضاوي (١٩٩٣: ١٤٥،١٤٦) أن من لوازم الأخوة ومظاهرها : الوحدة. ومما يضادها وينقضها: الفرقة. فالمجتمع المسلم المتآخي مجتمع واحد، في عقائده الإيمانية، وفي شعائره التعبدية، وفى مفاهيمه الفكرية، وفى فضائله الأخلاقية، وفى اتجاهاته النفسية، وآدابه السلوكية، وفى تقاليده الاجتماعية، وفى قيمه الإنسانية، وفي أسسه التشريعية. واحد من أهدافه التي تصل الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والخلق بالخالق، وفي أسس مناهجه التي تجمع بين المثالية والواقعية، وتوازن بين الثبات والتطور، وبين استلهام التراث والاستفادة من العصر. واحد في مصادره التي يستمد منها هدايته، وهى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وفى المثل الأعلى الذي يستمد منه الأسوة الحسنة، وهو الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم–. فهو مجتمع يؤمن برب واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد، ويتجه إلى قبلة واحدة بشعائر واحدة، ويحتكم في كل أموره إلى شريعة واحدة: وولاؤه –حيث كان – ولاء واحد، لله ولرسوله ولأمة الإسلام. في الله يحب، وفيه يبغض، وفيه يصل، وفيه يقطع: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢). لا ينبغي أن يفرق هذا المجتمع ما يفرق المجتمعات الأخرى من العصبية للجنس أو اللون أو الوطن أو اللغة أو الطبقة أو المذهب، أو غير ذلك مما يمزق الجماعات. فالأخوة الإسلامية فوق كل العصبيات أيا كان اسمها ونوعها. والرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – برئ من كل العصبيات:" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتلته جاهلية" (الألباني، ١٩٨٧: ٣١٩٠). والقرآن يحذر من دسائس غير المسلمين الذي يكيدون لهـم؛ ليفـرقوا كلمتهم، ويمزقوا وحـدتهم، كـما فعـل ذلك اليهـود

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في الإيقاع بين الأوس والخزرج بعد أن جمعهم الله على الإسلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ(١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(١٠١) ﴾. (آل عمران: ١٠٠،١٠١). إلى أن قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران : ١٠٣). وفي هذا السياق حذر من التفرق والاختلاف فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥). وبين آية الأمر بالاعتصام بحبل الله وآية التحذير من التفرق والاختلاف، ذكرت آية تكليف الأمة بالدعوة والأمر والنهي: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

نحن اليوم إزاء ما نعانيه من تشتت وتباعد وتشرذم، لابد من إطلاق دعــوة مخلــصة صادقة إلى التعاون والوحدة والتماسك؛ لأنه بدونها لن نستطيع أن نتغلب على عدونا بل أعدائنا المتربصين بنا من كل جانب والذين دبروا ويدبرون المكائد والمؤامرات لضربنا وقهرنا. ونحن في توادنا وتراحمنا وتعاطفنا مع بعضنا البعض نكون كمثل الجسد الواحد الذي إذا أصيب عضو منه بمرض، صارت أعضاؤه كلها في حالة من السهر والحمى. هكذا ينبغي أن نكون متعاطفين ومتراحمين ومتكاتفين. إن الوحدة الحقيقية هي الوحدة القائمة على التمسك بشرع الله والالتــزام بالأوامر الإلهية وعدم السكوت عن الباطل وكل ما هو مخالف للشريعة المطهرة. وأمـــا حـــين يكون طلاّب الوحدة، كل له هدفه وطريقه، وكل له نهجه الخاص وأسلوبه دون الارتكاز علـــى ركائز سليمة، وعندما يصير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرًا منسيًا عند طلاّب الوحدة والدعاة إليها، فلن يصلوا إلى طلبهم إلا إذا أنكروا المنكر وأمروا بالمعروف وتناصـــحوا فيمـــا بينهم.

وهذا يدلنا على أن الذي يوحد الأمة ويجمع شتاتها: وجود منهج موحد تعتصم به وترجع إليه، وهو هنا حبل الله: ووجود رسالة مشتركة تشتغل بها، الإسلام والقرآن، وتجعلها أكبر همها، وهي هنا الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر. أما إذا قعدت الأمة عن الرسالة، أو فقدت المنهج، فإن السبل ستتفرق بها عن يمين وشمال، والشياطين ستتجاذبها من شرق وغرب، وهو ما حذر منه القرآن بقوله : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣). والوحدة المفروضة في الأمة المسلمة لا تعارض النوع الذي يقضيه اختلاف البيئات والأعراف بتأثير الحضارات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المختلفة، والمواريث الثقافية المتعددة. فهو تنوع في إطار الوحدة الجامعة، وهو أشبه بتنوع المواهب والميول والأفكار والتخصصات داخل الأسرة الواحدة. أو تنوع الأزهار والثمار داخل الحديقة الواحدة. ومن أهم ما جاء به الإسلام هنا: شرعية تعدد الاجتهادات في إطار القواعد الكلية والنصوص القطعية المتفق علها، فلا يجوز أن ينكر مجتهد على مجتهد، وإن اختلف معه في المشرب، ولكل وجهته، ولكل أجره، أصاب أم أخطأ، ما دام من أهل الاجتهاد، واختلاف الآراء لا يجوز أن يكون سبب تفرق أو عداوة، فقد اختلف الصحابة وتابعوهم بإحسان في قضايا كثيرة، ولم يزدهم ذلك إلى التفرق، بل وسع بعضهم بعضاً، وصلى بعضهم وراء بعض. ومما يضيق الخلاف أن أمر الإمام أو حاكم الحاكم في المسائل الخلافية يرفع الخلاف، ويحسم النزاع من الناحية العملية. (القرضاوي،١٩٩٣: ١٤٧، ١٤٨).

التعاون والتناصر والتراحم

ومن لوازم الإخاء في الإسلام: التعاون والتراحم والتناصر، إذ ما قيمة الأخوة إذا لم تعاون أخاك عند الحاجة، وتنصره عند الشدة، وترحمه عند الضعف ؟ لقد صور الرسول الكريم مبلغ التعاون والترابط بين أبناء المجتمع المسلم بعضه وبعض هذا التصوير البليغ المعبر حين قال: عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه".(الألباني، ١٩٨٤: ١٠٤). فاللبنة وحدها ضعيفة مهما تكن متانتها، وآلاف اللبنات المبعثرة المتناثرة لا تصنع شيئا، ولا تكون بناء. إنما يتكون البناء القوى من اللبنات المتماسكة المتراصة في صفوف منتظمة، وفق قانون معلوم، عندئذ يتكون من اللبنات جدار متين، ومن مجموع الجدر بيت مكين، يصعب أن تنال منه أيدي الهدامين. كما صور مبلغ تراحم المجتمع وتكامله، وتعاطف بعضه مع بعض عن النعمان بن بشير – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: قال رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (الألباني: ١٩٨٤، ١٠٥). فهو ترابط عضوي ، لا يستغني فيه جزء عن آخر، ولا ينفصل عنه، ولا يحيا بدونه، فلا يستغني الجهاز التنفسي عن الجهاز الهضمي، أو كلاهما عن الجهاز الدموي أو العصبي، فكل جزء متمم للآخر، وبتعاون الأجزاء وتلاحمها يحيا الكل، ويستمر نماؤه وعطاؤه. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٤٨-١٥٠). ويقول – صلى الله عليه وسلم – :" المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على مَن سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، ومسرعهم على قاعدهم" (الألباني: ١٩٨٨، ٢٣٩٠). والقرآن الكريم يوجب التعاون و يأمر به بشرط أن يكون تعاوناً على البر التقوى، ويحرمه وينهى عنه إذا كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على الإثم والعدوان. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ وَلَا الهَدْيَ وَلَا القَلَائِدَ وَلَا آَمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (المائدة: ٢) ويجعل المؤمنين أولياء بعضهم على بعض، بمقتضى عقد الإيمان.

التكافل المادي والأدبي

ومن مظاهر هذا التعاون والتراحم التناصر: التكافل بين أبناء المجتمع المسلم، وهو تكافل مادي ومعنوي، اقتصادي وسياسي، عسكري ومدني، اجتماعي وثقافي. يبدأ هذا التكافل بين الأقارب بعضهم وبعض، كما يفعل ذلك نظام النفقات في شريعة الإسلام. فالقريب الموسر ينفق على قريبه المعسر وفق شروط وأحكام مفصلة في الفقه الإسلامي، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٥) ثم تتسع دائرة هذا التكافل لتشمل الجيران وأبناء الحي الواحد في البلد الواحد، بمقتض حق الجوار، ثم تتسع أكثر وأكثر بحيث تشمل الإقليم عن طريق الزكاة، التي أمر الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- أن تؤخذ من أغنياء كل إقليم لترد على فقرائه، فوضع بذلك أساس التوزيع المحلى، على عكس ما كان يصنع في الحضارات السابقة على الإسلام، فقد كانت الضرائب تؤخذ من مزارعي ومحترفي الأقاليم النائية والقرى البعيدة، لتوزع في المدن الكبيرة، ولا سيما عاصمة الملك أو الإمبراطور. ثم تزداد اتساعاً ليشمل التكافل المجتمع كله. ومنذ فجر الدعوة إلى الإسلام في مكة، والمسلمون أفراد معدودون مضطهدون، ليس لهم كيان ولا سلطان، كان القرآن يدعو بقوة إلى هذا التكافل بجعل المجتمع كالأسرة الواحدة، يصب الواجد فيه على المحروم، ويحمل فيه الغنى الفقير. ولم يجعل القرآن ذلك شيئاً من نوافل الدين، يقوم به من ترقى في درجات الإيمان والإحسان، ولا يطالب به الشخص العادي من الناس. بل اعتبره القرآن أمراً أساسياً من دعائم الدين، لا يحظى برضا الله من لم يقم به، ولا ينجو من عذابه من فرط فيه. إقرأ في السورة المكية هذه الآيات ﴿فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ (١٧) ﴾. (البلد: ١١-١٧). وقوله تعالى في سورة أخرى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ اليَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ المُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

نُطْعِمُ المِسْكِينَ(٤٤) ﴾. (المدثر: ٣٨-٤٤). فجعل مصيرهم النار: لأنهم أضاعوا حق الله بإضاعة الصلاة، وأضاعوا حق عباده، إذ لم يطعموا المسكين. وإطعام المسكين كناية عن رعاية ضروراته وحاجاته، إذ لا معنى لأن نطعم المسكين وندعه مشرداً بلا مأوى، أو عرياناً بلا كسوة، أو مريضاً بلا علاج، ولم يكتف القرآن بإيجاب إطعام المسكين، بل زاد على ذلك فأوجب الحض على إطعامه، والحث على رعايته. ويزيد على ذلك فيوجب في المال حقا معلوماً، ليس بصدقة تطوعية، ولا بإحسان اختياري، من شاء أداه، ومن شاء تركه، بل (حق) – أي (دين) – في عنق المكلفين، وحق معلوم غير مجهول،.. وهذا الحق هو الزكاة، التي فرضت في مكة غير محددة ولا مفصلة. كل هذا في القرآن المكي، فلما أصبح للمسلمين دولة وسلطان، حددت أنصبة الزكاة ومقاديرها بوضوح، وبعث السعاة؛ ليجمعوها من أهلها، ويصرفوها في محلها. وهم الذين سماهم القرآن: (العاملين عليها)، وجعل لهم نصيباً من حصيلة الزكاة نفسها، ضماناً لحسن تحصيلها وتوزيعها. ووصل الإسلام بهذه الفريضة الآلية إلى أعلى درجات الإلزام الخلقي والتشريعي، فجعلها ثالث أركان الإسلام، وأوجب أخذها كرهاً، إن لم تدفع طوعاً، ولم يتردد في قتال من منعوها إذا كانوا ذوى شوكة وقوة. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٥١ – ١٥٤).

أخوة لكل الفئات لا طبقية

الأخوة في الإسلام تشمل كل فئات المجتمع، فليس هناك فئة من الناس أعلى من أن تؤاخي الآخرين، ولا فئة أهون من أن يؤاخيها الآخرون، لا يجوز أن يكون المال، أو المنصب، أو النسب، أو أي وضع اجتماعي، أو مادي، أو غير مادي سبباً لاستعلاء بعض الناس على بعض. فالحاكم أخو المحكوم، والراعي أخ لرعيته، وفى الحديث: عن عوف بن مالك – رَضِيَ اللَّهُ – عَنهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم – يقول: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم! قال: قلنا يا رَسُول اللَّهِ أفلا ننابذهم؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة"(الألباني، ١٩٩٤: ٩٠٧) . والسيد أخ لعبده، وإن أوجبت ظروف خاصة أن يكون تحت يده. وفى الصحيح: عن المَعْرُوْرِ بن سويد قال: "حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول – الله صلى الله عليه وسلم – :إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم"(الألباني، ١٩٨٧: ٢٩٧٦). والأغنياء والفقراء، والعمال وأرباب العمل، والملاك والمستأجرون، كلهم أخوة بعضهم لبعض، فلا مجال – في ضوء تعاليم الإسلام – لصراع اجتماعي، أو حقد طبقي. بل لا يوجد في المجتمع الإسلامي

This file was downloaded from QuranicThought.com

طبقات، كما عرف ذلك في المجتمع الغربي في العصور الوسطى، الذي عرف طبقات النبلاء والفرسان، ورجال الدين وغيرهم... وكانت هذه الطبقية تتوارث بحكم القيم والتقاليد والقوانين السائدة . ولا زالت بعض الأمم إلى اليوم تتوارث الطبقية، بحكم عقائدها وأعرافها وأنظمتها، كما في الهند. يوجد في الإسلام أغنياء، ولكنهم لا يكونون طبقة تتوارث الغنى، بل هم أفراد يجرى عليهم ما يجرى على غيرهم، فالغني قد يفتقر، كما أن الفقير قد يغتني: ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥). ويوجد في الإسلام (علما ء دين) ولكنهم لا يكونون طبقة تتوارث هذه المهنة، بل هي وظيفة مفتوحة لكل من حصل مؤهلاتها من العلم والدراسة، وهي على كل حال ليست وظيفة كهنوتية كوظائف القسس ورجال الدين في الأديان الأخرى، إنما هي وظيفة تعليم ودعوة وإفتاء. فهم (علماء) لا (كهنة) ! إنما هم معلمون ومذكرون. (القرضاوي، ١٩٩٣: ١٥٥، ١٥٦).

ثامنا : الحب

الحب معنى أخص من الرضا، وأعمق أثراً، فقد يرضى الإنسان بالشيء أو يرضى عن الشخص، ولا يفضي ذلك إلى حبه وتعلق القلب به. فإن ذلك شأن الحب لا شأن الرضا.الحب هو روح الوجود، وإكسير القلوب، وصمام الأمان لبني الإنسان. إذا كان قانون الجاذبية يمسك الأرض والكواكب والأفلاك أن تصطدم فتتساقط أو تحترق وتزول، فقانون الحب هو الذي يمسك العلاقات الإنسانية أن تتصادم فتحترق، وتستحيل إلى دماء. هذا هو الحب الذي عرف الناس قيمته في القديم والحديث. وقالوا: لو ساد الحب ما احتاج الناس إلى العدل ولا إلى القانون. (القرضاوي، ١٩٧٨: ١٧٥).

وقديماً قال صوفي شاعر كبير: هو الصوفي الكبير جلال الدين الرومي، وهذه الفقرات من شعره الصوفي الوجداني، وقد نقل هذه الفقرات السيد أبو الحسن الندوي في كتابه (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) (الندوي ، ١٩٦٥: ٢٨٨وما بعدها):

"إن الحب يحول المر حلواً، والتراب تبراً، والكدر صفاءً، والألم شفاءً، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذي يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت، وينفخ فيه الحياة ...". "إن هذا الحب هو الجناح الذي يطير به الإنسان المادي الثقيل في الأجواء، ويصل من السمك إلى السماك، ومن الثرى إلى الثريا ... ". "بارك الله لعبيد المادة وعباد الجسم في ملكهم وأموالهم! لا ننازعهم في شيء. أما نحن فأسارى دولة الحب التي لا تزول ولا تحول !". "حياك الله أيها الحب المضني! يا طبيب علتي وسقمي! يا دواء تخوفي وكبري! يا طبيبي النطاسي! يا مداوي الآسي!. وكتب صحفي أديب يعنى بالجوانب النفسية (هو الأستاذ محمد زكي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
عبد القادر) في إحدى يومياته بجريدة (الأخبار القاهرية) وقد نقل هذه الفقرات الشيخ القرضاوي يقول: "ولمحت عن بعد أضواء تلمع وسط البحر كالنجم الهادي، وتمنيت لو كان لي في المستقبل مثل هذا النجم ... ومن منا لا يتمنى أن يكون له في مستقبله نجم هاد؟ ... نجم هاد فيما بقي من أيام .. ماذا يكون؟

الحكمة : وماذا تعطينا غير المنطق الجاف؟

الحذر : وماذا يعطينا غير الخوف الدائم!

العمل : وماذا يعطينا غير العرق المتصبب والحقد المتأجج؟

المال : وماذا يعطينا غير الخوف والحذر والعرق والحقد؟

الحب : إنه الجوهر الوحيد الذي يعطينا الأمان والاستقرار والسلام .

نحب كل شيء ... كل إنسان ... نحب حتى الكارثة كما نحب النعمة ... الأولى لتوقظ القوة على المقاومة فتتوهج النفس كأنها تتحفز ... والثانية نسيم يلطف حر المعركة، نحب الوجود كله بدايته ونهايته، الموت فيه والحياة!

هل يستطيع أحد أن يحب هذا الحب؟ لو فعل لكان ملاكاً ... ". (القرضاوي، ١٩٨٨: ١٧٦).

يجيب الشيخ القرضاوي على هذا السؤال فيقول: إن الذي يستطيع أن يحب هذا الحب الكبير صنف واحد من بني الإنسان، إنه الصنف الذي خالطت قلبه بشاشة الإيمان. الإيمان وحده هو ينبوع الحب المصفى الخالد، والمؤمن وحده هو الذي يستطيع أن يحب كل شيء حتى الكارثة، يحب الوجود كله بدايته ونهايته، الموت فيه والحياة (وقد أشاع المبشرون والمستشرقون أن المسيحية وحدها دين المحبة ولا مجال فيها لبغض أو عنف، وأن الإسلام دين الجهاد والسيف، ولا مجال فيه لتسامح أو حب). وهذا جهل مركب. أو تضليل مفضوح. وفي تاريخ المسيحية في العصور الوسطى نجدها أكثر الديانات شناً للحروب وإراقة للدماء، وإحداثاً للمجازر البشرية الرهيبة. ليس بينها وبين مخالفيها فحسب بل بين طوائفها بعضها وبعض. والمسيح عليه السلام بريء من هذه المذابح الوحشية، والمسئول عنها إنما هي الكنيسة التي حرفت كلمات الله عن مواضعها، وأدخلت الوثنية في دين المسيح وأعطت نفسها حق التحليل والتحريم. والتشريع في الدين بما لم يأذن به الله. وبيع صكوك الغفران وأرض الجنة بالدرهم والدينار. إن خرافات الكنيسة ومصالحها وأهواء رجالها الذين ساندوا الظلم والاستغلال والفساد هي المسئولة عن هذه الحروب والدماء. ومهما يكن الأمر فإن الإسلام المظلوم هو أعظم العقائد دعوة إلى الحب، وتوكيداً لمعانيه. وتفجيراً لينابيعه. وأقواها حرباً للعداوة والبغضاء والحسد والحقد وتضييقاً لمسالكها. وإغلاقاً للنوافذ التي تهب منها رياحها السموم. ولقد قال أحد وجهاء النصارى المنصفين في طرابلس الشام للسيد رشيد رضا رحمه الله: إن في الإسلام فضائل كالجبال أو أشمخ وأرسخ ولكنكم دفنتموها. حتى لا تكاد تعرف أو ترى، ونحن عندنا شيء قليل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ضئيل، ككلمة "حب الله والقريب" فما زلنا نمطه ونمده، ونقول: "الفضائل المسيحية" حتى مــلأ الدنيا كلها؟وهي شهادة من مسيحي معتدل لا تحتاج إلى تعليق. (القرضاوي، ١٩٨٨: ١٧٧).

حب الله

المؤمن بعقيدة الإسلام نفذ إلى سر الوجود فأحب الله واهب الحياة، ومصدر الخلق والأمر، والإيجاد والإمداد. أحبه حب الإنسان للجمال، فقد رأى في كونه أثر الإبداع والإحكام ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (الملك: ٣) ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨) ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (السجدة: ٧). وأحبه حب الإنسان للكمال، وهل هناك –في الحقيقة– إلا كماله سبحانه؟ وكل ما نرى من مظاهر الكمال النسبي إن هي إلا ذرات مستمدة منه، ومفتقرة إليه. وأحبه حب الإنسان للإحسان، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها. وأي إحسان كإحسان من خلقه من عدم، وجعله بشراً سوياً، واستخلفه في الأرض، وسخر له الكون جميعاً منه: "هو الذي خلق لكم ما في ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ٢٩)، " ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (لقمان: ٢٠). أحبه لهذا كله ولأكثر منه، حباً يفوق حب الإنسان لأبويه، بل لولده بل لنفسه، وأحب كل ما يجيء من قبله وكل ما يحبه سبحانه، أحب الكتاب الذي أنزله؛ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأحب النبي الذي أرسله رحمة للعالمين، وأحب كل إنسان من أهل الخير والصلاح الذين يحبهم ويحبونه. (القرضاوي،١٩٨٨: ١٧٧، ١٧٨).

حب النبي

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣١) ﴾.(آل عمران: ٣١) إنَّ حب الرسول – صلى الله عليه وسلم– واجب على كل مسلم وهو يأتي بعد حُبِّهِ لله سبحانه وتعالى،وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بِحُب الرسول – صلى الله عليه وسلم– وقرن حُبَّه سبحانه وتعالى بحب رسوله صلوات ربي وتسليماته عليه. (العك، ٢٠٠١ :١٠٦). يعطي القرآن الكريم الصورة الواضحة المميزة عن أخلاقه – محمد صلى الله عليه وسلم– وأفعاله وأقواله قال تعالى:" وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " (القلم: ٤) ، ونحن نعيش بعيدين عنه بفاصلة زمنية هي أربعة عشر قرناً، ولقد أبقى القرآن الكريم الرسول العظيم –

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صلى الله عليه وسلم- حياً في قلوب المسلمين متعايشاً في مشاعرهم وتفكيرهم يفضون تجاهه بمشاعر الحب والتقدير ، واجبنا كمربين أن نرسخ في نفوس أطفالنا حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحب آل بيته، وأن نبين لهم أن حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفوق كل حب ، وأنَّ حبه من الإيمان" (جبار، ١٩٩٦: ٢٠٩، ٢١٠).

مصداقاً لقوله – صلى الله عليه وسلم – لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (البخاري، ١٥). فبحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتحقق الشطر الثاني من الشهادة ، شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وبترسيخ محبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- تتحرك مشاعر الطفل وأحاسيسه ويقوى لديه الانتماء إلى هذا الدين وترسخ لديه عقيدة الإيمان به كرسول منزل ، ولِنُبين لأطفالنا أنَّ محبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا تتحقق بالأقوال دون الأفعال. (جبار، ١٩٩٦: ٢١٠، ٢١١).

حب الطبيعة:

والمؤمن في ظل الإسلام كما أحب الله أحب الطبيعة والوجود كله، إنها أثر من آثار ربه "الذي خلق ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (الأعلى: ٢، ٣)، كل شيء فيها بحساب ولغاية وحكمة: " ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، ﴿الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ " (الرحمن: ٥)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١). الطبيعة ليست عدواً للإنسان ولكنها مخلوق سخر لخدمته، ليساعده على القيام بمهمة الخلافة في الأرض، وكل ما في الكون ألسنة صدق تمجد الله وتسبحه بلغة قد لا تفهمها العقول البشرية المحدودة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤). فالعالم ليس شراً يجب التعجيل بفنائه كما صورته الفلسفة المانوية وشبهها، وإنما هو كتاب الله المفتوح للقارئين والأميين جميعاً، تتلى فيه آيات قدرته ورحمته، وعظمته ونعمته. هذا العالم علويه وسفليه ليس إلا صنع الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، الذي أفرغ على هذا الكون وحدة جعلته في أرضه وسمائه وحيوانه ونباته كأجزاء الجسد الواحد تعاوناً واتساقاً وائتلافاً: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ " (يس: ٤٠). ليس في الكون شيء خلق جزافاً أو عبثاً. كل شيء فيه قد هيئ ليؤدي دوره فيما أراد الله من عمارة الأرض، واستمرار الحياة إلى أجلها، وخدمة هذا النوع المكرم من الخليقة (الإنسان). كان بعض البشر ينظرون إلى الظلام نظرة الخوف والكراهية، ويتمثل الظلام مظهراً لإله الشر الذي يحارب إله النور والخير، فماذا يكون شعور هؤلاء إذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لفهم الليل بردائه الأسود، ونصف الزمن ليل كما نعلم؟ لقد أزاحت عقيدة الإسلام هذا الكابوس العقلي والنفسي وقررت أن توزع الزمن بين ليل ونهار، وظلمة ونور، آية من آيات الله في تنظيمه لملكه، ونعمة من نعم الله على خلقه، يجب أن يشكروه عليها لا أن يخافوا منها، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٣) ﴾ (القصص: ٧١- ٧٣). حب الطبيعة الحق يتمثل في المؤمنين الذين يرون وجه الله في هذه الطبيعة، ويرون فيها قرآنه الصامت الدال على ألوهيته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١). (القرضاوي ، ١٩٨٨: ١٧٨- ١٨٠)

حب الحياة

وكما أحب المسلم الطبيعة أحب الحياة، ولم يعتبرها ذنباً جنى به عليه أبواه، ولا عبئاً يجب أن يلقى، ولا سجناً يجب أن يهرب منه، إنما هي رسالة تؤدى ونعمة تشكر. حدثنا عمران ابن موسى حدثنا عبد الوارث بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنيا الموت فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي" (الألباني، ١٩٨٧: ٣٤٤٠). (القرضاوي، ١٩٨٨: ١٨٠).

حب الموت

والمؤمن لا يحب الحياة حب الحريص على متاعها الأدنى، المتهافت على لذائذها، حباً يخيفه من الموت، ويلصقه بتراب الأرض، بل أحب المؤمن الحياة لأنه يقوم فيها بحق الله في الأرض، وأحب الموت لأنه يعجل به إلى لقاء ربه. وفي الحديث: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" (الألباني ،١٩٨٧: ٣٤٣٩). حينما خير الرسول بين لقاء ربه والبقاء نبي الدنيا قال: "أختار الرفيق الأعلى"! وحينما أصاب علي بن أبى طالب رضي الله عنه ضربة عبد الرحمن ابن ملجم قال: فزت ورب الكعبة! وحينما حضرت بلالاً الوفاة صرخت امرأته: واكرباه! فقال لها: بل واطرباه!! غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه! وحينما أخذ المشركون في مكة خبيب بن عدي ليصلبوه كان نشيده الذي يترنم به على خشبة الصلب: وكان سيف الله خالد بن الوليد حينما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يرسل إلى قائد من قواد الفرس أو الروم يختم رسالته بعد الدعوة إلى السلام والإسلام بقوله: وإلا... رميتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة..!!! (القرضاوي، ١٩٧٨: ١٨١).

حب الناس

وأحب المؤمن الناس جميعاً، لأنهم إخوته في الآدمية، وشركاؤه في العبودية لله، جمع بينه وبينهم رحم ونسب، كما جمع بينهم هدف مشترك وعدو مشترك ...أما الرحم العامة فقد قال فيها الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١). وما أحق كلمة (الأرحام) هنا أن يراد بها الأرحام الإنسانية التي تصل بين الناس جميعاً، بدليل فاتحة الآية. وأما الهدف المشترك والعدو المشترك ... فقال فيهما: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ(٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا (٦) ﴾. (فاطر: ٥، ٦). فالحياة الآخرة الباقية والخلود في نعيمها هو الهدف الإنساني المشترك، والشيطان المعوق عنها هو العدو المشترك. وعقيدة المسلم لا تسمح بنـزعات عنصرية، ونعرات جنسية، فالمسلم يعتقد أن الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب، وأن اختلاف اللغات والألوان ليس إلا دليلاً على قدرة الله، وعلى عظمة الصانع وآية من آياته في خلقه: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢). فشعور المسلم بأخوته لبني الإنسان جميعاً ليس أمراً ثانوياً عنده، ولا نافلة في دينه، إنما هو عقيدة يدين الله بها ويلقاه يوم القيامة ويرطب بها لسانه ذكراً لله يرجو به عند الله القربة . (القرضاوي، ١٩٧٨: ١٨٢).

وكيف يتصور أن يحتقر المسلم جنساً من أجناس البشرية. إن صح أن في البشر أجناساً .. وقرآنه الكريم يعلمه أن يحترم أجناس المخلوقات كلها ويعرف لها كيانها من الدواب والحشرات والطيور ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨). عن عبد الله بن مغفل قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم"(الألباني، ١٩٨٨: ٢٤٧١).

هذا هو شعور المؤمن بالإسلام نحو الناس، ليس شعور الاستعلاء العنصري ولا التعصب الإقليمي، ولا الحقد الطبقي، ولا الحسد الشخصي، وإنما هو شعور الحب والإخاء للناس كافة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ١٨٣).

This file was downloaded from QuranicThought.com

عاطفة الكره وإلى أين وجهها الإسلام؟

ولكن مما لا ريب فيه أن في كل إنسان عاطفة أخرى غير الحب. عاطفة البغض والخوف والمقت، وهي التي تفيض بالحقد والشر والخراب والدم! فكيف ردم الدين هذا المستنقع الكريه أو إلى أي مصب وجهه؟ ضيق الإسلام دائرة البغض، وانكمشت عاطفة الكره عند المؤمن، فلم يعد يبغض لمنفعة شخصية، ولم يعد يبغض لعصبية قبلية أو قومية أو إقليمية أو طبقية، ولم يعد يبغض لحقد أو حسد، وإنما انحصر بغضه في مجال واحد هو البغض في الله، أي من أجل الحق وحده. (القرضاوي، ١٩٧٨: ١٨٨، ١٨٩).

التسامح جزء من العقيدة

ومع انحسار دائرة الكره في أهل الباطل والإثم والعدوان، فإن كراهية المؤمن لهم ممزوجة بالألم من أجلهم، والإشفاق عليهم، وتمني الخير لهم، والدعاء لهم بالتوفيق والهداية "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" "لعلك باخع نفسك (أي قاتلها) ألا يكونوا مؤمنين"(الشعراء: ٣). وهناك أمران في عقيدة المسلم يجعلانه مع استمساكه بدينه، وثباته على إيمانه أشد الناس تسامحاً مع المخالفين له، والكافرين بدعوته:

أولهما: أن المسلم يعتقد جازماً أن من مقتضيات الإرادة الإلهية التي لا تخلو من الحكمة اختلاف الناس في الدين والإيمان ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ .(هود: ١١٨) ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩). وإذا كانت مشيئة الله نافذة –ومشيئته تعالى مرتبطة بحكمته– فكيف يقاوم المؤمن مشيئة الله، أو ينكر حكمة الله؟

وثانيهما: أن الله قد أمر نبيه المصطفى أن يتجنب اللجاجة في الجدل مع المخالفين، وأن يكل أمرهم إلى الله، ويعلمهم أن يوم الفصل بين المختلفين إنما هو يوم القيامة، فلا داعي للجدال الذي يثير الفتن، والمراء الذي يوغر الصدور. قال تعالى لرسوله: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الحج: ٦٨، ٦٩) ويقول: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الزمر: ٤٦). ذلك هو المؤمن بعقيدة الإسلام: أحب الوجود كله، أحب الله والطبيعة، أحب الحياة والموت، أحب القدر حلوه ومره، أحب الناس جميعاً وإذا كره ولابد فإنما يكره الشيطان، ويكره

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حزب الشيطان، كرهاً مقروناً بالرحمة والإشفاق وحب الخير، للناس جميعاً إن هذا الحب هو دليل إيمانه بربه، وقائده إلى جنته. (القرضاوي، ١٩٧٨: ١٩٠، ١٩١).

نستشف مما تقدم أن الشيخ القرضاوي قدم منظومة متكاملة من القيم الإسلامية التي يبرز من خلالها شمولية المنهج الإسلامي وتكامله، وإلقاء الضوء علي الصورة الحقيقية لهذا الدين، وقد عبرت هذه القيم عن وسطية الإسلام، والإسلام منهج وسط في كل شيء؛ في التصور والاعتقاد، والتعبد والتنسك، والأخلاق والسلوك، والمعاملة والتشريع. وهذا الاتجاه هو الاتجاه السليم الذي تحتاج إليه أمتنا، والذي يجب أن يسود وقد كان شعار الوسطية والاعتدال شعار الشيخ القرضاوي دائماً، الاعتدال بين التفريط والإفراط، بين الذين يريدون أن يتحللوا من عرى الأحكام الثابتة بدعوى مسايرة التطور، وبين الذين يريدون أن يظل كل ما كان على ما هو عليه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السادس

رؤية الشيخ القرضاوي في التعاطي مع قضايا المرأة

- المرأة باعتبارها إنساناً
- المرأة باعتبارها أماً
- المرأة باعتبارها بنتاً
- المرأة باعتبارها زوجة
- المرأة باعتبارها أنثى
- المرأة باعتبارها عضواً في المجتمع

This file was downloaded from QuranicThought.com

رؤية الشيخ القرضاوي في التعاطي مع قضايا المرأة

لقد أعلى الإسلام من شأن المرأة وحافظ على حقوقها، وعلى المكانة التـي ينبغـي أن توضع فيها في المجتمع، وهي مكانة لم تحظ المرأة بمثلها في شرع سماوي كما في الإسلام، ولا في مجتمع يحتكم إلى تشريع وضعي لا في القديم ولا الحديث. لقد منح الإسلام المرأة كل حـق وصانها من كل شر وعبث، وعن كل ما يخدش عفافها وحياءها، فقد شرع الله تعالى في القرآن الكريم أحكاما وآداباً ترشد إلى حقوق المرأة ومنزلتها في الحياة، وأول هذه الحقوق حديث القرآن الكريم عن الأصل الذي تفرع منه الإنسان، إذ لا تفاضل بين المرأة وبين الرجل مـن الناحيـة الإنسانية، فكلاهما لآدم. وتضمنت كتابات الشيخ القرضاوي رؤية واضحة للمرأة في الإسـلام، من حيث كونها أنساناً أو أماً أو بنتاً أو زوجة أو أنثى ....

المرأة باعتبارها إنساناً

جاء الإسلام وبعض الناس ينكرون إنسانية المرأة ، وآخرون يرتابون فيها . وغيرهم يعترف بإنسانيتها ، ولكنه يعتبرها مخلوقاً خلق لخدمة الرجل، فكان من فضل الإسلام أنه كرم المرأة ، وأكد إنسانيتها ، وأهليتها للتكليف والمسئولية والجزاء ودخول الجنة ، واعتبرها إنساناً كريماً ، له كل ما للرجل من حقوق إنسانية . لأنهما فرعان من شجرة واحدة ، وأخوان ولدهما أب واحد هو آدم ، وأم واحدة هي حواء. فهما متساويان في أصل النشأة، متساويان فالخصائص الإنسانية العامة ، متساويان في التكاليف والمسئولية ، متساويان في الجزاء والمصير. وفي ذلك يقول القرآن : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١) فالرجل – بهذا النص – أخو المرأة، والمرأة شقيقة الرجل . وفي هذا مساواة المرأة للرجل في التكليف والتدين والعبادة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢١).

والتربية التقليدية كما يقول الغزالي تعد المرأة في إطار ينحصر في البيت وفي بعـض المهن داخل وزارتي الصحة والتدريس بينما التربية تطالب بإصلاح شامل عن طريق توسـيع عملية إعداد المرأة لتدعم مسيرة التنمية دون الإخلال بوظيفتها في البيت. رغم أن دساتير دول العالم تقر مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة إجمالاً إلا أن الواقع يؤكد أن كفة الرجال أرجح فـي إدارة الأمور وتحصيل المعارف وهو الأمر الذي يرفضه فكر الغزالي جملة وتفصيلاً، فالنـساء شقائق الرجال في البيت والمدرسة والمجتمع ولا بد من إعداد المرأة بصورة شاملة تتـيح لهـا ممارسة رسالتها في صناعة الحياة. قام الغزالي بتفسير القرآن الكريم ودراسة الـسنة النبويـة المطهرة على ضوء تلك النظرة الكلية كما قام بدراسة الظواهر الاجتماعية وما يتصل بها مـن

This file was downloaded from QuranicThought.com

موروثات بنفس الرؤية التي تدل على دعوته لتحرير المرأة وتجديد الفكر الديني. (الكندري وملك، ٢٠٠٣: ١٢، ١٣).

وفى الحقوق المالية للمرأة، أبطل الإسلام ما كان عليه كثير من الأمم عرباً وعجماً من حرمان النساء، من التملك والميراث ، أو التضييق عليهن في التصرف فيما يملكن، واستبداد الأزواج بأموال المتزوجات منهن ، فأثبت لهن حق الملك بأنواعه وفروعه ، وحق التصرف بأنواعه المشروعة. فشرع الوصية والإرث لهن كالرجال ، وأعطاهن حق البيع والشراء، والإجارة والهبة والإعارة والوقف والصدقة والكفالة والحوالة والرهن . . . . وغير ذلك من العقود والأعمال. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢٤).

ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها – كالدفاع عن نفسها – بالتقاضي وغيره من الأعمال المشروعة ومن الصور المهينة لكرامة المرأة في مجتمعاتنا أن البعض يضنون على البنت بأخذ ميراثها. (الكندري وملك، ٢٠٠٣: ١٣).

شبهات مردودة

وهنا يعرض القرضاوي لبعض الشبهات:

إذا كان الإسلام قد اعتبر إنسانية المرأة مساوية لإنسانية الرجل، فما باله فضل الرجل عليها في بعض المواقف والأحوال. كما في الشهادة، والميراث، والدية ، وقوامة المنزل، ورياسة الدولة، وبعض الأحكام الجزئية الأخرى؟ والواقع أن تمييز الرجل عن المرأة في هذه الأحكام، ليس لأن جنس الرجل أكرم عند الله وأقرب إليه من جنس المرأة. فإن أكرم الناس عند الله أتقاهم – رجلا كان أو امرأة – ولكن هذا التمييز اقتضته الوظيفة التي خصصتها الفطرة السليمة لكل من الرجل والمرأة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢٤).

الشهادة

جاء في القرآن في آية المداينة التي أمر الله فيها بكتابة الدين والاحتياط له: " واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ولا يأب الشهداء إذا ما ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة:٢٨٢). وبهذا جعل القرآن شهادة الرجل تساوى شهادة امرأتين. كما قرر الفقهاء أن شهادة النساء لا تقبل في الحدود والقصاص. والحمد لله أن هذا التفاوت ليس لنقص إنسانية المرأة أو كرامتها. بل لأنها – بفطرتها واختصاصها – لا تشتغل عادة بالأمور المالية والمعاملات المدنية. إنما يشغلها ما يشغل النساء – عادة – من شئون البيت إن كانت زوجة ، والأولاد إن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كانت أما، والتفكير في الزواج إن كانت أيماً. ومن ثم تكون ذاكرتها أضعف في شئون المعاملات. لهذا أمر الله تعالى أصحاب الدين إذا أرادوا الاستيثاق لديونهم أن يشهدوا عليها رجلين أو رجلاً وامرأتين. وعلل القرآن ذلك بقوله: " أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى". ومثل ذلك ما ذهب إليه كثير من الفقهاء، الذين لم يعتبروا شهادة النساء، في الحدود والقصاص .. بعداً بالمرأة عن مجالات الاحتكاك، ومواطن الجرائم. والعدوان على الأنفس والأعراض والأموال. فهي إن شهدت هذه الجرائم كثيرا ما تغمض عينها ، وتهرب صائحة مولولة ، ويصعب عليها أن تصف هذه الجرائم بدقة ووضوح ، لأن أعصابها لا تحتمل التدقيق في مثل هذه الحال. ولهذا يرى هؤلاء الفقهاء أنفسهم الأخذ بشهادة المرأة – ولو منفردة – فيما هو من شأنها واختصاصها، كشهادتها في الرضاع والبكارة والثيوبة والحيض والولادة ، ونحو ذلك مما كان يختص بمعرفته النساء ، في العصور السابقة. على أن هذا الحكم غير مجمع عليه، فمذهب عطاء – من أئمة التابعين – الأخذ بشهادة النساء. ومن الفقهاء من يرى الأخذ بشهادة النساء، في الجنايات في المجتمعات التي لا يكون فيها الرجال عادة مثل حمامات النساء ، والأعراس ، وغير ذلك مما اعتاد الناس أن يجعلوا فيه للنساء أماكن خاصة، فإذا اعتدت إحداهن على أخرى بقتل أو جرح أو كسر، وشهد عليها شهود منهن، فهل تهدر شهادتهن لمجرد أنهن إناث؟ أو تطلب شهادة الرجال في مجتمع لا يحضرون فيه عادة؟الصحيح أن تعتبر شهادتهن ما دمن عادلات ضابطات واعيات. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢٤، ٣٢٥).

الميراث

أما التفاوت في الميراث بين الرجل والمرأة، فالواضح أنه نتيجة للتفاوت بينهما في الأعباء، والتكاليف المالية المفروضة على كل منهما شرعا. فلو افترضنا أبا مات، وترك وراءه ابنا وبنتا، فالابن يتزوج فيدفع مهراً ، ويدخل بالزوجة فيدفع نفقتها، على حين تتزوج البنت فتأخذ مهراً، ثم يدخل بها زوجها، فيلتزم بنفقتها ، ولا يكلفها فلسا، وان كانت من أغنى الناس. فإذا كان قد ترك لهما مائة وخمسين ألفا مثلاً، أخذ الابن منها مائة وأخته خمسين . فعندما يتزوج الابن قد يدفع مهراً وهدايا نقدرها مثلا بخمسة وعشرين ألفا. فينقص نصيبه ليصبح (٧٥٠٠٠) خمسة وسبعين ألفاً. في حين تتزوج أخته فتقبض مهراً وهدايا نقدرها بما قدرنا به ما دفع أخوها لمثلها . فهنا يزيد نصيبها فيصبح (٧٥٠٠٠) خمسة وسبعين ألفا، فتساويا. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢٥).

This file was downloaded from QuranicThought.com

الدية

وأما الدية فليس فيها حديث متفق على صحته ، ولا إجماع مستيقن بل ذهب ابن علية والأصم – من فقهاء السلف – إلى التسوية بين الرجل والمرأة في الدية، وهو الذي يتفق مع عموم النصوص القرآنية والنبوية الصحيحة وإطلاقها. ولو ذهب إلى ذلك ذاهب اليوم، ما كان عليه من حرج، فالفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان. إذا كانت تتمشى مع النصوص الجزئية والمقاصد الكلية؟ (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢٦).

القوامة

وأما القوامة ، فإنما جعلها الله للرجل بنص القرآن لأمرين :

١–ما فضله الله به من التبصر في العواقب، والنظر في الأمور بعقلانية أكثر من المرأة التي جهزها بجهاز عاطفي دفاق من أجل الأمومة.

٢– أن الرجل هو الذي ينفق الكثير على تأسيس الأسرة . فلو انهدمت ستنهدم على أم رأسه . لهذا سيفكر ألف مرة قبل أن يتخذ قرار تفكيكها . (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢٧).

المناصب القضائية والسياسية

وأما مناصب القضاء، والسياسة ، فقد أجاز أبو حنيفة أن تتولى القضاء، فيما تجوز شهادتها فيه، أي في غير الأمور الجنائية، وأجاز الطبري وابن حزم أن تتولى القضاء، في الأموال وفي الجنايات وغيرها. وجواز ذلك لا يعنى وجوبه ولزومه، بل ينظر للأمر في ضوء مصلحة المرأة، ومصلحة الأسرة، ومصلحة المجتمع ، ومصلحة الإسلام، وقد يؤدي ذلك إلى اختيار بعض النساء المتميزات في سن معينة ، للقضاء في أمور معينة، وفي ظروف معينة. وأما منعها من رئاسة الدولة وما في حكمها ، فلأن طاقة المرأة – غالبا – لا تحتمل الصراع الذي تقتضيه تلك المسؤولية الجسيمة . وإنما قال: (غالبا)، لأنه قد يوجد من النساء من يكن أقدر من بعض الرجال وأما أن تكون مديرة أو عميدة ، أو رئيسة مؤسسة ، أو عضواً في مجلس نيابي. أو نحو ذلك، فلا حرج إذا اقتضته المصلحة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢٧، ٣٢٨).

واستغرب الغزالي من وضع المرأة الغربية وهي تقود الشعوب وتغزو الفضاء وتتحكم بالمركبات الفضائية بينما المرأة المسلمة قد لا يحق لها قيادة سيارة على ظهر الأرض. (الغزالي، ٢٠٠٠ :٣١)

This file was downloaded from QuranicThought.com

المرأة باعتبارها أماً

لا يعرف التاريخ دينا ولا نظاما كرم المرأة باعتبارها أما، وأعلى من مكانتها، مثل الإسلام. لقد أكد الوصية بها وجعلها تالية للوصية بتوحيد الله وعبادته ، وجعل برها من أصول الفضائل، كما جعل حقها أوكد من حق الأب، لما تحملته من مشاق الحمل والوضع والإرضاع والتربية. وهذا ما يقرره القرآن ويكرره في أكثر من سورة ليثبته في أذهان الأبناء ونفوسهم. وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤) ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥). "جاء رجل يسأل النبي– صلى الله عليه وسلم – من أحق الناس بحسن صحابتي قال : أمك قال: ثم من قال: أمك قال: ثم من قال: أمك قال: ثم من، قال: أبوك" (الألباني: ١٤٠٥هـ ، ٢٧٦). وكانت بعض الشرائع تهمل قرابة الأم ولا تجعل لها اعتباراً ، فجاء الإسلام يوصى بالأخوال والخالات، كما أوصى بالأعمام والعمات. ومن رعاية الإسلام للأمومة وحقها وعواطفها : أنه جعل الأم المطلقة أحق بحضانة أولادها وأولى بهم من الأب. والأم التي عنى بها الإسلام كل هذه العناية، وقرر لها كل هذه الحقوق، عليها واجب أن تحسن تربية أبنائها، فتغرس فيهم الفضائل، وتبغضهم في الرذائل، وتعودهم طاعة الله، وتشجعهم على نصرة الحق، ولا تثبطهم عن الجهاد، استجابة لعاطفة الأمومة في صدرها، بل تغلب نداء الحق على نداء العاطفة. ولقد رأينا أما مؤمنة كالخنساء، في معركة القادسية تحرض بنيها الأربعة، وتوصيهم بالإقدام والثبات في كلمات بليغة رائعة، وما أن انتهت المعركة حتى نعوا إليها جميعا، فما ولولت ولا صاحت، بل قالت في رضا ويقين: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله!! (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠).

المرأة باعتبارها بنتاً

كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بميلاد البنات، ويضيقون به، حتى قال أحد الآباء وقد بشر بأن زوجه ولدت أنثى: (والله ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء، وبرها سرقة)! يريد أنها لا تستطيع أن تنصر أباها وأهلها إلا بالصراخ والبكاء لا بالقتال، ولا أن تبرهم إلا بأن تأخذ من مال زوجها لأهلها. وكانت التقاليد المتوارثة عندهم تبيح للأب أن يئد ابنته – يدفنها حية – خشية من فقر قد يقع، أو من عار قد تجلبه حين تكبر على قومها. وفي ذلك يقول القرآن منكراً عليهم ومقرعاً لهم: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴾ (التكوير٩). ويصف حال الآباء عند

This file was downloaded from QuranicThought.com

ولادة البنات: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(٥٨) يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٥٩) ﴾ (النحل٥٨-٥٩). وكانت بعض الشرائع القديمة تعطي الأب الحق في بيع ابنته إذا شاء. جاء الإسلام فاعتبر البنت كالابن – هبة من الله ونعمة – يهبها لمن يشاء من عباده: ﴿لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠)﴾ (الشورى:٤٩-٥٠). وبين القرآن في قصصه أن بعض البنات قد تكون أعظم أثراً وأخلد ذكراً، من كثير من الأبناء الذكور، كما في قصة مريم ابنة عمران التي اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وقد كانت أمها عندما حملت بها تتمنى أن تكون ذكراً يخدم الهيكل، ويكون من الصالحين ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ(٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧) ﴾ (آل عمران: ٣٥-٣٧). وحمل القرآن – حملة شعواء – على أولئك القساة الذين يقتلون أولادهم – إناثاً كانوا أو ذكوراً – فقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام: ١٤٠) وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١). وجعل رسول الإسلام الجنة جزاء كل أب يحسن صحبة بناته ، ويصبر على تربيتهن وحسن تأديبهن، ورعاية حق الله فيهن، حتى يبلغن أو يموت عنهن، وجعل منزلته بجواره – صلى الله عليه وسلم – في دار النعيم المقيم، فعن جابر بن عبد اللّه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " من كان له ثلاث بنات: يؤدبهن، ويكفيهن، ويرحمهن، فقد وجبت له الجنة. فقال رجل من بعض القوم: وثنتين يا رسول الله؟ قال: وثنتين ". (رواه مسلم: ٢٦٢٩). ونصت بعض الأحاديث على أن هذا الجزاء – دخول الجنة – للأخ الذي يعول أخواته أو أختيه أيضاً . كما نص بعض آخر على أن هذه المكافآت الإلهية ، لمن أحسن إلى جنس البنات ولو كانت واحدة. ففي الحديث الشريف حدثنا الحسين بن الحسن المروزي حدثنا ابن المبارك عن حرملة بن عمران قال سمعت أباعشانة المعافري قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار يوم القيامة " (الألباني، ١٩٨٧: ٢٩٥٩). وأما سلطان الأب على

This file was downloaded from QuranicThought.com

ابنته فلا يتجاوز حدود التأديب والرعاية والتهذيب الديني والخلقي، شأنها شأن إخوانها الذكور، فيأمرها بالصلاة إذا بلغت سبع سنين، ويضربها عليها إذا بلغت عشراً، ويفرق حينئذ بينها وبين إخوتها في المضجع، ويلزمها أدب الإسلام في اللباس والزينة والخروج والكلام. ونفقته عليها واجبة ديناً وقضاءً حتى تتزوج، وليس له سلطة بيعها أو تمليكها لرجل أخر بحال من الأحوال، فقد أبطل الإسلام بيع الحر- ذكراً كان أو أنثى- بكل وجه من الوجوه، ولو أن رجلاً حراً اشترى أو ملك ابنة له كانت رقيقة عند غيره، فإنها تعتق عليه بمجرد تملكها، شاء أم أبى، بحكم قانون الإسلام. وإذا كان للبنت مال خاص بها، فليس للأب إلا حسن القيام عليه بالمعروف. ولا يجوز له أن يزوجها لرجل آخر، على أن يزوجه الأخر ابنته ، على طريقة التبادل، وهو المسمى في الفقه بـــ (نكاح الشغار) وذلك لخلو الزواج من المهر الذي هو حق البنت لا حق أبيها. وليس للأب حق تزويج ابنته البالغة ممن تكرهه ولا ترضاه. وعليه أن يأخذ رأيها فيمن تتزوجه: أتقبله أم ترفضه . فإذا كانت ثيبا فلا بد أن تعلن موافقتها بصريح العبارة، وان كانت بكراً يغلبها حياء العذراء اكتفى بسكوتها، فالسكوت علامة الرضا، فإن قالت: لا . . فليس له سلطة إجبارها على الزواج بمن لا تريد. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٣٢- ٣٣٥).

والزواج عقد شراكه ،الأصل بقاؤه مستمراً حتى نهاية الحياة لذلك كان من حق الطرفين اختيار شريكه ، ولذا كان من حق الفتاه أن تختار الكفء المناسب لها ولا يجوز لأوليائها أن يكرهوها على من لا ترغب في مشاركته حياة زوجية ،أسها الأول أن يرضى الطرفان بإنشائها (الحلبي، ٢٠٠١: ٢١).

وفي البكر: هي صاحبة الخيار إن شاءت أجازت، وان شاءت أبت، فيبطل العقد. ومن جميل ما جاء به الإسلام: أنه أمر باستشارة الأم في زواج ابنتها، حتى يتم الزواج برضا الأطراف المعنية كلها. وإذا كان الأب لا يحق له تزويج ابنته ممن لا ترضاه. كان من حقه عليها ألا تزوج نفسها إلا بإذنه. ورأى أبو حنيفة وأصحابه أن من حق الفتاة أن تزوج نفسها، ولو بغير إذن أبيها ووليها، بشرط أن يكون الزوج كفئاً لها. والأولى أن يتم الزواج بموافقة الأب والأم والابنة. حتى لا يكون هناك مجال للقيل والقال ، والخصومة والشحناء، وقد شرع الله الزواج مجلبة للمودة والرحمة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٣٦، ٣٣٧).

المرأة باعتبارها زوجة

كانت بعض الديانات والمذاهب تعتبر المرأة رجساً من عمل الشيطان، يجب الفرار منه واللجوء إلى حياة التبتل والرهبنة. وبعضها الآخر كان يعتبر الزوجة مجرد آلة متاع للرجل، أو طاه لطعامه، أو خادم لمنزله. فجاء الإسلام يعلن بطلان الرهبانية وينهى عن التبتل، ويحث على

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الزواج ، ويعتبر الزوجية آية من آيات الله في الكون: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١). وجعل الإسلام الزوجة الصالحة للرجل أفضل ثروة يكتنزها من دنياه بعد الإيمان بالله وتقواه وعدها أحد أسباب السعادة. ورفع الإسلام من قيمة المرأة باعتبارها زوجة، وجعل قيامها بحقوق الزوجية جهاداً في سبيل الله. وقرر الإسلام للزوجة حقوقاً على زوجها، ولم يجعلها مجرد حبر على ورق، بل جعل عليها أكثر من حافظ ورقيب: من إيمان المسلم وتقواه أولاً، ومن ضمير المجتمع ويقظته ثانياً، ومن حكم الشرع وإلزامه ثالثاً ... وأول هذه الحقوق هو (الصداق) الذي أوجبه الإسلام للمرأة على الرجل إشعارا منه برغبته فيها وإرادته لها. قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (النساء: ٤). فأين هذا من المرأة التي نجدها في مدنيات أخرى: تدفع هي للرجل بعض مالها! مع أن فطرة الله جعلت المرأة مطلوبة لا طالبة؟ وثاني هذه الحقوق، هو (النفقة). فالرجل مكلف بتوفير المأكل والملبس والمسكن والعلاج لامرأته قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧). وثالث الحقوق، هو (المعاشرة بالمعروف).قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩). وهو حق جامع يتضمن إحسان المعاملة في كل علاقة بين المرء وزوجه، من حسن الخلق ، ولين الجانب، وطيب الكلام، وبشاشة الوجه، وتطييب نفسها بالممازحة والترفيه عنها، وفى مقابل هذه الحقوق أوجب عليها طاعة الزوج – في غير معصية طبعا– والمحافظة على ماله، فلا تنفق منه إلا بإذنه، وعلى بيته، فلا تدخل فيه أحداً إلا برضاه ولو كان من أهلها. وهذه الواجبات ليست كثيرة ولا ظالمة في مقابل ما على الرجل من حقوق، فمن المقرر أن كل حق يقابله واجب ، ومن عدل الإسلام أنه لم يجعل الواجبات على المرأة وحدها، ولا على الرجل وحده، بل قال تعالى: "ولهن مثل الذي عليهن ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨) فللنساء من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات. ومن جميل ما يروى أن ابن عباس وقف أمام المرآة يصلح من هيئته ، ويعدل من زينته ، فلما سئل في ذلك قال : أتزين لامرأتي كما تتزين لي امرأتي. ثم تلا الآية الكريمة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ﴾ (البقرة٢٢٨). وهذا من أظهر الأدلة على عميق فقه الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٣٧ – ٣٤٠).

This file was downloaded from QuranicThought.com

استقلال الزوجة

لم يهدر الإسلام شخصية المرأة بزواجها، ولم يذبها في شخصية زوجها، كما هو الشأن في التقاليد الغربية، التي تجعل المرأة تابعة لرجلها ، فلا تعرف باسمها ونسبها ولقبها العـائلي، بل بأنها زوجة فلان. أما الإسلام فقد أبقى للمرأة شخصيتها المستقلة المتميـزة، ولهـذا عرفنـا زوجات الرسول بأسمائهن وأنسابهن. فخديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر، وميمونة بنت الحارث، وصفية بنت حيى، وكان أبوها يهوديا محارباً للرسول صـلى الله عليه وسلم. كما أن شخصيتها المدنية لا تنقص بالزواج، ولا تفقد أهليتها للعقـود والمعـاملات وسائر التصرفات ، فلها أن تبيع وتشتري، وتؤجر أملاكها وتستأجر وتهب من مالها وتتـصدق وتوكل وتخاصم. وهذا أمر لم تصل إليه المرأة الغربية إلا حديثاً، ولا زالت في بعـض الـبلاد مقيدة إلى حد ما بإرادة الزوج. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤١).

الطلاق

ركز الغزو التنصيري والاستشراقي في العصر الأخير هجومه على أمرين، اتخـذهما للطعـن على موقف الإسلام من المرأة، وهما الطلاق ، وتعدد الزوجات. ومن المؤسف حقا أن يـروج ذلك عند بعض المسلمين ، فيتحدثون عنهما باعتبارهما مشكلتين من مشكلات الأسرةوالمجتمع، يتحدثون حديثاً فيه غمز للإسلام العظيم وشريعته الغراء. والحق أن الإسلام لم يـشرع هـذين الأمرين إلا ليعالج بهما مشكلات جمة ، في حياة الرجل والمرأة، وحيـاة الأسـرة والمجتمـع. والمشكلة الحقيقية إنما هي في سوء فهم ما شرع الله، أو في سوء تطبيقه، وكل شيء إذا أسـيء استعماله أدى إلى ضرر بليغ. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤٢).

لماذا شرع الإسلام الطلاق؟

ليس كل طلاق محموداً في الإسلام، فمن الطلاق ما يكرهه بل يحرمه، لما فيه من هدم الأسرة التي يحرص الإسلام على بنائها وتكوينها. إنما الطلاق الذي شرعه الإسلام هو أشبه ما يكون بالعملية الجراحية المؤلمة، التي يتحمل الإنسان العاقل فيها آلام جرحه، بل بتر عضو منه، حفاظا على بقية الجسد، ودفعا لضرر أكبر. فإذا استحكم النفور بين الزوجين، ولم تنجح كل وسائل الإصلاح ومحاولات المصلحين في التوفيق بينهما ، فإن الطلاق – في هذه الحالة – هو الدواء المر، الذي لا دواء غيره. ولهذا قيل: إن لم يكن وفاق ففراق، وقال القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (النساء١٣٠). وما شرعه الإسلام هنا هو الذي يفرضه العقل والحكمة والمصلحة، فإن من أبعد الأمور عن المنطق والفطرة، أن تفرض بقوة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

القانون شركة مؤبدة على شريكين، لا يرتاح أحدهما للآخر ولا يثق به. إن فرض هذه الحياة بسلطان القانون عقوبة قاسية، لا يستحقها الإنسان إلا بجريمة كبيرة، إنها شر من السجن المؤبد، بل هي الجحيم الذي لا يطاق. وقديما قال أحد الحكماء: " إن من أعظم البلايا معاشرة من لا يوافقك ولا يفارق" وإذا قيل هذا في الصاحب الذي يلقاه الإنسان أياما في الأسبوع ، أو ساعات في اليوم، فكيف بالزوجة التي هي قعيدة بيته، وصاحبة جنبه، وشريكة عمره؟ (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤٣).

تضييق دائرة الطلاق:

على أن الإسلام قد وضع جملة من المبادئ والتعاليم، لو أحسن الناس إتباعها والعمل بها لقللت الحاجة إلى الطلاق، ولضيقت من نطاقه إلى حد بعيد، ومن ذلك:

١- حسن اختيار الزوجة، وتوجيه العناية إلى الدين والخلق، قبل المال والجاه والجمال .

٢- النظر إلى المخطوبة قبل العقد ، ليطمئن على مبلغ حسنها في نظره وموقعها من قلبه ، ولأن هذا النظر المبكر رسول الألفة والمودة .

٣- اهتمام المرأة وأوليائها باختيار الزوج الكريم ، وإيثار من يرضى دينه وخلقه.

٤- اشتراط رضا المرأة بالزواج ممن يتقدم لها، ولا يجوز أبداً إجبارها على من لا ترغب فيه.

٥- اعتبار رضا ولي المرأة وموافقته وجوباً أو استحباباً.

٦- الأمر بمشاورة الأمهات في زواج بناتهن ، ليقوم الزواج على أساس مكين من رضا الأطراف كلها.

٧- إيجاب المعاشرة بالمعروف ، وتفصيل الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين ، وإيقاظ الضمائر المؤمنة بالتزام حدود الله فيها ، وتقوى الله في مراعاتها .

٨- ترغيب الزوج في أن يكون واقعياً ، بحيث لا ينشد الكمال في زوجه ، بل ينظر إلى ما فيها من محاسن ، إلى جوار ما يكون بها من عيوب ، فإن سخط منها خلقاً رضي منها آخر .

٩- دعوة الزوج إلى تحكيم العقل والمصلحة إذا أحس بباعث الكراهية نحو زوجته ، فلا يسارع بالاستجابة إلى عاطفته ، راجياً أن يغير الله الحال إلى ما هو خير

١٠- أمر الزوج أن يعالج الزوجة الناشزة العاصية بالحكمة والتدرج ، من اللين في غير ضعف ، إلى الشدة في غير عنف .

١١- أمر المجتمع بالتدخل عند وقوع الشقاق بين الزوجين ، وذلك بتشكيل مجلس عائلي من ثقات أهله وأهلها ، لمحاولة الإصلاح والتوفيق ، وحل الأزمة القائمة بالحسنى هذه هي تعاليم الإسلام ، ولو أن المسلمين اتبعوها ورعوها حق رعايتها ، لانحصر الطلاق في أضيق نطاق. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤٣، ٣٤٥).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

متى وكيف يقع الطلاق؟

على أن الإسلام لم يشرع الطلاق في كل وقت، ولا في كل حال، إن الطلاق المشروع الذي جاء به القرآن والسنة: أن يتأنى الرجل ويتخير الوقت المناسب، فلا يطلق امرأته في حيض، ولا في طهر جامعها فيه ، فإن فعل كان طلاقه طلاقاً بدعياً محرماً. ويجب أن يكون المطلق في حالة وعي، واتزان واختيار، فإذا كان فاقد الوعي، أو مكرهاً، أو غضبان غضباً أغلق عليه قصده وتصوره، فتفوه بما لم يكن يريد، فهذا لا يقع على الصحيح. ويجب أن يكون قاصداً للطلاق والانفصال عن زوجته بالفعل. أما أن يجعل من الطلاق يميناً يحلف به، أو يهدد به ويتوعد. فلا يقع على الصحيح كما قال بذلك بعض علماء السلف، ورجحه العلامة ابن القيم، وشيخه ابن تيمية. وإذا كانت كل هذه الأنواع من الطلاق لا تقع ، فقد بقي الطلاق المنوي المقصود، الذي يفكر فيه الزوج، ويدرسه قبل أن يقدم عليه، ويراه العلاج الفذ، للخلاص من حياة لا يطيق صبراً عليها. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤٥، ٣٤٦).

ما بعد الطلاق

على أن وقوع الطلاق لا يقطع حبل الزوجية قطعا باتا، لا سبيل إلى إصلاحه . كلا، فالطلاق – كما جاء في القرآن– يعطى لكل مطلق فرصتين للمراجعة وتدارك الأمر. فلا بد أن يكون الطلاق مرة بعد مرة. فإذا لم تجد المرتان كانت الثالثة هي الباتة القاطعة. فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره. ولهذا كان جمع الثلاث في لفظة واحدة ضد ما شرعه القرآن، وهذا ما أخذت به المحاكم الشرعية في كثير من البلاد العربية. وعلى كل حال فالطلاق لا يحرم المرأة من نفقتها، طوال مدة العدة، ولا يبيح للزوج إخراجها من بيت الزوجية، بل يفرض عليه أن تبقى في بيتها قريبة منه، لعل الحنين يعود، والقلوب تصفو، والبواعث تتجدد. والطلاق لا يبح للرجل أن يأكل على المرأة مهرها، أو يسترد منها ما أعطى من قبل: " ولا يحل لكم أن تأخذوا مما ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ (البقرة٢٢٩). كما أن لها حق المتعة بما يقرره العرف ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة :٢٤١) كما لا يحل للمطلق أن يشنع على زوجته أو يشيع عنها السوء أو يؤذيها في نفسها أو أهليها: " فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان" ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧) هذا هو الطلاق كما شرعه الإسلام. إنه العلاج الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، وبالقدر الذي ينبغي، وبالأسلوب الذي ينبغي ، للهدف الذي ينبغ. ولقد حرمت المسيحية الطلاق تحريماً باتاً عند الكاثوليك، وباستثناء علة الزنا عند الأورثوذكس. فكانت النتيجة أن خرج الكثيرون من المسيحيين على هذا التحريم ، مما اضطر معظم الدول المسيحية إلى سن قوانين وضعية، تبيح

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لهم الطلاق بغير قيود الإسلام والتزاماته وآدابه . فلا عجب أن صاروا يطلقون لأتفه الأسباب ، وأن صارت حياتهم الزوجية عرضة للانحلال والانهيار. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤٦، ٣٤٧).

لماذا جعل الطلاق بيد الرجل؟

ويقولون: لماذا جعل الطلاق بيد الرجل وحده؟ ونقول: إن الرجل هو رب الأسرة وعائلها، والمسئول الأول عنها، وهو الذي دفع المهر، وما بعد المهر، حتى قام بناء الأسرة على كاهله، ومن كان كذلك كان عزيزاً عليه أن يتحطم بناء الأسرة إلا لدوافع غلابة، وضرورات قاهرة، تجعله يضحي بكل تلك النفقات والخسائر من أجلها. ثم إن الرجل أبصر بالعواقب، وأكثر تريثاً، وأقل تأثراً من المرأة، فهو أولى أن تكون العقدة في يده، أما المرأة فهي سريعة التأثر، شديدة الانفعال، حارة العاطفة، فلو كان بيدها الطلاق لأسرعت به لأتفه الأسباب، وكلما نشب خلاف صغير. كما أنه ليس من المصلحة أن يفوض الطلاق إلى المحكمة، فليس كل أسباب الطلاق مما يجوز أن يذاع في المحاكم، يتناقله المحامون والكتاب ويصبح مضغة في الأفواه. على أن الغربيين قد جعلوا الطلاق عن طريق المحكمة ، فما قل الطلاق عندهم، ولا وقفت المحكمة في سبيل رجل أو امرأة يرغب في الطلاق. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤٧، ٣٤٨).

كيف تتخلص الزوجة الكارهة من زوجها؟

وهناك سؤال لكثير من الناس: إذا كان الطلاق بيد الرجل – كما عرفنا من أسباب ومبررات– فما الذي جعله الشرع بيد المرأة ؟ وما سبيلها إلى التخلص من نير الزوج إذا كرهت الحياة معه لغلظ طبعه، أو سوء خلقه، أو لتقصيره في حقوقها تقصيراً ظاهراً، أو لعجزه البدني أو المالي عن الوفاء بهذه الحقوق، أو لغير ذلك من الأسباب؟ والجواب: أن الشارع الحكيم جعل للمرأة عدة مخارج، تستطيع بأحدها التخلص من ورطتها:

١– اشتراطها في العقد أن يكون الطلاق بيدها ، فهذا جائز عند أبي حنيفة وأحمد . وفي الصحيح : " أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج ". (الألباني، ١٩٨٨: ١٨٧٢).

٢– الكارهة لزوجها لها أن تفدي نفسها منه بأن ترد عليه ما أخذت من صداق ونحوه.

٣– تفريق الحكمين عند الشقاق ، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء٣٥)، وتسمية القرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لهذا المجلس العائلي بـــ (الحكمين) يدل على أن لهما حق الحكم والفصل. وقد قال بعض الصحابة للحكمين: إن شئتما أن تجمعا فاجمعا، وان شئتما أن تفرقا ففرقا.

٤- التفريق للعيوب الجنسية .. فإذا كان في الرجل عيب يعجزه من الاتصال الجنسي، فللمـــرأة أن ترفع أمرها إلى القضاء، فيحكم بالتفريق بينهما ، دفعا للضرر عنها، إذ لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

٥- التطليق لمضارة الزوجة .. إذا ضار الزوج زوجته وآذاها وضيق عليها ظلما، كأن امتنع من الإنفاق عليها، فللمرأة أن تطلب من القاضي تطليقها، فيطلقها عليه جبراً، ليرفع الضرر والظلم عنها . قال تعالى : ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ (البقرة٢٣١)، وقال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة٢٢٩). ومن مضارتها: ضربها بغير حق. بل لقد ذهب بعض الأئمة إلى جواز التفريق بين المرأة وزوجها المعسر، إذا عجز عن النفقة، وطلبت هي ذلك، لأن الشرع لم يكلفها الصبر على الجوع مع زوج فقير، ما لم تقبل هي ذلك من باب الوفاء ومكارم الأخلاق. وبهذه المخارج فتح الإسلام للمرأة أبوابا عدة للتحرر من قسوة بعض الأزواج، وتسلطهم بغير حق .إن القوانين التي يضعها الرجال، لا يبعد أن تجور على حقوق النساء، أما القانون الذي يضعه خالق الرجل والمرأة وربهما، فلا جور فيه ولا محاباة، انه العدل كل العدل:﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة٥٠). (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤٨، ٣٥٠).

إساءة استخدام الطلاق

بقى أن نقول: إن كثيراً من المسلمين أساءوا استخدام الطلاق، ووضـــعوه فـــي غيـــر موضعه ، وشهروه سيفا مصلتاً على عنق الزوجة، واستعملوه يمينا يحلف به على ما عظم وما هان من الأشياء، وتوسع كثير من الفقهاء في إيقاع الطلاق ، حتى طلاق السكران والغـــضبان، بل المكره، مع أن الحديث يقول: عن صفية بنت شيبة قالت: حدثتني عائـــشة أن رســـول الله – صلى الله عليه وسلم – قال" لا طلاق ولا عتاق في إغلاق".(الألباني، ١٩٨٧: ١٦٦٥). ولكـــن الذي تدل عليه النصوص ومقاصد الشريعة السمحة في بناء الأســـرة والمحافظـــة عليهـــا هـــو التضييق في إيقاع الطلاق، فلا يقع إلا بلفظ معين، في وقت معين، بنية معينة. وهو الذي نـــدين الله به، وهو ما اتجه إليه الإمام البخاري، وبعض السلف، وأيده ابن تيمية وابـــن القـــيم ومـــن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وافقهما. وهو الذي يعبر عن روح الإسلام. أما سوء الفهم أو سوء التنفيذ لأحكام الإسلام، فهو مسئولية المسلمين، وليست مسؤولية الإسلام. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٥٠).

تعدد الزوجات

يتناول المبشرون والمستشرقون موضوع (تعدد الزوجات) وكأنه شعيرة من شعائر الإسلام، أو واجب من واجباته، أو على الأقل مستحب من مستحباته . وهذا ضلال أو تضليل، فالأصل الغالب في زواج المسلم: أن يتزوج الرجل بامرأة واحدة تكون سكن نفسه، وأنس قلبه، وربة بيته، وموضع سره، وبذلك ترفرف عليهما السكينة والمودة والرحمة، التي هي أركان الحياة الزوجية في نظر القرآن. ولذا قال العلماء : يكره لمن له زوجة تعفه وتكفيه أن يتزوج عليها، لما فيه من تعريض نفسه للمحرم ، قال تعالى: ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ (النساء: ١٢٩). أما من كان عاجزاً عن الإنفاق على الزوجة الثانية، أو كان يخشى من نفسه ألا يعدل بين زوجتيه فحرام عليه أن يقدم على الزواج من الأخرى ، قال تعالى : ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾ (النساء: ٣). وإذا كان الأفضل في الزواج أن يقتصر المرء على واحدة – اتقاء للمزالق وخشية من المتاعب في الدنيا والعقوبة في الآخرة . فإن هناك اعتبارات إنسانية : فردية واجتماعية سيتم ذكرها جعلت الإسلام يبيح للمسلم أن يتزوج بأكثر من واحدة؛ لأنه الدين الذي يوافق الفطرة السليمة، ويعالج الواقع الماثل، دون هرب ولا شطط، ولا إغراق في الخيال. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٤٨، ٣٥٠).

تعدد الزوجات بين الأمم القديمة والإسلام

يتحدث بعض الناس عن تعدد الزوجات وكأن الإسلام هو أول من شرعه. وهو جهل منهم أو تجاهل للتاريخ، فقد كان كثير من الأمم والملل – قبل الإسلام– يبيحون التزوج بالجم الغفير من النساء قد يبلغ العشرات، وقد يصل إلى المائة وأكثر ، دون اشتراط لشرط، ولا تقييد بقيد. وقد ذكر (العهد القديم) أن داود كان عنده ثلاثمائة امرأة، وأن سليمان كان عنده سبعمائة ما بين زوجة وسرية. فلما جاء الإسلام وضع لتعدد الزوجات قيداً وشرطاً . فأما القيد فجعل الحد الأقصى للزوجات أربعاً . عن وهب الأسدي "قال: أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال النبي– صلى الله عليه وسلم – اختر منهن أربعا" (الألباني، ١٩٨٨: ١٩٦٠). وكذلك من أسلم عن ثمان وعن خمس، أمره الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يمسك منهن إلا أربعا. أما زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع فكان هذا شيئا خصه الله به

This file was downloaded from QuranicThought.com

، لحاجة الدعوة في حياته ، وحاجة الأمة إليهن بعد وفاته ، وقد عاش جل حياته مع زوجة واحدة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٥١، ٣٥٢).

العدل شرط إباحة التعدد

وأما الشرط الذي اشترطه الإسلام لتعدد الزوجات، فهو ثقة المسلم في نفسه ، أن يعدل بين زوجتيه، في المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت والنفقة، فمن لم يثق في نفسه في القدرة على هذه الحقوق، بالعدل والتسوية، حرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣).قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء:١٢٩). والميل الذي حذر منه، هو الجور على حقوقها، لا مجرد الميل القلبي ، فإن هذا داخل في العدل الذي لا يستطاع، والذي عفا الله عنه وسامح في شأنه. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٥٢، ٣٥٣).

الحكمة في إباحة التعدد

إن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة التي ختم بها الرسالات، لهذا جاءت بشريعة عامة خالدة، تتسع للأقطار كلها، وللأعصار قاطبة، وللناس جميعا. إنه لا يشرع للحضري ويغفل البدوي، ولا للأقاليم الباردة وينسى الحارة، ولا لعصر خاص مهملاً بقية العصور والأجيال. إنه يقدر ضرورة الأفراد، وضرورة الجماعات. فمن الناس من يكون قوي الرغبة في النسل ، ولكنه رزق بزوجة لا تنجب لعقم أو مرض أو غيره، أفلا يكون أكرم لها، وأفضل له، أن يتزوج عليها من تحقق له رغبته، مع بقاء الأولى، وضمان حقوقها؟ ومن الرجال من يكون قوى الغريزة، ثائر الشهوة، ولكنه رزق بزوجة قليلة الرغبة في الرجال، أو ذات مرض، أو تطول عندها فترة الحيض أو نحو ذلك، والرجل لا يستطيع الصبر كثيراً على النساء، أفلا يباح له أن يتزوج بأخرى حليلة، بدلا من أن يبحث عن خليلة؟ أو بدلا من أن يطلق الأولى؟ وقد يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، وخاصة في أعقاب الحروب التي تلتهم صفوة الرجال والشباب، وهناك تكون مصلحة المجتمع، ومصلحة النساء أنفسهن في أن يكن ضرائر، بدلا من أن يعشن العمر كله عوانس محرومات من الحياة الزوجية ، وما فيها من سكون ومودة وإحصان ، ومن نعمة الأمومة، ونداء الفطرة في ثناياهن يدعو إليها. إنها إحدى طرائق ثلاث، أمام هؤلاء الزائدات عن عدد الرجال القادرين على الزواج:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
١- فإما أن يقضين العمر كله في مرارة الحرمان من حياة الزوجية والأمومة .
٢- وإما أن يرخى لهن العنان، ليعشن أدوات لهو لعبث الرجال المفسدين. وما يترتب على ذلك من إتيانهن بأطفال غير شرعيين (أولاد حرام)، وكثرة عدد اللقطاء المحرومين من الحقوق المادية والمعنوية، ليكونوا عالة على المجتمع، وأداة هدم فيه وإفساد.
٣- وإما أن يباح لهن الزواج برجل متزوج قادر على النفقة والإحصان. ولا ريب أن هذه الطريقة الأخيرة هي الحل العادل الأمثل، والبلسم الشافي. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٥٣،٣٥٤).

التعدد نظام أخلاقي إنساني

إن نظام التعدد - كما شرعه الإسلام- نظام أخلاقي إنساني ،أما أنه أخلاقي .. فلأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأي امرأة شاء، وفي أي وقت شاء. إنه لا يجوز له أن يتصل بأكثر من ثلاث نساء زيادة عن زوجته. ولا يجوز له أن يتصل بواحدة منهن سراً، بل لا بد من إجراء العقد وإعلانه ولو بين نفر محدود، ولا بد من أن يعلم أولياء المرأة بهذا الاتصال المشروع، ويوافقوا عليه، أو أن لا يبدوا عليه اعتراضا، ولا بد من تسجيله - بحسب التنظيم الحديث- في محكمة مخصصة لعقود الزواج. ويستحب أن يولم الرجل عليه، وأن يدعو لذلك أصدقاءه، وأن يضرب له الدفوف مبالغة في الفرح والإكرام. وأما أنه إنساني .. فلأنه يخفف الرجل به من أعباء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها، ونقلها إلى مصاف الزوجات المصونات المحصنات. ولأنه يدفع ثمن اتصاله الجنسي مهراً وأثاثاً. ونفقات تعادل فائدته الاجتماعية من بناء خلية اجتماعية تنتج للأمة نسلاً عاملاً. ولأنه لا يخلى بين المرأة التي اتصل بها وبين متاعب الحمل وأعبائه ، تحتمله وحدها بل يتحمل قسطاً من ذلك بما ينفقه عليها أثناء حملها وولادتها. ولأنه يعترف بالأولاد الذين أنجبهم هذا الاتصال الجنسي ، ويقدمهم للمجتمع ثمرة من ثمرات الحب الشريف الكريم ، يعتز هو بهم، وتعتز أمته في المستقبل بهم. إن نظام التعدد كما قال الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - يعدد الإنسان فيه شهوته إلى قدر محدود ، ولكنه يضاعف أعباءه ومتاعبه ومسئولياته إلى قدر غير محدود. لا جرم أن كان نظاماً أخلاقياً يحفظ الأخلاق، إنسانيا يشرف الإنسان. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٥٥).

تعدد الغربيين لا أخلاقي ولا إنساني

وأين هذا من التعدد الواقع في حياة الغربيين، حتى تحداهم أحد كتابهم أن يكون أحدهم وهو على فراش الموت يدلي باعترافاته للكاهن، بأنه اتصل بامرأة ولو مرة واحدة في حياته. إن هذا التعدد عند الغربيين واقع من غير قانون، بل واقع تحت سمع القانون وبصره. إنه لا يقع باسم الزوجات، ولكنه يقع باسم الصديقات والخليلات، إنه ليس مقتصراً على أربعة فحسب، بل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هو إلى ما لا نهاية له من العدد ،إنه لا يقع علناً تفرح به الأسرة، ولكن سراً لا يعرف به أحـد. إنه لا يلزم صاحبه بأية مسئولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهـن، بـل حسبه أن يلـوث شرفهن، ثم يتركهن للخزي والعار والفاقة وتحمل آلام الحمل والولادة غير المشروعة. إنـه لا يلزم صاحبه بالاعتراف بما نتج عن هذا الاتصال من أولاد، بل يعتبرون غير شرعيين، يحملون على جباههم خزي السفاح ما عاشوا، ولا يملكون أن يرفعوا بذلك رأسا. إنه تعدد قـانوني مـن غير أن يسمى تعدد الزوجات ، خال من كل تصرف أخلاقي، أو يقظـة وجدانيـة، أو شـعور إنساني، إنه تعدد تبعث عليه الشهوة والأنانية، ويفر من محمل كل مسئولية فأي النظامين ألصق بالأخلاق، وأكبح للشهوة، وأكرم للمرأة، وأدل على الرقي، وأبـر بالإنـسانية؟ (القرضـاوي، ١٩٧٨: ٣٥٦).

إساءة استخدام رخصة التعدد

ولا ننكر أن كثيراً من المسلمين أساءوا استخدام رخصة التعدد الذي شرعه الله لهم، كما رأيناهم أساءوا استخدام رخصة الطلاق. والعيب ليس عيب الحكم الشرعي، بل عيب التطبيـق له، الناشئ، من سوء الفهم، أو سوء الخلق والدين. لقد رأينا منهم من يعدد، وهو غير واثق من نفسه بالعدل الذي شرطه الله للزواج بأخرى، ومنهم من يعدد وهو غير قادر على النفقة اللازمة لزوجتين، وما قد يتبع ذلك من أولاد ومسؤوليات. وبعضهم يكون قادراً على الإنفاق، ولكنه غير قادر على الإحصان. وكثيراً ما أدى سوء استعمال هذا الحق إلى عواقب ضارة بالأسرة، نتيجة تدليل الزوجة الجديدة، وظلم الزوجة القديمة، التي ينتهي بها ميل الزوج عليها كل الميل، إلى أن يذرها كالمعلقة، التي لا هي مزوجة ولا مطلقة، وكثيراً ما أدى ذلك إلى تحاسـد الأولاد، وهـم أبناء أب واحد، لأنه لم يعدل بينهم في الحقوق، ولم يسو بينهم في التعامـل المـادي والأدبـي. ومهما يكن من انحراف البعض في هذا المجال ، فلن يبلغ السوء الذي هـبط إليـه الغربيـون، بتحريم التعدد الأخلاقي، وإباحة التعدد غير الأخلاقي. (على أن التعدد لم يعد مشكلة في أكثـر المجتمعات المسلمة، إذ الزواج بواحدة الآن غدا مـشكلة المـشكلات). (القرضـاوي، ١٩٧٨: ٣٥٧).

دعوة المتغربين لمنع التعدد

ومن المؤسف أن بعض دعاة التغريب في أوطاننا العربية والإسلامية، استغلوا ما وقـع من بعض المسلمين من انحراف، فقاموا يرفعون أصواتهم بإغلاق باب التعدد بالكلية، وأمـسوا وأصبحوا وهم يبدئون ويعيدون في الحديث عن مساوئ التعدد، في حين يصمتون صمت القبور عن مساوئ الزنا، الذي تبيحه – للأسف– القوانين الوضـعية التـي تحكـم ديـار المـسلمين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
اليوم!ولعبت أجهزة الإعلام – وبخاصة الأفلام والمسلسلات – دوراً خطيراً في التنفير من التعدد، لا سيما بين النساء، حتى إن بعضهن لترضى أن يسقط زوجها في كبيرة الزنا ولا يتزوج عليها! (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٥٨).

ما يستند إليه دعاة المنع

وقد نجح هؤلاء فعلاً في بعض البلاد العربية والإسلامية، فصدرت قوانين تحرم ما أحل الله من التعدد ، إتباعا لسنن الغرب .. ولا زال منهم من يحاول ذلك في بلاد أخرى. وأعجب شيء في هذه القضية: أن يراد تبريرها باسم الشرع ، وأن يحتجوا لها بأدلة تلبس لبوس الفقه! احتج هؤلاء بأن من حق ولي الأمر أن يمنع بعض المباحات جلباً لمصلحة أو درءاً لمفسدة . بل إن بعضهم حاول في جرأة وقحة أن يحتج بالقرآن على دعواه هذه ، فقالوا : إن القرآن اشترط لمن يتزوج بأكثر من واحدة أن يثق من نفسه بالعدل بين الزوجتين أو الزوجات ، فمن خاف ألا يعدل وجب أن يقتصر على واحدة . وذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء:٣) هذا هو شرط القرآن للتعدد: العدل. ولكن القرآن – في زعمهم – جاء في نفس السورة بآيه بينت أن العدل المشروط غير ممكن وغير مستطاع . وهى قوله سبحانه: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء:١٢٩) وبهذا نفت هذه الآية اللاحقة ما أثبتته الآية السابقة ! والحق أن هذه الاستدلالات كلها باطلة ولا تقف أمام النقد العلمي السليم وعرض لها القرضاوي واحداً واحداً. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٥٩).

الشريعة لا تبيح ما فيه مفسدة راجحة

١– أما القول بأن التعدد قد جر وراءه مفاسد ومضار أسرية واجتماعية فهو قول يتضمن مغالطة مكشوفة . ونقول ابتداء لهؤلاء المغالطين :

إن شريعة الإسلام لا يمكن أن تحل للناس شيئاً يضرهم، كما لا تحرم عليهم شيئاً ينفعهم، بل الثابت بالنص والاستقراء أنها لا تحل إلا الطيب النافع، ولا تحرم إلا الخبيث الضار. وهذا ما عبر عنه القرآن بأبلغ العبارات وأجمعها في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم كما بشرت به كتب أهل الكتاب، فهو: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧). فكل ما أباحته الشريعة فلا بد أن تكون منفعته خالصة أو راجحة، وكل ما حرمته الشريعة فلا بد أن تكون مضرته خالصة أو راجحة، وهذا واضح فيما ذكره القرآن عن الخمر والميسر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ العَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٩). وهذا هو ما راعته الشريعة في تعدد الزوجات فقد وازنت بين المصالح والمفاسد، والنافع والضار، ثم أذنت به لمن يحتاج إليه ، ويقدر عليه بشرط أن يكون واثقا من نفسه برعاية العدل، غير خائف عليها من الجور والميل: " فان خفتم ألا تعدلوا ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء:٣). فإذا كان من مصلحة الزوجة الأولى أن تبقى وحدها متربعة على عرش الزوجية لا ينازعها أحد، ورأت أنها ستتضرر بمزاحمة زوجة أخرى لها، فإن من مصلحة الزوج أن يتزوج بأخرى تحصنه من الحرام، أو تنجب له ذرية يتطلع إليها، أو غير ذلك. وان من مصلحة الزوجة الثانية كذلك أن يكون لها نصف زوج تحيا في ظله، وتعيش في كنفه وكفالته، بدل أن تعيش عانسا أو أرملة أو مطلقة محرومة طوال الحياة.وان من مصلحة المجتمع أن يصون رجاله، ويستر على بناته، بزواج حلال يتحمل فيه كل من الرجل والمرأة مسئوليته فيه، عن نفسه وصاحبه وما قد يرزقهما الله من ذرية، بدل ذلك التعدد الذي عرفه الغرب الذي أنكر على المسلمين تعدد الحليلات، وأباح هو تعدد الخليلات، وهو تعدد غير أخلاقي وغير إنساني، يستمتع فيه كلاهما بصاحبه دون أن يتحمل أية تبعة، ولو جاء، من هذه الصلة الخبيثة ولد، فهو نبات شيطاني لا أب له يضمه إليه، ولا أسرة تحنو عليه، ولا نسب يعتز به. فأي المضار أولى أن تجتنب؟ على أن الزوجة الأولى قد حفظت لها الشريعة حقها في المساواة بينها وبين ضرتها، في النفقة والسكنى والكسوة والمبيت، وهذا هو العدل الذي شرط للتعدد. صحيح أن بعض الأزواج لا يراعون العدل الذي فرضه الله عليهم ، ولكن سوء التطبيق لا يعني إلغاء المبدأ من أساسه، وإلا لألغيت الشريعة – بل الشرائع – كلها. ولكن توضع الضوابط اللازمة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٥٩، ٣٦٠).

حق ولي الأمر في منع المباحات

٢- وأما ما ادعاه هؤلاء من أن حق ولي الأمر منع بعض المباحات فنقول لهم: إن الذي أعطاه الشرع لولي الأمر هو حق تقييد بعض المباحات لمصلحة راجحة في بعض الأوقات أو بعض الأحوال، أو لبعض الناس، لا أن يمنعها منعاً عاماً مطلقاً مؤبداً. لأن المنع المطلق المؤبد أشبه بالتحريم الذي هو من حق الله تعالى، إن تقييد المباح مثل منع ذبح اللحم في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بعض الأيام تقليلاً للاستهلاك منه، كما حدث في عصر عمر رضي الله عنه، ومثل منع زراعة محصول معين بأكثر من مقدر محدد كالقطن في مصر، حتى لا يجور التوسع في زراعته على الحبوب والمحاصيل الغذائية التي يقوم عليها قوت الناس. ومثل منع كبار ضـباط الجـيش أو رجال السلك الدبلوماسي من الزواج بأجنبيات ، خشية تسرب أسرار الدولة، عن طريق النساء إلى جهات معادية. ومثل ذلك منع زواج الكتابيات إذا خيـف أن يحيـف ذلـك علـى البنـات المسلمات، وذلك في مجتمعات الأقليات الإسلامية الصغيرة والجاليات الإسلامية المحدودة العدد.

أما أن نجيء إلى شيء أحله الله تعالى وأذن فيه بصريح كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، واستقر عليه عمل الأمة مثل الطلاق أو تعدد الزوجات ، فنمنعه منعاً عاماً مطلقاً مؤبداً . فهـذا شيء غير مجرد تقييد المباح الذي ضربنا أمثلته.

معنى " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء " (النساء: ١٢٩)

وأما الاستدلال بالقرآن الكريم فهو استدلال مرفوض، وتحريف للكلم عن موضعه، وهو يحمل في طيه اتهاماً للنبي– صلى الله عليه وسلم – ولأصحابه – رضي الله – عنهم بأنهم لم يفهموا القرآن، أو فهموه وخالفوه متعمدين. والآية التي استدلوا بها هي نفسها ترد عليهم، لو تدبروها. فالله تعالى أذن في تعدد الزوجات بشرط الثقة بالعدل، ثم بين العدل المطلوب في نفس السورة حين قال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٢٩). فهذه الآية تبين أن العدل المطلق الكامل بين النساء غير مستطاع بمقتضى طبيعة البشر! لأن العدل الكامل يقتضي المساواة بينهن في كل شيء حتى في ميل القلب، وشهوة الجنس، وهذا ليس في يد الإنسان، فهو يحب واحدة أكثر من أخرى، ويميل إلى هذه أكثر من تلك، والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء. ولهذا قالت الآية الكريمة ، بعد قوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٢٩). ومفهوم الآية أن بعض الميل مغتفر وهو الميل العاطفي. والعجب العجاب أن تأخذ بعض البلاد العربية الإسلامية بتحريم تعدد الزوجات في حين أن تشريعاتها لا تحرم الزنا، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء٣٢). إلا في حالات معينة مثل الإكراه، أو الخيانة الزوجية إذا لم يتنازل الزوج. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٦٠، ٣٦٢).

المرأة باعتبارها أنثى

قدر الإسلام أنوثة المرأة ، واعتبرها – لهذا الوصف – عنصراً مكملاً للرجل، كما أنـه مكمل لها، فليس أحدهما خصماً للآخر، ولا نداً له ولا منافساً، بل عونا له على كمال شخـصه

This file was downloaded from QuranicThought.com

ونوعه. فقد اقتضت سنة الله في المخلوقات، أن يكون الازدواج من خصائصها فنرى الذكورة والأنوثة في عالم الإنسان والحيوان والنبات، ونرى الموجب والسالب في عالم الجمادات من الكهرباء، والمغناطيس وغيرها حتى الذرة، فيها الشحنة الكهربائية الموجبة، والشحنة السالبة (الإلكترون والبروتون) فالذكر والأنثى كالعلبة وغطائها ، والشيء ولازمه، لا غنى لأحدهما عن الآخر. ونستطيع أن نحدد موقف الإسلام من أنوثة المرأة فيما يلي:

١- إنه يحافظ على أنوثتها، حتى تظل ينبوعاً لعواطف الحنان والرقة والجمال، ولهذا أحل لها بعض ما حرم على الرجال، بما تقتضيه طبيعة الأنثى ووظيفتها، كالتحلي بالذهب، ولبس الحرير الخالص، كما أنه حرم عليها كل ما يجافي هذه الأنوثة، من التشبه بالرجال في الزي والحركة والسلوك وغيرها، فنهى أن تلبس المرأة لبسة الرجل، كما نهى الرجل أن يلبس لبسة المرأة، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال، مثلما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء

٢-وهو يحمي هذه الأنوثة ويرعى ضعفها، فيجعلها أبداً في ظل رجل، مكفولة النفقات ، مكفية الحاجات، فهي في كنف أبيها أو زوجها أو أولادها أو أخوتها، يجب عليهم نفقتها، وفق شريعة الإسلام، فلا تضطرها الحاجة إلى الخوض في لجج الحياة وصراعها ومزاحمة الرجال بالمناكب

٣- وهو يحافظ على خلقها وحيائها، ويحرص على سمعتها وكرامتها، ويصون عفافها من خواطر السوء، وألسنة السوء - فضلاً من أيدي السوء - أن تمتد إليها ولهذا يوجب الإسلام عليها:

أ- الغض من بصرها والمحافظة على عفتها ونظافتها

ب- الاحتشام والتستر في لباسها وزينتها دون إعنات لها. ولا تضييق عليها

ج- ألا تبدي زينتها الخفية - كالشعر والعنق والنحر والذراعين والساقين - إلا لزوجها ومحارمها الذين يشق عليها أن تستتر منهم استتارها من الأجانب

د- أن تتوقر في مشيتها وكلامها. والمرأة ليست ممنوعة من الكلام، بل هي مأمورة أن تقول قولاً معروفاً.

هـ- أن تتجنب كل ما يجذب انتباه الرجل إليها، ويغريه بها، من تبرج الجاهلية الأولى أو الأخيرة، فهذا ليس من خلق المرأة العفيفة .

و- أن تمتنع عن الخلوة بأي رجل ليس زوجها ولا محرماً لها، صوناً لنفسها ونفسه من هواجس الإثم ، ولسمعتها من ألسنة الزور.

ز- ألا تختلط بمجتمع الرجال الأجانب إلا لحاجة داعية، ومصلحة معتبرة، وبالقدر اللازم، كالصلاة في المسجد، وطلب العلم، والتعاون على البر والتقوى، بحيث لا تحرم المرأة من

This file was downloaded from QuranicThought.com

المشاركة في خدمة مجتمعها، ولا تنسى الحدود الشرعية في لقاء الرجـال. إن الإسـلام بهـذه الأحكام يحمي أنوثة المرأة من أنياب المفترسين من ناحية، ويحفظ عليها حياءها وعفافها بالبعد عن عوامل الانحراف والتضليل من ناحية ثانية، ويصون عرضها من ألسنة المفترين والمرجفين من ناحية ثالثة. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٦٤- ٣٦٨).

الاختلاط المشروع

دخلت معجمنا الحديث كلمات أصبح لها دلالات لم تكن لها من قبل. مـن ذلـك كلمـة (الاختلاط) بين الرجل والمرأة . فقد كانت المرأة المسلمة – في عصر النبوة وعصر الـصحابة والتابعين- تلقى الرجل، وكان الرجل يلقى المرأة، في مناسبات مختلفة، دينية ودنيوية، ولم يـك ذلك ممنوعاً بإطلاق، بل كان مشروعاً إذا وجدت أسبابه، وتوافرت ضوابطه، ولم يكونوا يسمون ذلك (اختلاطاً). ثم شاعت هذه الكلمة في العصر الحديث بما لها من إيحاء، ينفر منه حس المسلم والمسلمة؛ لأن خلط شيء بشيء يعني إذابته فيه ، كخلط الملح أو السكر بالماء.المهم أن يؤكـد هنا القرضاوي أن ليس كل اختلاط ممنوعاً، كما يتصور ذلك ويصوره دعاة التشديد والتضييق، وليس كذلك كل اختلاط مشروعاً، كما يروج لذلك دعاة التبعيـة والتغريـب. والـذي يـذكره القرضاوي هنا: أن الواجب علينا أن نلتزم بخير الهدي، وهو هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وهدي خلفائه الراشدين، وأصحابه المهديين، بعيداً عن نهج الغرب المتحلـل، ونهـج الـشرق المتشدد. والمتأمل في خير الهدي يرى أن المرأة لم تكن كما حدث ذلك فـي عـصور تخلـف المسلمين . فقد كانت امرأة تشهد الجماعة والجمعة ، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام يحثهن على أن يتخذن مكانهن في الصفوف الأخيرة خلف صـفوف الرجال، وكلما كان الصف أقرب إلى المؤخرة كان أفضل، خشية أن يظهر من عورات الرجال شيء، وكان أكثرهم لا يعرفون السراويل، ولم يكن بين الرجال والنساء أي حائل من بنـاء أو خشب أو نسيج، أو غير... وكان النساء يحضرن كذلك صلاة العيـدين، ويـشاركن فـي هـذا المهرجان الإسلامي الكبير، الذي يضم الكبار والصغار، والرجال والنساء، في الخلاء مهللـين مكبرين. وهذه سنة أماتها المسلمون في جل البلدان أو في كلها، إلا ما قام به مـؤخراً شـباب الصحوة الإسلامية الذي أحيوا بعض ما مات من السنن ، مثل سنة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وسنة شهود النساء صلاة العيد. وكان النساء يحضرن دروس العلم، مع الرجـال عند النبي صلى الله عليه وسلم، ويسألن عن أمر دينهن مما قد يستحي منه الكثيرات اليوم، حتى أثنت عائشة على نساء الأنصار، أنهن لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، فطالما سألن عـن الجنابة والاحتلام والاغتسال والحيض والاستحاضة ونحوها. وتجاوز هذا النشاط النسائي إلـى المشاركة في المجهود الحربي في خدمة الجيش والمجاهدين، بما يقدرن عليه ويحسن القيام به،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

من التمريض والإسعاف، ورعاية الجرحى والمصابين، بجوار الخدمات الأخرى من الطهي والسقي وإعداد ما يحتاج إليه المجاهدون من أشياء مدنية. فإذا شاع في بعض العصور حبس المرأة عن العلم، وعزلها عن الحياة، وتركها في البيت كأنها قطعة من أثاثه، لا يعلمها الزوج، ولا يتيح لها أن تتعلم – حتى إن الخروج إلى المسجد أصبح عليها محرماً – إذا شاعت هذه الصورة يوما فمنشؤها الجهل والغلو والانحراف عن هدي الإسلام، وإتباع تقاليد مبالغة في التزمت، لم يأذن بها الله، والإسلام ليس مسئولا عن هذه التقاليد المبتدعة بالأمس، كما أنه ليس مسئولا عن تقاليد أخرى مسرفة ابتدعت اليوم. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٦٨- ٣٧٠).

وكشف الغزالي في (تراثنا الفكري) عن تخوفه من سيطرة بعض الحركات الإسلامية في حال الوصول للحكم لأنهم لا يؤمنون بمبدأ التوسع في تعليم المرأة.

وتناول الغزالي بعض المتدينين باللوم والإنكار لأنهم لم يعرضوا سماحة الإسلام في قضايا المرأة بل هم من أسباب نفور الحركات النسائية من تعاليم الإسلام وفي نفس اللحظة انتقد الحركات النسائية لأنها هاجمت الدين لا المتدينين (الكندري وملك، ٢٠٠٣ : ١٣).

والمتأمل في القرآن الكريم وحديثه عن المرأة في مختلف العصور، وفي حياة الرسل والأنبياء لا يشعر بهذا الستار الحديدي الذي وضعه بعض الناس بين الرجل والمرأة. إن إمساك المرأة في البيت، وإبقاءها بين جدرانه الأربعة لا تخرج منه اعتبره القرآن – في مرحلة من مراحل تدرج التشريع قبل النص على حد الزنى المعروف – عقوبة بالغة لمن ترتكب الفاحشة من نساء المسلمين، وفي هذا يقول تعالى في سورة النساء : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥) وقد جعل الله لهن سبيلاً بعد ذلك حينما شرع الحد، وهو العقوبة المقدرة في الشرع حقاً لله تعالى ، وهي الجلد الذي جاء به القرآن لغير المحصن، والرجم الذي جاءت به السنة للمحصن. فكيف يستقيم في منطق القرآن والإسلام أن يجعل الحبس في البيت صفة ملازمة للمسلمة الملتزمة المحتشمة ، كأننا بهذا نعاقبها عقوبة دائمة وهي لم تقترف إثماً؟ والخلاصة: أن اللقاء بين الرجال والنساء في ذاته إذن ليس محرما، بل هو جائز أو مطلوب إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل، من علم نافع أو عمل صالح، أو مشروع خير، أو جهاد لازم، أو غير ذلك مما يتطلب جهوداً متضافرة من الجنسين، ويتطلب تعاونا مشتركا بينهما في التخطيط والتوجيه والتنفيذ. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٧١، ٣٧٢).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شبهات أنصار الاختلاط المفتوح

هذا هو موقف الإسلام، وتلك وجهته في علاقة الرجل بالمرأة، ولقائهما على البر والمعروف. وهو ما عبرنا عنه بـ (الاختلاط المشروع). ولكن الاستعمار الفكري صنع في بلادنا قوماً يصمون آذانهم عن حكم الله ورسوله، ويدعوننا إلى أن ندع للمرأة حبلها على غاربها ، حتى تثبت وجودها ، وتبرز شخصيتها، وتستمتع بحياتها وأنوثتها! تختلط بالرجل بلا تحفظ، وتخبره عن كثب، فتخلو به، وتسافر معه، وتصحبه إلى السينما وتسهر معه إلى منتصف الليل، وتراقصه على نغمات الموسيقى، وتعرف في تجوالها – بالتجربة لا بالسماع – الرجل الذي يصلح لها وتصلح له، من بين من عرفتهم من الأصدقاء والمعجبين، وبهذا تستقر الحياة الزوجية، وتصمد في وجه العواصف والأعاصير! ويقول هؤلاء الذين يزعمون أنهم ملائكة مطهرون: لا تخافوا على المرأة ولا على الرجل من هذا الاتصال المهذب، والصداقة البريئة، واللقاء الشريف، فإن صوت الشهوة – لكثرة التلاقي– سيخفت، وحدتها ستفتر، وجذوتها ستخبو، ويجد كل من الذكر والأنثى لذته في مجرد اللقاء والاستمتاع بالنظر والحديث، فإن زاد على ذلك فمراقصة، هي ضرب من التعبير الفني الرفيع! أما المتعة الحسية فلن يصبح لها مكان، إنه التصريف النظيف للطاقة لا غير وكذلك يفعل الغربيون المتقدمون بعد أن فكوا عقدة الكبت والحرمان.(القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٧٤، ٣٦٥).

الرد على أنصار الاختلاط المفتوح

ويرد القرضاوي على هذه الدعوى من جهتين:

أولاً: إننا مسلمون قبل كل شيء، ولا نبيع ديننا إتباعا لهوى الغربيين أو الشرقيين، وديننا يحرم علينا هذا الاختلاط بتبرجه وفتنته وإغوائه.

ثانياً: إن الغرب الذي يقتدون به يشكو اليوم من آثار هذا التحرر أو التحلل، الذي أفسد بناته وبنيه، وأصبح يهدد حضارته بالخراب والانهيار، ففي أمريكا والسويد وغيرهما من بلاد الحرية الجنسية ، أثبتت الإحصاءات أن السعار الشهواني لم ينطفئ بحرية اللقاء والحديث، ولا بما بعد اللقاء والحديث، بل صار الناس كلما ازدادوا منه عباً، ازدادوا عطشاً. وعلينا أن نبحث: ماذا كان أثر هذا التحرر أو التطور، أو التحلل من الفضائل والتقاليد، في المجتمعات الغربية المتحضرة؟ (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٧٦، ٣٧٧).

المرأة باعتبارها عضواً في المجتمع

يشيع بعض المغرضين أن الإسلام حكم على المرأة بالسجن داخل البيت، فلا تخرج منه إلا إلى القبر! فهل لهذا الحكم سند صحيح من القرآن والسنة؟ ومن تاريخ المسلمات في القرون

This file was downloaded from QuranicThought.com

الثلاثة الأولى، التي هي خير القرون ؟فالقرآن يجعل الرجل والمرأة شريكين، في تحمل أعظم المسؤوليات في الحياة الإسلامية ، وهي مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١). إن طبيعة الإسلام هي التوازن المقسط ، في كل ما يشرعه ويدعو إليه من أحكام وآداب ، فهو لا يعطي شيئا ليحرم آخر، ولا يضخم ناحية على حساب أخرى، ولا يسرف في إعطاء الحقوق، ولا في طلب الواجبات. ولهذا لم يكن من هم الإسلام تدليل المرأة على حساب الرجل، ولا ظلمها من أجله، ولم يكن همه إرضاء نزواتها على حساب رسالتها، ولا إرضاء الرجل على حساب كرامتها، وإنما نجد أن موقف الإسلام تجاه المرأة يتمثل فيما يلي:

أ- إنه يحافظ على طبيعتها وأنوثتها التي فطرها الله عليها ويحرسها من أنياب المفترسين الذين يريدون التهامها حراما، ومن جشع المستغلين الذين يريدون أن يتخذوا من أنوثتها، أداة للتجارة والربح الحرام.

ب- إنه يحترم وظيفتها السامية التي تهيأت لها بفطرتها، واختارها لها خالقها، الذي خصها بنصيب أوفر من نصيب الرجل، في جانب الحنان والعاطفة ، ورقة الإحساس، وسرعة الانفعال، ليعدها بذلك لرسالة الأمومة الحانية، التي تشرف على أعظم صناعة في الأمة، وهي صناعة أجيال الغد.

ج- إنه يعتبر البيت مملكة المرأة العظيمة، هي ربته ومديرته وقطب رحاه، فهي زوجة الرجل، وشريكة حياته، ومؤنس وحدته، وأم أولاده، وهو يعد عمل المرأة في تدبير البيت، ورعاية شؤون الزوج، وحسن تربية الأولاد، عبادةً وجهاداً، ولهذا يقاوم كل مذهب أو نظام يعوقها عن رسالتها، أو يضر بحسن أدائها لها، أو يخرب عليها عشها. إن كل مذهب أو نظام يحاول إجلاء المرأة عن مملكتها، ويخطفها من زوجها ، وينتزعها من فلذات أكبادها – باسم الحرية، أو العمل، أو الفن، أو غير ذلك – هو في الحقيقة عدو للمرأة ، يريد أن يسلبها كل شيء، ولا يعطيها لقاء ذلك شيئا يذكر فلا غرو أن يرفضه الإسلام.

د- إنه يريد أن يبني البيوت السعيدة، التي هي أساس المجتمع السعيد. والبيوت السعيدة إنما تبنى على الثقة واليقين، لا على الشك والريبة، والأسرة التي قوامها زوجان يتبادلان الشكوك والمخاوف، أسرة مبنية على شفير هار، والحياة في داخلها جحيم لا يطاق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

هـ- إنه يأذن لها أن تعمل خارج البيت فيما يلائمها من الأعمال التي تناسب طبيعتها واختصاصها وقدراتها، ولا يسحق أنوثتها ، فعملها مشروع في حدود وبشروط. وخصوصاً عندما تكون هي أو أسرتها في حاجة إلى العمل الخارجي، أو يكون المجتمع نفسه في حاجة إلى عملها خاصة. وليست الحاجة إلى العمل محصورة في الناحية المادية فحسب، فقد تكون حاجة نفسية ، كحاجة المتعلمة المتخصصة التي لم تتزوج، والمتزوجة التي لم تنجب، والشعور بالفراغ الطويل، والملل القاتل. (القرضاوي، ١٩٧٨: ٣٨٢- ٣٨٥).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السابع

التغير الثقافي والاجتماعي في ضوء كتابات الشيخ القرضاوي

- **مفهوم التغيير الاجتماعي والثقافي**
  - **معالم التغيير الاجتماعي والثقافي**
- من الناحية التربوية والثقافية
- في الناحية الاجتماعية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التغير الثقافي والاجتماعي في ضوء كتابات الشيخ القرضاوي

هناك ضرورة لتحديث البنية الثقافية والاجتماعية، كي يكون هناك انسجام مع تحديات العالم الحديث، بحيث أصبح التغيير الثقافي والاجتماعي مطلبًا للنهوض الحضاري الشامل للمجتمع الإسلامي، ويرصد الشيخ القرضاوي من خلال كتاباته، معالم واسعة في نقد الثقافة المعاصرة واستعراض آفاق تطويرها، بحيث تمنح من خلالها فعالية اجتماعية تتوافق وعمق الهوية الإسلامية، التي تمثل مصدر قوته وقدرته على مغالبة القوى المتربصة به.

مفهوم التغيير الثقافي والاجتماعي

يقصد بالتغيير " التبديل من حال إلي حال غير الأولي وهو بذلك حركة قد تكون إلي الخير وقد تكون إلي الشر ".

والثقافة لغة: ثقف ثقفا وثقافا وسقوفه حذق ورجل ثَقف وثِقف وثقف حاذق وفهم ويقول ابن دريد ثقفت الشئ حذقته وثقفته ظفرت به قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال:٥٧) والتثقيف التهذيب والتشذيب والحذق والتقويم والفطانة (ابن منظور، ٤٩٢).

واصطلاحا:كل ما اكتسبه الانسان من خلال تفاعله مع الاخرين واكتسابها عملية عقلية تقوم على التعليم والتعلم وبالتالي فهي تراكمية تنتقل من جيل الى جيل. (حلس، ٢٠٠٧: ٩٧٥)

ويمكن تعريف التغيير الاجتماعي والثقافي بأنه عبارة عن " إحداث تحولات علي بنية ووظائف الأنظمة الاجتماعية والثقافية بدون إصدار أي أحكام قيمية عليها "فالتغير الاجتماعي تحولات تحدث في النظام الاجتماعي ،أي في بناء ووظائف المجتمع المتعددة والمختلفة ، بينما يحدث التغيير الثقافي في كل فروع الثقافة– المعرفة أو المعتقدات والقيم والأخلاق والفني والعرف والعادات التي حصل عليها الإنسان لكونه في مجتمع وأيا كان الأمر فانه ليس بالإمكان الفصل بين عناصر التغيير الاجتماعي والثقافي فإذا حدث تغير في واحد منهما، استدعي ذلك – غالبا – تغيرا في الأخر. (أبو دف، ٢٠٠٦: ٨٨).

معالم التغيير الثقافي والاجتماعي

يرى القرضاوي أنه عندما ينادى بالتغيير علاجاً لمشكلاتنا المعاصرة، يتبادر إلى كثير من الأذهان صورة قاصرة تتمثل في القوانين والتشريعات الإسلامية لا غير. فالتغيير في نظر الكثيرين يتمثل في قطع يد السارق، وجلد الزاني أو رجمه، وجلد شارب الخمر، والقصاص من القتلة، وتطبيق أحكام الشريعة في إقامة الحدود فقط أو في سائر شئون المعاملات أيضا. ولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

ريب أن هذه الأحكام كما يرى القرضاوي أو القوانين جزء أصيل من التغيير لا بـد منـه، ولا غنى عنه يكفر من جحده، ويفسق من أهمله، ولكنها – مع ذلك – ليست كل التغيير فهذا التصور للتغيير جزئي وناقص وقاصر. إن معنى التغيير أن يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمـع من كل الميادين وكل المجالات مادية ومعنوية. إن معنى التغيير أن تكـون عقيـدة المجتمـع إسلامية، ومفاهيمه وأفكاره إسلامية، ومشاعره ونزعاته إسلامية، وأخلاقه وتربيتـه إسـلامية، وتقاليده إسلامية، وأخيراً أن تكون قوانينه وتشريعاته إسلامية. وبعبارة أخرى: التغيير هو الذي يبرز به (المجتمع الإسلامي) إلى حيز الوجود بكل مقوماته ودعائمه وبكل خصائصه ومميزاته، دون إهدار لشيء منها. (القرضاوي،١٩٧٣: ٤٥)

في الناحية التربوية والثقافية

كرم الله الإنسان بالعقل، والقدرة على التعلم وجعل العلم من مرشـحات خلافتـه فـي الأرض لهذا جاء الإسلام يحض على النظر والتفكير، ويحذر من التقليد والجمود، حتى جعـل التفكير والتعليم فريضتين إسلاميتين، وأشاد بالعلم وأهله حتى جعل العلماء ورثة الأنبياء، وجعل طريق العلم طريقا إلى الجنة، وجعل من فروض الكفاية على الأمة أن يتخصص عدد كاف من أبنائها في كل علم نافع تحتاج إليه في دنياها أو دينها. ومن هذا المنطلق يجب أن يقـوم البنـاء التربوي والثقافي على الأسس التالية:

أولا: أن يكون التعليم لجميع الأطفال ذكورا وإناثا – في سن التعليم – إلزاميا. وأن تزال كل المعوقات من طريقه، وتهيأ كل الوسائل لتيسيره. فإن القيام بأعباء الدين والحياة في هذا العصر لا يتم إلا بحظ معقول من التعليم، ولو كان هو الحد الأدنى وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وهذا هو اللائق بأمه، طلب العلم فيها فريضة، وأول آية نزلت في كتابها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١).

ثانيا: وضع خطة مدروسة لمحو الأمية المنتشرة، إقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم – الـذي بدأ منذ السنة الثانية من الهجرة في معركة بدر بمحو الأمية، ويعمل على نشر الكتابة.

ثالثا: تنويع التعليم بحيث بشمل كافة المجالات النظرية والعملية، الدينيـة والدنيويـة، الأدبيـة و"التكنولوجية"، بحيث يفسح المجال للنبوغ والعبقريـة أن تبلـغ أعلـى مـستويات الدراسـة والتخصص، دون عائق مادي أو معنوي. (القرضاوي، ١٩٧٣: ٥١، ٥٢)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رابعاً: أن يكون الإسلام مادة دراسية أساسية في جميع المراحل، من المرحلة الأولى إلى الجامعة، في جميع أنواع التعليم: العام والفني، المدني والعسكري، على أن يكون أساس هذه المادة: القرآن والسنة، وأن يرجع في فهمها إلى هدى السلف المتقدمين، لا إلى تعقيدات المتأخرين، وأن توجه العناية فيها إلى المبادئ والأصول قبل التفريعات والتفصيلات، وأن تعط كل مرحلة تعليمية من هذه الدراسة ما يلائمها سعة وعمقاً، وعلى هذا الأساس يراعى ما يلي:

أ- تعرض العقيدة – في ضوء القرآن والسنة الصحيحة – في يسر وبساطة بعيداً عن تقعرات المتكلمين.

ب- يعرض الفقه كذلك بعيداً عن اختلاف المذاهب، مع بيان الدليل وحكمة التشريع، وربطه بالحياة.

ج- تعرض الأخلاق كذلك بعيداً عن غلو المتصوفة وتعقيد الفلاسفة.

د- يعنى بالسيرة النبوية وسير الصحابة ورجالات الأمة الإسلامية من القادة والعلماء والصالحين.

هـ- يجب أن تعنى كليات التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ونحوها بالتعمق في دراسة "الاقتصاد الإسلامي" أساس الدراسة في كليات الحقوق.

خامساً: إعادة النظر في مناهج التعليم في كل المراحل، وفي شتى المواد، بحيث تنقى من الأفكار اللادينية، والأفكار التبشيرية، والمفاهيم الدخيلة على أمة الإسلام بصفة عامة... لما تحتوي عليه من كثير من الأفكار المناوئة للإسلام... حتى مناهج العلوم الكونية لا تخلو نفسها من سموم فكرية، وتوجيه عناية خاصة إلى العلوم الإنسانية: (التاريخ، وعلوم النفس، والتربية، والاجتماع، والاقتصاد، ونحوها) ولا بد أن تصبغ هذه المناهج كلها بالصبغة الإسلامية وتشبع بالروح الإسلامية، بغير تزمت ولا تكلف، كما يجب أن تعمل هذه المناهج على تكوين العقلية العلمية، والروح العملية، والنفس الإيجابية، والشخصية المتميزة التي لا تحيا مقلدة ولا إمعة.

سادساً: تأليف كتب تستجيب لهذه المناهج في محتواها وأسلوبها وطريقة عرضها، بحيث تغرس العلم والأيمان والأخلاق جميع في نفس الناشئة، وتخاطبهم باللغة التي يقدرون على فهمها.

سابعاً: إعداد معلمين صالحين قادرين على تحويل المنهج الصالح، والكتاب الملائم، إلى واقع ملموس، يتمثل في بشر يفهمون ويهضمون ويتذوقون ويعملون وفقاً لما تعلموه وذلك بما لديهم من كفاية ومقدرة فنية، وما يحملون في صدورهم من ضمائر مؤمنة، فهم في الحقيقة معلمون

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومربون ودعاة في الوقت ذاته. ويتبع ذلك إبعاد كل فاسد الفكر أو الضمير عن مجـال التربيـة والتعليم.

ثامناً: وقبل كل ما ذكرنا، يجب أن تتضح لدينا غاية التربية وفلسفتها، أعني أن تكـون فلسفة التربية قائمة على هدف واضح منذ البداية، فلسنا نريد تربية الإنسان الثوري أو اليسـاري، ولا الإنسان الرجعي أو اليميني، ولا الإنسان الطبقي أو البروليتـاري، ولا الإنسـان الليبرالـي أو الاشتراكي، ولا الإنسان العربي أو الإقليمي، ولا الإنسان القديم أو الجديد، إنما تقوم التربية على تكوين "الإنسان الصالح" وكفى. (القرضاوي، ١٩٧٣: ٥٣، ٥٤) .

تاسعاً: يجب أن توضع للبلاد الإسلامية خطة لنظام ثقافي إسلامي، يبنى على الأسس التالية :
١- وضع نظام ثقافي إسلامي موحد غير مزدوج الروح والمصدر ، بحيث ينشئ عقلية واحدة لكل أبناء الأمة ، هي العقلية الإسلامية ، فلا ينقسم أبناء المجتمع المسلم بين تعليم قديم وتعلـيم حديث ، بين تعليم ديني وتعليم مدني . وإنما هناك تعليم واحد هو التعليم الإسلامي.

٢- صبغ التعليم في جميع درجاته وأنواعه، بالصبغة الإسلامية، أي أن يكون الجو العام للثقافة والتعليم هو جو العقيدة الإسلامية والمفاهيم الإسلامية.

٣- إحداث وعي إسلامي عام بحيث يكون هذا الوعي – العقلي والنفسي – وعيا لمبادئ الإسلام وتعاليمه، وقضايا الإسلام الكبرى في العصر الحاضر، ووعيا لوحدة العالم ومصادر قوته، وما يجابهه من أخطار. (القرضاوي،١٩٧٣: ٥٥) .

٤- الوقوف أمام الأنظمة الثقافية الأخرى التي غزت العالم الإسلامي من ليبراليـة ديمقراطيـة غربية، ومن اشتراكية ماركسية شرقية . (القرضاوي، ١٩٧٣ : ٥٥). ومقاومة الغزو الثقـافي الوافد من الشرق والغرب ومقارعته وذلك لا يكون إلا بالعلم. (القيق، ٢٠٠٦ :٨١).

٥- وصل ما بين الدين والحياة بعرض المشكلات الحاضرة- على اخـتلاف أنواعهـا- علـى أساس الإسلام ونظرته، وسد حاجات المجتمع الإسلامي عن طريق التعليم بمختلف تخصـصاته ودرجاته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٦- اختيار الطرق والأساليب الصالحة المناسبة لتعليم الدين وإدخاله في النفوس، فيراعى في ذلك السنن والمستوى العقلي مع العناية بالأصول والمبادئ وتقديم القضايا الهامة، والعودة إلى القرآن والسنة، ووصل ما بينهما وبين الآراء الفقهية. (القرضاوي،١٩٧٣: ٥٦). وتولي التربية الحديثة الوسائل التعليمية اهتماما كبيرا، لما لها من دور في إكساب المعرفة وتوصيلها للمتعلمين (القاضي، ٢٠٠٣: ١٣٩).

عاشراً: وضع خطة لعمل موسوعات إسلامية عامة وخاصة، في مستوى الموسوعات العصرية العالمية ، لخدمة الثقافة الإسلامية في مختلف جوانبها، ومن ذلك:

أ – موسوعة إسلامية عامة ، يكتبها علماء مسلمون من شتى ديار الإسلام وفي مختلف التخصصات المتعلقة بالمعارف الإسلامية على غرار دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها المستشرقون، مع تلافي ما فيها من قصور أو تقصير أو تحامل.

ب- موسوعة للحديث النبوي : تشمل صحاح الحديث وحسانه ، مما ثبت سنده، وسلم متنه من الشذوذ والعلة، مع تبويب جديد وفهرسة حديثة، ومع شرح مركز، يعين على فهم كنوز السنة وأسرارها، وبهذا يستريح الناس من التعلق بالأحاديث الموضوعة والواهية التي طالما أفسدت العقول وكدرت منابع ثقافتنا. ويتبع ذلك موسوعة لرجال الحديث تضم شتات ما تفرق في كتب الرجال وتيسر للباحثين التحقيق والتمحيص.

ج- موسوعة للفقه الإسلامي: تعرض الفقه الإسلامي في مختلف مذاهبه وأقواله المتبوعة اليوم وغير المتبوعة، مع بيان مآخذها وأدلتها من الكتاب والسنة والاعتبارات الشرعية الأخرى، كما تعرض لأصول الفقه وتاريخ الفقه وتطوره وتعرض كذلك لكل جديد أصيل من بحوث المعاصرين مع بيان معاصرته، مرتبة على أحدث الأساليب العلمية في كتابة الموسوعات، ليسهل على كل باحث الانتفاع بها وبخاصة مع حسن الطباعة والإخراج والفهرسة. وقد بدأت في ذلك محاولة في دمشق انتقلت إلى مصر والكويت، وخرج من كل منهما أجزاء نافعة، وإن لم تخل من ملاحظات عليها ، ولابد من تجميع الجهود لإخراج موسوعة واحدة شامله، تليق بمكانة الفقه الإسلامي.

د- موسوعة للتاريخ الإسلامي: وتاريخ الإسلام يبدأ بالسيرة النبوية، فعصر الخلفاء الراشدين، فمن بعدهم. وهذا التاريخ في حاجة إلى أن تعاد كتابته في ضوء منهاج جديد ، يحسن تقويم المصدر وتحقيق الأسانيد، وتحليل الحوادث والشخصيات، مستفيدا من كتابات المستشرقين لا معولاً عليها، على أن يعنى هذا التاريخ بالشعوب عنايته بالملوك والحكام، وأن يهتم بالعلماء والصالحين، عنايته بالقادة والفاتحين، وأن يوجه همه للدين والفكر، كما يوجهه للحرب والسياسة. وأن يكون محور الكتابة هو الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة ونظام حياة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

حادي عشر: وضع كتب إسلامية ملائمة لروح العصر، ذات مستوى رفيع، صـــالحة للترجمـــة للغات العالم الإسلامي، وللغات الحية، على أن تمتاز بسلامة المادة، وبوضوح الفكرة وجمـــال العرض، وبلاغة الأسلوب، والبعد عن الحشو والفضول. وذلك عن طريق التكليف أو المسابقة، على أن تقرها لجنة من كبار المختصين، المرموقين في العالم الإسلامي.

ثاني عشر: إنشاء مجامع علمية لخدمة الثقافة الإسلامية على مستوى العالم الإسلامي كله، وفي مقدمتها: (مجتمع الفقه الإسلامي) يعنى بالدراسات الفقهية، ويعمل على إبراز التراث وتحقيقـــه وتطويره ويشرف على الموسوعة المنشودة ، كما يقدم مشروعات لتقنين الفقه الإســـلامي مـــن مذاهبه المختلفة، بعد الموازنة والتمحيص ، لاختيار ما هو أرجح وأليق من مقاصد الـــشريعة، وأوفق بتحقيق المصالح التي هي مناط التشريع. ويصدر حكمه في القضايا الجديدة التي تحتـــاج إلى اجتهاد جماعي من رجال غير مغمورين في علمهم ولا تقواهم.

ثالث عشر: التخطيط لإنتاج أدبي متكامل، يشترك فيه المفكرون والعلماء والأدباء والشعراء وكل من له إسهام في الجانب الفني وذلك لتغذية أجهزة الإعلام والتوجيه – مـــن إذاعـــة وتلفزيـــون ومسرح و صحافة وخيالة وغيرها – بالأصيل والجاد من القصص والمـــسرحيات والتمثيليـــات وغيرها من البرامج المتنوعة، وبخاصة تلك التي تتعلق بالإسلام ودعوته وكتابه ونبيه وتاريخه ورجاله وحضارته، لإعطاء صورة صحيحة ومشرقة عـــن الرســـالة الإســـلامية، والبطولـــة الإسلامية، والحضارة الإسلامية، والروح الإسلامية، بحيث يلتقي في رسم هذه الصورة الصدق التاريخي والجمال الفني. (القرضاوي، ١٩٧٣: ٥٦، ٥٧، ٥٨).

في الناحية الاجتماعية

ويشير الشيخ القرضاوي (١٩٧٣: ٥٩) أن الإسلام دين اجتماعي، فهو يسعى إلى إنشاء المجتمع الصالح، سعيه إلى تكوين الفرد الصالح، بل يرى أن إصلاح المجتمع لازم لإصلاح الفرد، لزوم التربة الخصبة لإنبات البذرة ونحوها. لا يتصور الإسلام الفرد المسلم إنسانا منعزلا في خلوة، أو راهبا في صومعة، بل يتصوره دائما في جماعة، حتى عبادته لربه، فقد دعاه إلى أن تكون في صورة جماعية، ومن هنا نشأت المساجد في الإسلام وتأكدت أهميتها. ولو تخلف المسلم عن الجماعة وصلى وحده، فإن روح الجماعة تظل متمثلة في ضميره، جارية على

This file was downloaded from QuranicThought.com

لسانه حين يناجي ربه، قارئا داعيا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)﴾. (الفاتحة:٥)

ويعنى الإسلام أكبر العناية بالأسرة، حتى تقوم على أسس متينة، وتستمر في أداء رسالتها، بعيدة عن الهزات والقلاقل، فهي المدرسة الأولى التي يتخرج من رحابها الأبناء الصالحون، والبنات الصالحات. وإنشاؤها من أفضل الأعمال المقربة إلى الله، وتهديمها من أقبح الذنوب البغيضة إلى الله، حتى عد القرآن من أعمال السحرة الكفرة "التفريق بين المرء وزوجه". وعني الإسلام بالمرأة خاصة، فكرمها بنتاً، وكرمها زوجة، وكرمها أماً، وكرمها إنسانا، وعضوا في مجتمع، وتحدث عن المسلمات والمؤمنات حديثه عن المسلمين والمؤمنين، ليعلم الجميع أن النساء شقائق الرجال ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥) وعني بتربية الأطفال ورعاية الشباب، لأنهم أسلم فطراً وأقرب إلى نصرة الحق ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣) فلا عجب في أن يعنى الحل الإسلامي بالنواحي الاجتماعية، ويوليها اهتماماً يليق بها. والشيخ القرضاوي ينبه في هذا الجانب على النقاط التالية:

١- الاهتمام بشأن المرأة المسلمة بحيث تعود إلى فطرتها الأصيلة، ورسالتها الجليلة، فتاة مهذبة، وزوجة صالحة وأما فاضلة تعنى بالبيت قبل الشارع، وبالمخبر قبل المظهر، وبأداء الواجبات قبل طلب الحقوق، وباللين قبل الطين، ومقاومة التقليد الأعمى للمرأة الغربية التي تمردت على فطرتها ومهمتها الأساسية في الحياة، وخرجت من مملكتها تزاحم الرجال، فلا هي صارت رجلاً ولا بقيت امرأة! (القرضاوي، ١٩٧٣: ٦١).

٢- العناية بالطفولة: الطفل: هو عالم من المجاهيل المعقدة كعالم البحار الواسع الذي كلما خاضه الباحثون، كلما وجدوا فيه كنوزاً وحقائق علمية جديدة. لا زالت مختفية عنهم وذلك لضعف وضيق إدراكهم المحدود من جهة، واتساع نطاق هذا العالم من جهة أخرى. (احمد، ١٩٨٩: ١٨١). فيجب العناية به صحياً ونفسياً ودينياً، ومعونة كل أسرة عاجزة عن رعاية كاملة، والعمل على إيواء المشردين، بحيث لا يوجد"ابن سبيل" إلا ويصبح ابن بيت، وأن تهيأ لهم سبل التعلم والرياضة والفروسية، ومنع تشغيل الأطفال الذين لا تبلغ أعمارهم اثنى عشر عاماً، ليتاح لهم حق التعلم والتمتع بالطفولة المرحة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٣- العناية بالشباب الذين هم عدة الحاضر، وذخيرة المستقبل، والعمل على إعدادهم إعدادا متكاملاً: بدنياً بالرياضة، وروحياً بالعبادة، وعقلياً بالثقافة، وخلقياً بالفضيلة، وعسكرياً بالخشونة، واجتماعياً بالخدمة العامة.

٤- مقاومة موجة التخنث والتقليد الأعمى الذي أفقد الشباب المسلم شخصيته في زيه ومظهره، وفي سلوكه ومخبره، بحيث يتوارى من المجتمع أولئك المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال.

٥- منع الاختلاط المثير بين الجنسين في مجالات التعليم والعمل والترفيه، إلا ما اقتضته الضرورة، فيقدر بقدرها، مع مراعاة الأدب والاحتشام..وتشديد النكير على استغلال أنوثة المرأة في القيام ببعض الأعمال التي هي أليق بطبيعة الرجال.

٦- مقاومة التقاليد الدخيلة الوافدة مع الاستعمار، من مساخر "الأزياء" وبدع "الموضات" ومظاهر التعري والتبذل وتبرج الجاهلية، وتهتك الإباحية، ونشر الآداب والتقاليد الإسلامية العريقة، التي لا تسمح بظهور الكاسيات العاريات المائلات المميلات.. وتطهير المجتمع من أسباب الإغراء، ودواعي الإثارة، ووسائل التحريض على الفتنة.

٧- تشجيع الزواج المبكر، وتهيئة الأسباب المعينة عليه، والتغلب على التقاليد الاقتصادية والاجتماعية التي تعوقه، من غلاء المهور، والغلو في التأثيث والإسراف في متطلبات الأعراس، والاستجابة لتعقيدات العادات مثل وجوب الاستقلال الاقتصادي لكل متزوج...إلى آخر ما عقده الناس وعسروه على أنفسهم، فعسر الله عليهم. (القرضاوي، ١٩٧٣: ٦١، ٦٢) .

٨- إعطاء عناية بالغة لدراسة أسباب كثرة الطلاق، للعمل على تضييق نطاقه، واعتباره عملية جراحية أليمة لا يلجأ إليها إلا للحاجة الملحة، تفادياً لما هو أكبر منها، واتخاذ ما أمر به القرآن من التحكيم " حكما من أهله وحكما من أهلها" عند خوف الشقاق، رأبا للصدع، ومداواة للجرح قبل استفحاله.

٩- الارتقاء بالفن بشتى أنواعه، وفي مختلف مجالاته، بحيث يؤدي رسالته في خدمة أهداف الأمة وقيمها العليا، بالتوجيه والترفيه، بعيدا عن إثارة الغرائز، وتلويث الأفكار سواء في ذلك الكلمة المكتوبة والمسموعة والصورة المرئية، واللوحة المرسومة، وكل ألوان الفنون التي تقوم

This file was downloaded from QuranicThought.com

عليهـــا الكتابـــة والـــصحافة والإذاعـــة والتلفـــاز، والمـــسرح والـــسينما وغيرهـــا. وبذلك يغدو الفن أداة للبناء والإعلاء، لا معولاً للهدم والتدمير.

١٠- تحريم شرب المسكرات بكل أصنافها، وإغلاق حاناتها، ومنع صنعها واستيرادها والتجارة فيها، حفظاً للعقول والأجسام والأخلاق من ويلات أم الخبائث، وسوء أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع كله. ولا معنى- في مجتمع إسلامي- لتحريم المخدرات ومطاردة مدمنيها وتجارهـا إلى حد الحكم بالإعدام عليهم في بعض الأقطار الإسلامية، على حين تباح المـسكرات جهـرة محادة لله ورسوله.

١١- إغلاق أندية القمار "الميسر" بكل ألوانه كذلك، فهو أخو الخمر وقرينها في كتاب الله، فكلاهما رجس من عمل الشيطان، وصدق الله العظيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة:٩١). (القرضاوي،١٩٧٣: ٦٢،٦٣). القمار أداة لهدم البيوت العامرة، وتفريغ الجيوب الممتلئة،وافتقار العوائل الغنية، وإذلال النفوس العزيزة. (علوان، ١٩٩٣: ج٢: ٦٨، ٦٧).

١٢- إغلاق دور اللهو الحرام التي تشيع الفاحشة، وتنتهك فيها الحرمات، وتنتشر وباء الفساد والانحلال: من مراقص و"كباريهات" وغيرها من بيوت الليل، ولا عبرة بما يقال من جلب السياح وكسب العملات الصعبة، فإن أثمها أكبر من نفعها، وأخلاق الأمة أولى من كسب رخيص "وإن خفتم عيلة فسوف ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٢٨).

١٣- القضاء على الرشوة بدراسة أسبابها، والعمل على تلافيها، وتشديد العقوبة على المرتشي والراشي والرائش جميعاً، وتشديد الرقابة على الجهاز الإداري كله، ومحاولة إصلاحه، وتطهيره من العناصر الفاسدة، والاجتهاد في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وتقديم القوي الأمين على غيره ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦) وليس أضر على الأمم من تقديم أهل الضعف والخيانة، وتأخير أصحاب القوة والأمانة. فهذا هو الذي يقرب الأمة من ساعة هلاكها، (القرضاوي، ١٩٧٣: ٦٣، ٦٤).

وفي ظل المتغيرات المتسارعة من حولنا، أصبحت هناك ضرورة للتغيير، وليس معنى ذلك التخلي عن ثوابتنا الإسلامية؛ بل على العكس فحتى نحافظ على تلك الثوابت فيجب علينا أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نقوم بكل ما من شأنه أن يتخطى بنا مؤخرة الصفوف إلى مقدمتها، وإلى الصدارة من جديد، هذا ما يمنحنا القوة لمجابهة قوى الظلم والاستبداد المهيمنة على العالم؛ بسبب ما تمتلك من تقدم علمي وتكنولوجي، ما يجعلها تفرض ثقافتها وسياستها على الشعوب الضعيفة المتخلفة ثقافيًا وعلميًا، وعلينا أن نبدأ بالتعليم بحيث يشمل كافة المجالات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

١- إن البيئة التي نشأ فيها الشيخ القرضاوي في ريف مصر، وفي وجهها البحري تحديدا، وأهل هذه الناحية على وجه الخصوص أهدأ طباعا وألين عريكة من جنوبها، كما أنه نشأ يتيما في أسرة رقيقة الحال، عوضه حب من حوله له -عمه وأبناء عمه وأقاربه، وبعد ذلك حب الناس- عن مرارة اليتم، وجعلته ينشأ سوي النفس مستقيما، ولم تعرف حياته ترددات تطرفية ينتقل فيها من طرف إلى مضاده.

٢- تقوم فلسفة القرضاوي التربوية على الإيمان بالفروق الفردية ورعاية المواهب الإنسانية وتشغيل الطاقات المعطلة.

٣- الجمود والتبعية الفكرية للآخرين هي من أهم أسباب عدم تقدم الأمة الإسلامية.

٤- إن الاهتمام بالنظر والتفكير والتأمل من العوامل المهمة للتفوق في جميع الميادين النظرية والتطبيقية، المدنية والحربية، وكل وسيلة، تؤدي إلى هذا الواجب، فاتباعها واجب.

٥- لا تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح. إن علم الدين يكمل علم الدنيا ويرشد إليه والعكس صحيح فالدين يقوم على مبدأ إعمال العقل، وإعمار الحياة. هذه الرسالة السامية التي لا تتحقق إلا بالتربية القويمة التي تزكي الخلق، وتنمي المواهب والاستعدادات، وتوسع المدارك، وتحسن السلوك.

٦- جاءت التربية الإسلامية لإسعاد النفس ولتسيير أمور الناس باليسر والسماحة لخدمة غايات دنيوية ودينية نبيلة ولكن الفكر التقليدي ضيَّق واسعاً وكبَّل ثقافتنا المعاصرة بقيود اجتماعية ثقيلة ليست من محكمات الدين. كما أن التسليم المطلق لفكر الغرب عند بعض المثقفين أوقع العرب اليوم في مهاوي لا تقل خطورة عن التشدد والتدين الفاسد وهذا الأمر جعل القرضاوي يبني فكره الإصلاحي الحر على نقد كل الأعراف الراكدة والوافدة.

٧- إذا نظر الإنسان إلى أي موقف باعتباره كاملا وانه ليس بالإمكان أبدع مما كان لما وجد أي ابتكار.

٨- التخطيط لا ينافي التوكل على الله، أو الإيمان بقضائه، وقدره، بل إن الإسلام يرفض الارتجال والعشوائية.

٩- إن المعلم هو العنصر الفعال في عملية التعليم، فعلى قدر ما يحمل في رأسه من علم وفكر، وما يحمل في قلبه من إيمان برسالته، ومحبة لتلاميذه، وما أوتي من موهبة وخبرة في حسن طريقة التعليم، يكون نجاحه وأثره في أبنائه وطلابه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
١٠- يولد الإنسان بلا معرفة ولكن الله سبحانه وتعالى فطره على حب المعرفة واستطلاع ما يجهل ووهب له من أدوات العلم ما يستطيع به أن يعرف نفسه ويطل على الوجود من حوله.

١١- إن اتساع نطاق العلوم اليوم، وانقسام كل منها إلى فروع وكل فرع إلى تخصصات دقيقة، يفرض علي صاحبه، التعمق فيه. إن هذا التعمق اليوم أصبح لازماً لما نشهده من تطور مستمر وملحوظ، بل ويرى القرضاوي أن واجباً على الجماعة الإسلامية أن يكون فيها من يتخصص في جميع ألوان الدراسات الإنسانية المختلفة (علم النفس، والاجتماع، والتربية، والاقتصاد، والسياسة وغيرها)حتى يدرسها ويعرضها من منطلق إسلامي أصيل، وفي إطار إسلامي مأمون، ولاسيما أن هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية، هي التي تصنع فكر الأمة وذوقها، وتلون اتجاهها وسلوك أفرادها بلونها، فلا يجوز أن يعدها المسلمون مجرد مباح يجوز فعله وتركه، إنما يجب عد ذلك من فروض الكفاية.

١٢- أكد الشيخ القرضاوي أن العلم يحتاج في تحصيله إلى صبر وجهد وتعب وبذل من الوقت والمال ومن الصبر المحمود، والمطلوب لطالب العلم: أن يصبر على أستاذه، ويحتمل شدته إن كان شديداً، وغضبه إن كان غضوباً، ويحترم صمته فيما لا يحب الكلام فيه.

١٣- العمل هو ثمرة العلم وهو أيضا ثمرة الإيمان الحق، إذ لا يتصور إيمان بلا عمل.

١٤- دعا الشيخ القرضاوي إلى احترام حرية الإنسان فالحرية ترفع من الإنسان كل ألوان الضغط والقهر والإكراه والإذلال، وتجعله كما أراد الله له، سيداً في الكون، عبداً لله وحده.

١٥- بين الشيخ القرضاوي أن العلم يفرض على أهله قيما خلقية، على كل من يحصله الالتزام بها ولا يكفي فقط محض اكتسابه وتحصيله.

١٦- وضح الشيخ القرضاوي أن الإنسان من غير قلب أشبه بالآلة الصماء، والحجر الصلد، فإن حقيقة الإنسان ليست في هذا الغلاف الطيني من لحم ودم وعظم، وإنما هي تلك اللطيفة الربانية، والجوهرة الروحية، التي بها يحس ويشعر وينفعل ويتأثر، ويتألم ويرحم، هي القلب الحي.

١٧- إن جو البغضاء والشحناء جو عفن كريه، تروج فيه كل بضائع الشيطان من سوء الظن، والتجسس، والغيبة والنميمة، وقول الزور، والسب واللعن، وقد ينتهي إلى أن يقاتل الأخوة بعضهم بعضاً، وهذا هو الخطر.

١٨- ومن لوازم الأخوة ومظاهرها: الوحدة. فالمجتمع المسلم المتآخي مجتمع واحد، في عقائده الإيمانية، وفي شعائره التعبدية، وفى مفاهيمه الفكرية، وفى فضائله الأخلاقية، وفى اتجاهاته النفسية، وآدابه السلوكية، وفى تقاليده الاجتماعية، وفى قيمه الإنسانية، وفي أسسه التشريعية.

١٩- إن الإسلام هو أعظم العقائد دعوة إلى الحب، وتوكيداً لمعانيه، وتفجيراً لينابيعه، وأقواها حرباً للعداوة والبغضاء والحسد والحقد وتضييقاً لمسالكها، وإغلاقاً للنوافذ التي تهب منها رياحها السموم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٢٠- التربية التقليدية تعد المرأة في إطار ينحصر في البيت وفي بعض المهن داخل وزارتي الصحة والتدريس بينما التربية تطالب بإصلاح شامل عن طريق توسيع عملية إعداد المرأة لتدعيم مسيرة التنمية دون الإخلال بوظيفته في البيت .

٢١- التغيير المطلوب هو الذي يدرك الفطرة الإنسانية، ويقدرها حق قدرها، ويهيئ لها الغذاء الملائم، والمناخ الصالح، حتى تنمو وتزدهر وتثمر بإذن ربها.

ولا يكون ذلك إلا بالعلم النافع، والإيمان الصادق، والعبادة الخالصة، والخلق القويم، فهذه هي أغذية الروح وهي مميزات الإنسان.

٢٢- ابرز ما يميز منهج الشيخ القرضاوي الوسطية فهو يرى أن الإسلام منهج وسط في كل شيء في التصور والاعتقاد والتعبد والتنسك والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع.

ثانيا : التوصيات

في ضوء نتائج الدراسة السابقة يوصي الباحث بما يأتي:

١- الاهتمام بتربية النشء المسلم تربية فكرية أصيلة علي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- على المربي أن يراعي مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين.

٣- تربية الجيل المسلم على الابتكار والإبداع وعدم التقليد والتبعية.

٤- علي الإنسان المسلم تعلم كل علم نافع وأخذه من أي وعاء خرج.

٥- التخطيط قبل البدء بأي عمل حتى نتجنب الارتجالية والعشوائية وعدم تضيع الوقت في ما لا فائدة منه.

٦-علي المعلم أن ينوع في أساليب التعليم، وان يحب طلابه، وان يهيئ أفضل مناخ، نفسي وعقلي لهم.

٧- إعداد معلمين صالحين أصحاب ضمائر مؤمنة بهذه الرسالة العظيمة، وإبعاد كل فاسد الفكر أو الضمير عن مجال التربية والتعليم.

٨- الاهتمام بالطفل، من جميع الجوانب، صحياً ونفسياً ودينياً، ومساعدة الأسر الفقيرة حتى تستطيع رعاية أطفالها الرعاية المناسبة، ويجب منع تشغيل الأطفال الذين لا تبلغ أعمارهم اثنى عشر عاماً، ليتاح لهم حق التعلم والتمتع بالطفولة المرحة.

٩- العناية بالشباب الذين هم عدة الحاضر، وذخيرة المستقبل، والعمل على إعدادهم إعدادا متكاملاً: بدنياً بالرياضة، وروحياً بالعبادة، وعقلياً بالثقافة، وخلقياً بالفضيلة، وعسكرياً بالخشونة، واجتماعياً بالخدمة العامة.

١٠- التحلي بالأخلاق والقيم الإنسانية النيلة،والبعد عن البغضاء والشحناء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

في ضوء نتائج الدراسة وتوصياتها يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

- دراسة مناهج التعليم في ظل العولمة والتأسيس لتربية عربية مستقلة.
- دراسة أساليب تربية الناشئة في السنة النبوية.
- دارسة علاقة المعلم بالمتعلم في التربية الإسلامية.
- إجراء دراسات ميدانية لدراسة دور التعليم في المدارس الفلسطينية في عمليات التغيير التربوي.
- دراسة الاحتياجات التدريبية لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية في مدينة غزة.
- دور المعلم في تنمية القيم الخلقية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي بمدينة غزة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المراجع

القران الكريم

أولاً: الكتب:

١- آبادي، الفيروز (١٩٩٥): **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت.

٢- إبراهيم، صبحي طه رشيد إبراهيم، **التربية الإسلامية وأساليب تدريسها**، الطبعة الأولى، دار الأرقم للكتب، عمان.

٣- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (٢٠٠٠): **فتح الباري شرح البخاري**، طبعة جديدة ومنقحة ومصححة ومطبوعة عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولي، دار مصر.

٤- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٩٧٤): **معجم مقاييس اللغة**، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج٢، دار الجيل، بيروت.

٥- ابن عبد البرّ، الحافظ يوسف بن عبد الله (١٩٩٣): **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيرى، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

٦- ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد (١٨٩٣): **حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**، ج٢، المطبعة السلفية، مصر.

٧- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة.

٨- أبو دف، محمود خليل (٢٠٠٦): **دراسات في الفكر التربوي الإسلامي**، مكتبة أفاق، غزة ،فلسطين.

٩- أبو الفتوح، عبد المنعم (٢٠٠٧): ورقة عمل مقدمة في ملتقى الإمام القرضاوي بعنوان:" **الإمام القرضاوي مع التلاميذ والأصحاب**"، الدوحة، قطر.

١٠- أحمد، عبد الله (١٩٩٠): **بناء الأسرة الفاضلة**، دار البيان العربي، بيروت.

١١- الأصفهاني، الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله (١٩٨٨): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج٤، دار الكتب العلمية بيروت.

١٢- الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٨٥): غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٣- الألباني، محمد ناصر (١٩٨٤): **تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، الطبعة لأولى، المكتب الإسلامي، بيروت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

١٤- الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٨٨): **كتاب صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند**، الطبعة الثالثة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

١٥- الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٨٩): **صحيح سنن أبي داود باختصار السند، الطبعة الأولى**، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض.

١٦- الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٩٥): **سلسلة الأحاديث الصحيحة** المجلد الثاني، طبعة جديدة منقحة ومزيدة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض .

١٧- الأندلسي، ابن حزم (٢٠٠٠): **الإحكام في أصول الأحكام**، ج٢، طبعة رقم (١)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨- بركات، لطفي (١٩٨١): **دور الفكر التربوي في رعاية الموهوبين**، الطبعة الأولى، تهامة، جدة.

١٩- جادو، عبد العزيز (١٩٧٨): **العقل منبع الحكمة** ،الطبعة الأولي، دار الفكر العربي.

٢٠- الحلبي، عبد المجيد طعمه (٢٠٠١): **التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً**، الطبعة الأولي، دار المعرفة، بيروت.

٢١- جبار، مهدي جبار (١٩٩٧): **الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية**، الطبعة الأولي، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٢- الحقيل، سليمان (١٩٩١): **التربية الإسلامية**،الطبعة الأولي، الرياض.

٢٣- حوى، سعيد (١٩٩٢): **المستخلص في تزكية الأنفس**، الطبعة التاسعة، دار السلام للطباعة، القاهرة.

٢٤- الخطيب، إبراهيم وعيد، زهدي محمد (٢٠٠٢): **تربية الطفل في الإسلام**، الطبعة الأولي، الدار العلمية الدولية، دار الثقافة، عمان.

٢٥- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي السمرقندي (١٩٨٧): **سنن الدارمي**، تحقيق فواز زمولي، وخالد السبيع، الطبعة الأولي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٦- رفاعي، فيصل الراوي وآخرون (١٩٩٩): **تطور الفكر التربوي الإسلامي**، الطبعة الأولي، مكتبة الفلاح ، الكويت .

٢٧- الزبيدى، الإمام زين الدين احمد بن عبد الرحمن عبد اللطيف (٢٠٠٥): **مختصر صحيح البخاري**، مكتبة الصفا، القاهرة .

٢٨- الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي (١٩٩٣): **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، ج١٩، دار الفكر، بيروت.

٢٩- زيادة، مصطفى عبد القادر، وآخرون (٢٠٠٢): **الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره**، مكتبة الرشد، الرياض.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٣٠- العك، خالد عبد الرحمن (٢٠٠١): **تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة**، الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت .

٣١- علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٣): **تربية الأولاد في الإسلام**، الطبعة الخامسة والعشرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٢- علي، سعيد إسماعيل (١٩٧٨): **فلسفات تربوية معاصرة**، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، العدد (١٩٨)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت.

٣٣- عيسى، حسن احمد (١٩٧٩): **الإبداع في الفن والعلم**، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، العدد (٢٤)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت.

٣٤- الغبرة، نبيه (١٩٧٧): **المشكلات السلوكية**، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، دمشق.

٣٥- الغزالي، أبو حامد (١٩٩٣): **رسالةُ أيها الولد**، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة.

٣٦- الغزالي، أبي حامد محمد (١٩٩٨): **إحياء علوم الدين**، مكتبة مصر، القاهرة.

٣٧- الغزالي، محمد (١٩٩٩): **هذا ديننا**، الطبعة الأولي، الدار الشامية ، بيروت.

٣٨- الغزالي، محمد (٢٠٠٠): **سر تأخر العرب والمسلمين**، الطبعة الأولي، دمشق، دار القلم.

٣٩- فاطمة، محمد خير (١٩٩٨): **منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ**، الطبعة الأولي، دار الخير، بيروت.

٤٠- الفرحان، اسحق احمد (١٩٩١): **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، الطبعة الثالثة، دار الفرقان، الأردن.

٤١- القاضي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٣): **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة.

٤٢- القرضاوي، يوسف (١٩٧٤): **الحل الإسلامي فريضة وضرورة**، ضمن سلسلة حتمية الحل الإسلامي(٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٣- القرضاوي، يوسف (١٩٧٩): **الإيمان والحياة** ، الطبعة الأولي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٤- القرضاوي، يوسف (١٩٩٣): **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، الطبعة الأولى، مكتبة وهبه، القاهرة.

٤٥- القرضاوي، يوسف (١٩٩٩): **الرسول والعلم**، الطبعة السابعة، مكتبة وهبه، القاهرة.

٤٦- القرضاوي، يوسف (٢٠٠١): **الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته** الطبعة الأولي، دار القلم، دمشق.

٤٧- القرضاوي، يوسف (٢٠٠١): **من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا**، الطبعة الأولي، دار الشروق، القاهرة.

٤٨- قطب، سيد (٢٠٠١): **في ظلال القرآن**، الطبعة الثلاثون، دار الشروق، القاهرة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

٤٩- الكتاني، محمد عبد الحي (٢٠٠١): **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠- مبيض، محمد سعي (١٩٩١): **أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها**، الطبعة الأولي، دار الثقافة، الدوحة.

٥١- المرسي، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (٢٠٠٠): **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ج١، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، مصر .

٥٢- مرسي، محمد منير (٢٠٠٠): **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتب، القاهرة.

٥٣- مرسي، محمد منير: **تاريخ التربية بين الشرق والغرب**، عالم الكتب، مصر.

٥٤- مسلم، أبو الحسن (١٩٩١): صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث، بيروت .

٥٥- المناوي، محمد عبد الرؤوف (٢٠٠١): **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦- يكن، منى حداد (١٩٨٥): **أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام**، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٧- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني (٢٠٠٠): **ربانية لا رهبانية**، الطبعة الأولي، دار القلم، دمشق.

٥٨- الندوي، أبو الحسن (١٩٦٥): **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**، الطبعة الثانية، مكتبه دار الفتح، دمشق.

٥٩- الهندي، المتقي (١٩٩٨): **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ،ج ١، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية.

٦٠- وطفة، علي أسعد والشريع، سعد (٢٠٠٤): **التربية تاريخا والفكر التربوي تطورا**، معاينات في جدل الواقع والنظرية. الطبعة رقم (١)، الكويت.

٦١- يالجن، مقداد(١٩٨٩): **أهداف التربية الإسلامية**، الطبعة الثانية، دار الهدى، الرياض.

ثانياً: الرسائل والبحوث العلمية:

١- حلس، داود (٢٠٠٨): **إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية**، المؤتمر العلمي الدولي الأول، القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة، الجامعة الإسلامية – غزة، فلسطين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٢- حلس، داود (٢٠٠٧): **حقوق الإنسان الثقافية بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية،** المؤتمر الدولي الثاني- السلام والتحديات المعاصرة - كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية- غزة فلسطين.

٣- الشيخ، عبد المنعم (٢٠٠٤): الفكر التربوي عند أبي الحسن الندوي **رسالة دكتوراه** في أصول التربية، جامعة إفريقيا الإسلامية العالمية، السودان.

٤- القيق، وجيه صبح محمود (٢٠٠٦): معالم التغيير التربوي لدى سيد قطب من خلال كتاباته **رسالة ماجستير**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

٥- الكندري، لطيفة حسين و ملك، بدر محمد (٢٠٠٣): تربية المرأة من منظور الشيخ محمد الغزالي، **مجلة العلوم التربوية**، مجلة علمية محكمة ربع سنوية، العدد الرابع، جامعة القاهرة.

٦- محمد، سيد هريدي (٢٠٠٦): الطابع الأدبي في خطابة الدكتور العلامة الشيخ يوسف القرضاوي، **رسالة ماجستير**، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، القاهرة.

٧- مرسي، أكرم رضا (٢٠٠٧): منهج الدكتور يوسف القرضاوي في تجديد الفقه الإسلامي، **رسالة ماجستير**، كلية دار العلوم قسم الشريعة الإسلامية جامعة القاهرة.

٨- المزين، سليمان حسين(١٩٩٨): الفكر التربوي عند احمد بن مصطفى بن خليل الشهير بـ طاش كبري زاده، **رسالة ماجستير**، كلية التربية، قسم أصول التربية، الجامعة الإسلامية - غزة.

٩- أبو حرب، يحي (٢٠٠١): **رسالة ماجستير** غير منشورة، كلية التربية، جامعة الخرطوم.

شبكة المعلومات (الانترنت):

١- الجزيرة نت (٢٠٠٦): **بين الإمام البنا والشيخ القرضاوي،**
http://www.aljazeeratalk.net/forum/archive/index.php/t-٦٥٤٤.html

٢- القرضاوي، يوسف (٢٠٠١): **مذكرات القرضاوي،**
http://www.qaradawi.net/site/topics/index.asp?cu_no=٢&lng=٠&template_id=١٨٩&temp_type=٤١&parent_id=.

٣- القرضاوي، يوسف (٢٠٠٨) : **خصائص الإسلام الذي ندعو إليه،**
http://www.qaradawi.net/site/topics/printArticle.asp?cu_no=٢&item_no=٥٨٣٤&version=١&template_id=١٣٠&parent_id=١٧

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الملاحق

قائمة شاملة بكتب القرضاوي

١. الحلال والحرام في الإسلام.
٢. مئة سؤال عن الحج والعمرة والأضحية.
٣. فتاوى معاصرة (٣ أجزاء).
٤. نحو فقه ميسر معاصر.
٥. فقه الطهارة .
٦. فقه الصيام.
٧. فقه الغناء والموسيقى.
٨. فقه اللهو والترويح.
٩. الاجتهاد في الشريعة الإسلامية.
١٠. مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية.
١١. من فقه الدولة في الإسلام.
١٢. الفتوى بين الانضباط والتسيب.
١٣. عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية.
١٤. الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد.
١٥. الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط.
١٦. في فقه الأقليات.
١٧. دية المرأة في الشريعة الإسلامية.
١٨. فقه الزكاة (جزءان).
١٩. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.
٢٠. بيع المرابحة للآمر بالشراء.
٢١. فوائد البنوك هي الربا الحرام.
٢٢. دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي.
٢٣. دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية.
٢٤. الصبر في القرآن.
٢٥. العقل والعلم في القرآن الكريم.
٢٦. كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟.
٢٧. كيف نتعامل مع السنة النبوية؟.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٢٨. تفسير سورة الرعد.
٢٩. المدخل لدراسة السنة النبوية.
٣٠. المنتقى من الترغيب والترهيب (جزءان).
٣١. السنة مصدرا للمعرفة والحضارة.
٣٢. نحو موسوعة للحديث الصحيح مشروع منهج مقترح.
٣٣. وجود الله.
٣٤. حقيقة التوحيد.
٣٥. الإيمان بالقدر.
٣٦. الشفاعة.
٣٧. الحياة الربانية والعلم.
٣٨. النية والإخلاص.
٣٩. التوكل.
٤٠. التوبة إلى الله.
٤١. ثقافة الداعية.
٤٢. التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا.
٤٣. الإخوان المسلمون ٧٠ عاما في الدعوة التربية والجهاد.
٤٤. الرسول والعلم.
٤٥. الوقت في حياة المسلم.
٤٦. رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد.
٤٧. الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي
٤٨. أين الخلل؟
٤٩. أوليات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة.
٥٠. في فقه الأوليات – دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة.
٥١. الإسلام والعلمانية وجها لوجه.
٥٢. الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.
٥٣. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده.
٥٤. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.
٥٥. شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.
٥٦. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف.
٥٧. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٥٨. الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد.
٥٩. التطرف العلماني في مواجهة الإسلام.
٦٠. من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا.
٦١. أمتنا بين قرنين.
٦٢. ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق.
٦٣. تاريخنا المفترى عليه.
٦٤. الإسلام والعنف.
٦٥. نحن والغرب : أسئلة شائكة وأجوبة حاسمة.
٦٦. الدين والسياسة.
٦٧. الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم.
٦٨. درس النكبة الثانية.
٦٩. لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر (جزءان).
٧٠. قضايا معاصرة على بساط البحث.
٧١. الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا.
٧٢. الحل الإسلامي فريضة وضرورة.
٧٣. بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين.
٧٤. أعداء الحل الإسلامي.
٧٥. شمول الإسلام.
٧٦. المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة.
٧٧. موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى.
٧٨. السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها.
٧٩. كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف.
٨٠. فصول في العقيدة بين السلف والخلف.
٨١. الإيمان والحياة.
٨٢. العبادة في الإسلام.
٨٣. الخصائص العامة للإسلام.
٨٤. مدخل لمعرفة الإسلام.
٨٥. الإسلام حضارة الغد.
٨٦. الناس والحق.
٨٧. جيل النصر المنشود.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٨٨. خطب الشيخ القرضاوي (سبعة أجزاء).
٨٩. ابتهالات ودعوت.
٩٠. قطوف دانية من الكتاب والسنة.
٩١. أصول العمل الخيري في الإسلام.
٩٢. الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام.
٩٣. كلمات في الوسطية ومعالمها.
٩٤. الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه.
٩٥. الشيخ الغزالي كما عرفته : رحلة نصف قرن.
٩٦. الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته.
٩٧. الجويني.. إمام الحرمين.. بين المؤرخين: الذهبي ..السبكي.
٩٨. في وداع الإعلام.
٩٩. عمر بن عبد العزيز الراشد المجدد.
١٠٠. نساء مؤمنات.
١٠١. مقومات الفكر الإسلامي عند الإمام البشير الإبراهيمي.
١٠٢. نفحات ولفحات – (ديوان شعر).
١٠٣. المسلمون قادمون – (ديوان شعر).
١٠٤. عالم وطاغية – (مسرحية تاريخية).
١٠٥. يوسف الصديق – (مسرحية شعرية).
١٠٦. ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة.(٣ أجزاء).
١٠٧. الدين في عصر العلم.
١٠٨. الإسلام والفن.
١٠٩. النقاب للمرأة بين القول ببدعته والقول بوجوبه.
١١٠. مركز المرأة في الحياة الإسلامية.
١١١. فتاوى للمرأة المسلمة.
١١٢. جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة.
١١٣. الأقليات الدينية والحل الإسلامي.
١١٤. المبشرات بانتصار الإسلام.
١١٥. مستقبل الأصولية الإسلامية.
١١٦. القدس قضية كل مسلم.
١١٧. حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

١١٨. فتاوى من أجل فلسطين.
١١٩. مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية.
١٢٠. الأسرة كما يريدها الإسلام.
١٢١. ظاهرة الغلو في التكفير.
١٢٢. التربية السياسية عند حسن البنا.
١٢٣. البابا والإسلام.
١٢٤. السنة والبدعة.
١٢٥. زواج المسيار – حقيقته وحكمه.
١٢٦. الضوابط الشرعية لبناء المساجد.
١٢٧. موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى.
١٢٨. الاستلحاق والتبني .. في الشريعة الإسلامية.
١٢٩. حقوق الشيوخ والمسنين في ضوء شريعة الإسلام.
١٣٠. لماذا الإسلام؟.
١٣١. الإسلام الذي ندعو إليه.
١٣٢. واجب الشباب المسلم.
١٣٣. مسلمة الغد.
١٣٤. الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير.
١٣٥. قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام.
١٣٦. لكي تنجح مؤسسة الزكاة في التطبيق المعاصر.
١٣٧. التربية عند الإمام الشاطبي.
١٣٨. كلمات صريحة في التقريب بين المذاهب أو الفرق الإسلامية.
١٣٩. الحكم الشرعي في ختان الإناث.

This file was downloaded from QuranicThought.com